الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة

كلية الآداب واللغات الأجنبية

قسم اللغة والأدب العربي

الإغتراب في رواية كراف الخطايا ـ لعبد اللّه عيسى لحيلح ـ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

شعبة: الأدب العربي الحديث

فرع: أدب جزائري حديث

إعداد الطالبة:
سماح بن خروف

إشراف الأستاذ الدكتور:
محمد زرمان

لجنة المناقشة

أ.د. معمر حجيج	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيسا
أ. د. محمد زرمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	مشرفا ومقررا
د. عيسى مدور	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	مناقشا
د.المكي العلمي	أستاذ محاضر	جامعة أم البواقي	مناقشا

السنة الجامعية

2011 – 2012 م/1432 - 1433 هـ

www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خطـــــــــــــّة المذكرة:

مقدمـــــة

الفصل الأول:مـــــفهوم الاغتراب،وتجلياته في الرواية العربـــــية الحديثة

1-مفهوم الاغتـــــراب:

1-1 التعريف بالاغتراب:

1- 2 الغربة والاغتراب: (مفارقة اصطلاحية)

1-3 الاغتراب في التجربة الصَـــوفية العربية

1-4 الدلالات الأولى للاغتراب

1-5 مفاهيم هيجل وأتباعه للاغتراب

2-أبعاد الاغتراب ومظاهره.

3- منطلقات الاغتـــــراب

4-أنـــماط الاغتـــــــراب

5-تجليات الاغتراب في الرّواية العربية الحديثة.

الفصـــــــل الثاني:الاغتراب داخل البـــــنية السّرديـــــة

أوّلا/اغتراب الشخصية؛التجليات والبواعث:

1- بطل منحط في زمن منحط

2- مرايا الجنون ومحنة الاغتراب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانـــيا/رتابة الحدث وسيرورة الانسلاخ:

1 -سياسة العقاب ومتاهة اللاّحل

ثالـــثا/ إقصاء الزمن وإحياء الانســـــياق:

1-التواءات الزّمن الاغترابية

رابعـــا/الاغتراب المكـــــــاني:

1- إيحـــاءات المكـــان الاغترابية:

خامسا/اغتراب اللغة ولغـــــــة الاغتراب:

1- لغة القلق والتبرم

2- اللغة الاستعارية السّاخرة

الفصل الثالث:الاغتراب بين حقيقة الوعي والمسرى الرّوحي

أولا/تقويض الأنساق وقلق المصير:

1-النّسق السياسي

2-النّسق الاجـــتماعي

3-النسق الاقتصادي

4-النسق الثقـــــــافي

ثانيا/الدين والمسرى الروحي للاغتراب:

1- النّسق الـــــــديني:

1-1 حلم الشقاء الإنساني

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

2-1 تصوف الولي الصالح

خـــــاتمة .

قائمة المصادر والمراجع.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

مقدمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقـــــــــدمة:

وجّهت أزمة التسعينيات أقلام الروائيين الجزائريين، باعتبارها ظرفا تاريخيا سجّل نفسه وبقوة وأتاح فرصة خوض غمار مرحلة روائية جديدة، تسمح للكاتب الجزائري بأن يعكس هذه الفترة المضطربة في قالب فني متميز، يهدف إلى تجسيد الثقل الذي قد أرهق وعيه، وزاد من حدة نفوره من الأوضاع السائدة في البلاد. فلجأ إلى التوسل بالمحكيات النفسية المعينة على سبر أغوار الفرد الجزائري، لتتخلص رواية التسعينيات من ربقة المحاكاة والتقليد عبر النزوع إلى جماليات منطلقها تجريبي يقتضي المناجاة والاستعارات ومتاهة العجائبية بفعل العبث واللاّمعقول، كرواية كرّاف الخطايا لعبد الله عيسى لحيلح، لما آثرت التعبير عن قلق الوجود، والضياع والعبث المفروض مع الحياة بالصوت والبعد الواحد وبالانكفاء المثالي للشخصية الجذع التي ضاقت ذرعا من التعفن الحاصل في مجتمعها، فارتمت وسط دوامة الاغتراب حتى تسهم بتطلعاتها الناجمة عن صحوة وعي ثاقب في تشكيل تصور نقدي خاص بالوسط الذي تعيش فيه.

والاغتراب ظاهرة قديمة قدم الوجود الإنساني، ألقت بظلالها على حياة الإنسان فكريا ونفسيا وحتى عضويا، ليغترب جغرافيا بجسمه عبر الهجرة من مكان إلى مكان وإلا بالانطواء على الذات أو رفض الأعراف الاجتماعية السائدة، أو بإنكار النظام القائم بجميع أيديولوجياته، وأحيانا ينبذ القيم الدينية والروحية، وقد تجتمع كل هذه الظلال حتى تستشرف حياة الكمال المأمولة، ولما ألفيناها حاضرة في النص الروائي المختار، اقتضت التنقيب في الجذور الفلسفية للظاهرة المدروسة ومن ثم الاحتكام إلى بعض العلوم الإنسانية بخاصة، بغية توسيع المفهوم وتطعيمه ببعض المفارقات الاصطلاحية اللازمة. ومن ثمة جعلها ظاهرة أدبية تنفرد بأشكال سردية تعتمد الواقع، والخيال حتى تنسحب على نتاجات روائية سمت وبجدارة بالنفس الإنسانية/المثقفة إلى ما تطمح إليه وبجد...

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أبرز التساؤلات التي وجهت مسار البحث:

ما مفهوم الاغتراب؟ وكيف تجلّى داخل البنية السردية؟وما علاقة التغيرات الاجتماعية والسياسية والدينية وغيرها بالتّمظهرات الاغترابية في هذه الرواية؟

وكيف استطاع الخطاب الروائي في المدونة أن يستطلع التأزم النفسي للفرد الجزائري؟ ويتوسل بمسالك روحية عجائبية ليبرز المعاناة والمقاطعة النهائية بين الكاتب/البطل وبين العالم الخارجي؟...

كلها أسئلة سنحاول الإجابة عنها باعتماد المقاربة النصية للظاهرة، فتم تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول؛ الأول نظري تأسيسي للمصطلح، جاء بعنوان مفهوم الاغتراب وتجلياته في الرواية العربية الحديثة فتقصينا فيه لمدلولات المصطلح بالرجوع إلى المعاجم، وقمنا بمزج دلالته المتداولة مع تجارب بعض المتصوفة حتى نصبغه بصبغة روحية تفسر المصدر العربي للمصطلح وكذا الطابع العجائبي المميّز له داخل النص الروائي. ونظرا لحضوره اللافت للانتباه في مختلف العلوم ارتأينا استكشاف أصوله الفلسفية لدى أب الاغتراب ومؤسسه هيجل وبعض الباحثين. ومن ثم أبرزنا دلالاته النفسية والاجتماعية، السياسية وكذا الاقتصادية بالاطلاع على مختلف النظريات التي أسست لهذا المفهوم. واختتمنا الفصل النظري بإبراز أبعاد الاغتراب وأهم المسببات من سياسية واجتماعية ودينية وغيرها حيث تتواءم ووقائع الرواية المختارة، وفي الأخير عرجنا على انتقاء بعض النماذج الروائية العربية التي تجلى فيها الاغتراب أو بعض ملامحه دون الاحتكام إلى تقسيم زمني معين أو تراتبي يخص الكتّاب.

أمّا الفصل الثاني فقد خصّصناه لتجليات الظاهرة على مستوى البنية السردية في الرواية، فعرجنا على عنصر الشخصية، والبحث عن دواعي الاغتراب لديها وتحدثنا عن وسيلة الجنون المصطنعة والتي ألغت كل مقوّمات الشعور بالزمن فصار نفسيا مغيبا من جهة وصوفيا أبديا عكسته بعض المفارقات الزمنية الحاصلة من جهة أخرى، أو الاحتكاك بالمكان الذي قُهر بفعل الوحدة القاسية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي عاشتها الشخصية الجذع التي آثرت الرتابة نظرا لثبات أحداث الحياة، وذلك لانعدام الفاعلية الاجتماعية وبسبب الفساد الذي عمّ وحلّ بالمجتمع. وفي الأخير تطرقنا إلى عنصر سردي آخر جسّد بدوره مغامرة الكتابة لدى الكاتب والبطل المثقفين المتمثل في اللغة، فأبرزنا دور المفارقات في تسخيرها للمكثفات اللغوية، حتى تغترب هي الأخرى عن حدودها بالاستناد إلى الرّمز أو الأسلوب الاستعاري الساخر. أما الفصل الثالث والأخير فقد كان بمثابة وعاء جامع للمعطيات السابقة، والغاية منه هي محاولة تأويل لمجموع الاغترابات الداخلية-على مستوى القصة-بتفسير المنشور الثقافي السائد، والحديث عن منطلقات الانسلاخ بفعل الهدم والتّقويض الذي تعرّضت له أنساق المجتمع، فألفينا الاغتراب السياسي والاجتماعي وحتى الثقافي الذين بينوا حقيقة القطيعة التي تساءلنا حولها، والتّماهي السيري الحاصل بين الكاتب والبطل. ليأتي الجزء الأخير من هذا الفصل وهو المخصّص للمسرى الروحي للاغتراب في الرواية بعد التفصيل في قضية الحلم واستشراف المستقبل لدى الولي الصالح المتصوف والمناهض للنواميس السائدة في البلاد.

والدّافع الأساس إلى اختيار هذا الموضوع يكمن في السعي إلى الإضافة، والإثراء لما تبيّن لنا أن الدراسات المتوفرة والمتواجدة حول هذه الإشكالية-الاغتراب-قد اقتصرت في معظمها على إبرازها من خلال الشعر العربي وحتى الجزائري. أما الجانب السردي(الروائي) فنلحظ نقصا فادحا بالرغم من نجاعة النصوص السردية، وحتى الروايات الجزائرية في تجسيد كل الإشكالات التي استطاعت الروايات العربية من خلالها أن تكشف عن التأزم العام للبلاد وكذا النفسي الخاص بالفرد العربي، وكذا تحليل الواقع الاجتماعي مبرّرة تصورات عديدة لمفهوم الوجودية من منظور الفرد. ومن باب المقارنة؛ لأن المنطلق غربي بحت لمصطلح الاغتراب، ارتأينا إبراز مدى استيعاب الروائيين العرب(الجزائريين بخاصة) لهذه الظاهرة بمفهوميها النفسي والفلسفي، بخاصة مع رواية كرّاف الخطايا، التي درست دراسة سوسيولوجية بإبراز العنف، ومدى تعالقه بنصوصها السردية في مؤلّف الشريف حبيلة بعنوان"الرواية والعنف"، ومقالة الصالح ولعة لما تطرق إلى سيميائية البنية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المكانية في الجزء الأول من الرواية وبعض الرسائل الجامعية كشخصية الجزائري في الرواية مذكرة ماجستير بجامعة قسنطينة، هي نماذج إذن من بعض الدراسات السابقة المتوفرة.

وتكمن أهمية الموضوع في جدته وأسبقيته إلى دراسة الجزء الثاني للرواية، باعتماد ظاهرة فكرية الأصل متعددة الأوجه، ستسهم في استنطاق الخطابات المتحاورة والمتجاورة في الرواية، والممرّرة لمختلف الأيديولوجيات الهادفة إلى بلورة رؤية واسعة للفرد/المجتمع الجزائري.

وقد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي لّما تقصينا لمفهوم الاغتراب، وضبطنا مدلولاته وفق مقتضيات البحث، ومن ثمة اعتماد المنهج البنيوي لّما تقيدنا بالبنية السردية، وأبرزنا محطّات الاغتراب المختلفة بداخلها، إلا أن منشأ الظاهرة المدروسة قد فرض علينا الانفلات من خصوصية المنهج الرئيس، وألزمنا بالانفتاح على ما يعرف بسيميوطيقا السرد، التي تضمنت في إجراءاتها الاتجاه التّوسيعي الذي يتجاوز البنية الداخلية للرّواية إلى ربطها بالسياقات المختلفة، فظاهرة الاغتراب وليدة سياقات نفسية وتاريخية واجتماعية وأخرى اقتصادية، مستويات استدعت التمعن في معطياتها، و من ثمة تحديد مظاهر التأثير بينها وبين حالة المعاناة الوجودية السّابقة.

والمصدر المعتمد في البحث هو رواية "كراف الخطايا" بجزأيها، أما المراجع فقد تباينت لتنوع منابعها، فوجدنا الكتب الفكرية والنفسية والاجتماعية والسردية والنقدية، ومن أبرزها كتاب "الاغتراب" ليحيى العبد الله، و "الاغتراب والإبداع الفني" لمحمد عباس يوسف ومؤلّف"الرواية والعنف"للشريف حبيلة.

وفي الأخير لا يسعنا إلاّ أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل الأساتذة الكرام الذين عرفناهم طيلة مشوارنا الدراسي، ونخصّ بالذكر أستاذنا الفاضل الدكتور **محمد زرمان** الذي أشرف على هذا البحث ورعانا في جميع مراحله وأطواره و لم يبخل علينا بتوجيهاته القيّمة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

www.manaraa.com

الفصل الأول:مفهوم الاغتراب،وتجلّياته في الرواية العربية الحديثة

1-مفهوم الاغتـــــراب:

1-1 التعريف بالاغتراب:

1- 2 الغربة والاغتراب: (التعالق والاختلاف)

1-3 الدلالات الأولى للاغتراب

1-4 مفاهيم هيجل وأتباعه للاغتراب

1 -5 الاغتراب في التجربة الصَـــوفية العربية

2-أبعاد الاغتراب ومظاهره.

3-منطلقات الاغتـــــراب:

5-1 الاجتماعية

5-2 السياسية

5-3 الدينية

5-4 الحضارية

4-أنـــماط الاغتـــــــراب:

4-1 الاغتراب الذّاتي (النّفسي)

4-2 الاغتراب الاجتماعي

4-3 الاغتراب السّياسي (الأيديولوجي)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4-4 الاغتراب الاقتصادي (الصّناعي)

4-5 الاغتراب الدّيني (العقدي/الرّوحي)

4-6 الاغتراب الوجودي (الكوني)

5-تجلّيات الاغتراب في الرّواية العربية الحديثة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن مجرّد التفكير في أن الذّات الإنسانية عالم قائم بذاته، وبإمكانه التصدي لأي مؤثرات خارجية مهما كان نوعها، أمر قد يصعب استيعابه لأن سنة الحياة قد رسمت لهذه الذات صورة التواجد بغية التفاعل والاحتكاك بالموجودات الأخرى من أفراد ومؤسسات حتى تضمن البقاء والاستمرارية. إلا أن الجدليات التي فرضها الواقع بمجرياته ومفارقاته اللاّمنتهية قد خلقت تناقضات كانت وليدة الظروف والراهن حتى استعصى على بعض الأفراد التأقلم مع وسطهم، لأن متطلباتهم الفردية الخاصة، والبعيدة كل البعد عن المقتضيات الاجتماعية و السياسية وحتى الاقتصادية؛ فقد يكون الخلل في الأنساق السابقة نظرا لسوء التسيير أو لممارسة بعض الأساليب القمعية المضطهدة لرغبات الإنسان الطامح بخاصة، لتصبح جل المعطيات الخارجية منافية لمبادئه وقناعاته المضمرة في كثير من الأحيان، وإلا إلى خلل سيكولوجي ذاتي أو ربما فيزيقي يحتويه هذا الفرد المنكر للعالم المحيط به فيلجأ إلى الارتماء وسط عالم أعقد بكثير من ذاته المثقلة بهموم الخارج ألا وهو عالم الاغتراب.

1-مفهـــــوم الاغـــــتراب:

للوصول إلى توصيف ملائم لمصطلح الاغتراب اقتضت المنهجية(الوصف والتحليل) العودة إلى جملة من المعاجم والقواميس اللغوية العربية منها والمترجمة، حتى نتعامل مع اللفظة كما وردت فيها بغية الوقوف على دلالاتها بحسب المؤسسين من جهة، ومن ثم تتبع التغير الدلالي المحتوم، والذي طرأ عليها وجعلها بذلك تختلف وتتباين من مؤلف لآخر، فتضمنت مفردة الاغتراب معان عدة بخاصة مع معجميّينا القدامى واستدعت أوجها دلالية رسمت لها بفضلهم.

1-1 التّعريف بالاغتراب:

الاغتراب افتعال من الغُربة، و قد ذكر في المعاجم العربية بمعنى التروح عن الوطن، لتقتصر على المعنى المكاني للكلمة فقط، فغرب فلانٌ يغرُب **غرْبا** بمعنى تنحَى، وأغربتُه وغرَبته أي نحَيته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقال:**غرّب** في الأرض وأغرب؛ إذا أمعن فيها. و**الغربة**:النوى البعيد؛يقال:شقت بهم غربة النوى.[1] و**الغرْبُ** هو المغرب والذّهاب وكذا التّنحي، وأول الشيء وحدُه[2].

و**أغْرب** القوم:أي انتووْا و**الغرباءُ** هم الأباعد، و**الغريبُ**:الغامض من الكلام. و**الاغتراب** هو الابتعاد عن الوطن و**اغْترب** الرجل:نكح في الغرائب،وتزوج إلى غير أقاربه وفي الحديث النّبوي الشريف قوله عليه الصلاة والسلام:"اغتربوا لا تضووا, أي لا يتزوج الرجل القرابة". و**غوارب** الماء أعاليه، و**الغربيبُ**:شديد السواد".[3]

من خلال هذه التعريفات يمكن القول بأن معنى كلمة اغتراب قد تنوع وتباين من معجم إلى آخر لكن الملاحظ بين ما ورد لدينا هو أن لهذا المصطلح دلالة مزدوجة، فقد دل على الغربة المكانية أو الجغرافية من جهة باعتبار أن التَغْريب هو النّفي عن البلد، أو السفر والهجرة إلى بلد قريب أو بعيد أي الانتقال من مكان إلى مكان، كما دلّ على الغربة الاجتماعية من جهة أخرى وهذا ما نستشفه من الحديث النبوي الشريف، لأن نكاح الرّجل في غير أقاربه لا يعني انفصاله عنهم أو قطعه لعرى الوثاق التي تصله بهم، بل هي غربة عن الأهل وانشقاق عنهم بالرّغم من تواجده في بلده وأرضه إلا أنه اغترب عنهم، و فقد الصّلة بهم لا بقطع الرحم وإنما في الحديث إيحاء بأن يغترب الرجل في نكاحه عن ذويه –الأقارب– بالمعنى الروحي وتجنب الاقتران بإحدى بناتهم لحكمة أثبتها العلم والطب المختص، فلم تختص الغربة هنا لا بالوطن ولا بالمكان وإنّما بالأشخاص والصّلات.

والاغتراب"Alienation"شعور قديم قدم الوجود الإنساني، ظهر كفكرة ضربت بجذورها في أعماق الذّاكرة الإنسانية في الفكر المسيحي والعصور الوسطى، وكذا الكتابات اللاّهوتية ليتخذ

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي،كتاب العين،تحقيق:مهدي المخزومي،إبراهيم السامرائي،مطابع الرسالة،الكويت،دط،1980م،مادة(غرب) ج4،ص 410.

[2] الفيروز آبادي،القاموس المحيط،تقديم:أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي،منشورات محمد علي البيضون،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،2004م،ص146.

[3] ابن منظور الأفريقي المصري،لسان العرب،الدار المتوسطة للنشر والتوزيع،تونس،ج1،2005م،مادة(غرب)ص(639-649)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيما بعد صورا جدّ معقدة لأن الإنسان معقد بإنسانيته. وقد أرّخ البعض لاغتراب الفرد منذ تلك اللّحظة التي غرَبت فيها الجنة عن أب البشرية آدم عليه السلام فانفصل عن عليائه إلى الأرض ليعاني شقاء الحياة وآلامها، و ليواجه الحياة المزدوجة القائمة على الصّراع الدائر بين الجسد والروح والخير والشر. بالإضافة إلى الاغتراب الرّمزي الذي نستوحيه من حادثة"**عصيان إبليس واستكباره على الأمر الإلهي ليُلعن ويُطرد هو الآخر من الجنّة، وقد أعطي مهلة لغربته من بداية العالم إلى يوم القيامة**".[1]

يبدو وبشكل جلي أن مفهوم الاغتراب قد ارتبط بالانفصال والابتعاد عن الأرض بين كل ما هو موحش وحزين، ومسبّب للشقاء والرّزايا من جهة أخرى، فتجاوز المدلول المادي إلى ما هو أعمق وأبعد من ذلك والذي يتجلى في المعنى الحسي المتعلق بالنفس وبالجانب الرّوحي. أما البعض الآخر من المؤرّخين فقد التمس للمصطلح مصادر قديمة تعود إلى الفكر الإغريقي القديم، وتتجلى فيما يعرف بحالة"الجذب"Extasis"حيث يسلّم الإنسان جسمه للشعائر"**فيصير بذلك غريبا عن جسمه كأهم شيء يمتلكه.كما اهتم به فلاسفة يونانيون أمثال سقراط وأفلاطون وغيرهم**".[2] ومنهم من ردّه إلى فجر اليهودية المتمثل في"**أبرام وغربته بغير أسرة وبغير أرض أودين قومي وذلك قبل أن يصبح اسمه إبراهيم ويعطى أرض غربته**"[3] فاستشرف الاغتراب من رؤياه ومن ترحاله من قوم لآخر، فتركت كل رحلة عناء الإحساس بالمرارة فيها. كما نصّت آيات من التّكوين لدى اليهود على هذا النّمط الاغترابي بذكر اللفظة، وبقصد معناها المتعارف عليه.

وإذا بحثنا عن مقابل و دلالة الاغتراب في اللغات الأجنبية نجد بأن مقابل هذه الكلمة في اللغة الإنجليزية "Alienation"وتعني"**قابلية الأشياء بل والكائنات الإنسانية المملوكة للتنازل عنها أو**

[1] محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،2004م،ص7.

[2] فيصل عباس، الاغتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي،دار المنهل اللبناني،لبنان،ط 1،2008م،ص21.

[3] حبيب الشاروني،الاغتراب في الذات،عالم الفكر،مج10،العدد الأول،سبتمبر،الكويت،1979م،ص69.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البيع"[1] وهذا ما يعرف بـــ"التشيؤ" الذي يساوي بين الإنسان والأشياء يعامل مثلها، وقد ذهب بعضهم على غرار "دانيال بيل" إلى أن للاغتراب معنى مزدوجا الأول هو الغربة أما الثاني فهو التشيؤ.

كما أخذ المصطلح في هذه اللّغة للعصور الوسطى معنى الفعل الذي يفيد قيام شخص ما بتغريب شيء يمتلكه،فـــ"Alien"تعني"**الانتماء والتعلق بالآخر وبالتالي السطو والسلب**"[2] لهذا اقتصر مقابل الاغتراب في اللغة الانجليزية على ربطه بعالم الأشياء، وإعطائه مدلولا سلبيا مبالغا فيه إلى حد كبير.

أمّا مقابله في اللغة الفرنسية"Alienation" فيدل على الترك والعطاء وكذا الغربة الروحية،وقد اشتقت الكلمة الفرنسية،ونظيرتها الانجليزية من الفعل اللاتيني"alienare"الذي يعني"**نقل ملكية من شيء إلى آخر،وهو بدوره راجع في الأصل إلى اللفظ"alius"الذي يدل على الآخر سواء كاسم أو صفة**".[3] فالقاسم المشترك بين معاني الاغتراب في مختلف اللغات هو الدلالة على انتقال الملكية من شخص إلى آخر،كما يرى ذلك السيد "علي شتا" مشيرا إلى" **تقارب المصطلح في القاموسين الانجليزي والألماني فيذكر بأن كلاّ منهما يعني إلى انتقال وتسليم شيء ما ينتمي لفرد معين إلى شخص آخر، وكذا حالة الاعتلال الذهني، فينجم عن ذلك ما يعرف بغياب الوعي وتعطل الإدراك**"[4].

ومفهومه–الاغتراب– متواجد في كل المجتمعات وفي كل الثقافات وحاضر في جل المجالات مما جعل الوصول إلى تعريف جامع مانع له من أصعب المهام وأعوصها، بخاصة وأنه اتصل اتصالا

[1] سهير عبد السلام،مفهوم الاغتراب عند هربرت ماركيوز،دار المعرفة الجامعية،الأزاريطة،مصر،2003م،ص 21.

[2] صبار نور الدين،الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية،مجلة الموقف الأدبي، ،إتحاد الكتاب العرب دمشق،سوريا ع355،سبتمبر2000م،ص328.

[3] يحي العبد الله،الاغتراب،دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن،ط1 2005م،ص21.

[4] الشيخ محمد الشيخ،التحليل الفاعلي،نحو نظرية حول الإنسان،دائرة الثقافة والإعلام،الشارقة،الإمارات،ط1 ،2001م،ص120

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وثيقا بالإنسان الذي فقد روح التناغم والانسجام في حياته، فلا يوجد من البشر من لم يعان هذه الحالة في أبسط معانيها، وفي ظل ظروف لاإنسانية فرضتها التعفّنات التي حلت بالمجتمعات وتسببت في اندثارها. والاغتراب عملية تقتضي الصيرورية وتتكون من ثلاث مراحل متصلة فيما بينها اتّصالا وثيقا وهي:

أ-تتكون نتيجة لوضع الفرد في البناء الاجتماعي(بمعنى عدم الانسجام أو النفور ورفض النواميس السائدة)

ب-يتدخل وعي الفرد لوضعه في هذه المرحلة.(يرهق الفرد نفسه في الشعور بالقهر والقمع وعدم الاندماج)

ج-تنعكس على تصرف الفرد إنسانا مغتربا على وفق ما أتيح له من خيارات. [1] (قد يكون قسريا أو طوعيا).

1-2 الغربـــة والاغتراب:(مفارقة اصطلاحية)

إن التّمييز بين هذين المصطلحين أمر ليس بالهيّن علينا نظرا للتداخل الحاصل بين مفهوميهما ومعنييهما من جهة، وبين الجانب الشكلي والأكوستيكي لكيلهما من جهة أخرى، وقد جعل المعجميون العرب كلمة غربة من الفعل "**غرب**" مساوية للاغتراب من الفعل الماضي المزيد "**اغترب**" وما هذه الأخيرة إلا افتعال من الغربة، واشتقاق منها مثلما أشرنا إلى ذلك آنفا في التعريف اللغوي وبالأخص مع معجم"كتاب العين"الذي يذكر مفردة غربة ويفصل في مادة غرب بمختلف اشتقاقاتها ومن ثم يشرح كلمة اغتراب-بهذا الاصطلاح-فيجعلهما مترادفين.

وقد اقتصر مدلول كلمة غربة-في الغالب- على الانتقال من مكان إلى مكان والهجرة من بلد إلى آخر وهذا ما يوافق المصطلح الغربي في اللغة الانجليزية emigration"على سبيل المثال لا

[1] محمد راضي جعفر،الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر،مرحلة الرواد،منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،1999م،ص5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحصر. ولم يكن يعرف كما هو الحال في العصر الحديث وبالخصوص مع بعض الفلاسفة والسيكولوجيين، وحتى علماء الاجتماع بمفهومه الأنطولوجي الواسع والذي صار يرمي إلى أبعاد مست ميادين شتى من نفسية وسياسية واجتماعية وأيديولوجية.

وفي المكتبة العربية وبالأخص السردية القديمة"**لم تتشكل لدى العرب نظرية فلسفية حول مفهوم الاغتراب،والغربة عندهم تعني الابتعاد عن الوطن**"[1] فهي غربة مادية وما الدافع إليها سوى اللهث وراء العز بأي ثمن والبحث عن العيش الرّغيد والبال السعيد، على الرغم من الافتقار إلى الصلة والأقارب واختيار صداقة ألدّ وأمر عدو (العزلة) والعيش في كنف الغربة واحتراقاتها مثلما يقول الإمام علي كرم الله وجهه:"**المقل غريب في بلده**"وفي قوله أيضا"**الغنى في الغربة وطن،والفقر في الوطن غربة**"[2] فما أدّى "بالتوحيدي" مثلا إلى تفضيل الغربة، والتغني بها هو عدم غدق الحكام بالمال عليه، ممّا جعل الغربة تنتقل إلى ما هو أبعد من ذلك لتكتسب المعنى الروحي مع بعض المتصوفة الذين سموا بهذه اللّفظة، وأعطوها دلالات عدّة أسقطوا عليها حالاتهم النفسية وتجاربهم الرّوحية ومواقفهم الاغترابية.

فالتوحيدي ينعطف بالغربة إلى منعطف آخر لأنه وبعد أن ربطها بحالات من المرض والفقر وكذا بالسياحة والسفر والهجرة وما يلازمها من مفارقات وآفات، حرّرها من التصور المحكوم بالإطار الجغرافي والمكاني الذي عرفه المحيط الثقافي في صدر الإسلام حينها إلى الإطار الزماني والفكري والنفسي وهذا ما يُستوحى من قوله:"**فأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه،وقل حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه**"[3] يرى بأن الغريب هو الذي يعيش بين أهله وأصدقائه، ولكنه خارج حيّزهم وعلى حافة دنياهم، فلا حظّ ولا أمل له في هذه الدنيا ووسط هؤلاء الذين يهجرونه إن دافع عن الحق ونادى به ويزجرونه عن ذلك، ولا يجد آذانا صاغية إذا كابد لأجل النور أواجتهد

[1] يحي العبد الله، الاغتراب،ص 23.

[2] المرجع نفسه،ص23.

[3] أبو حيان التوحيدي،الإشارات الإلهية،تحقيق:عبد الرحمن بدوي،جامعة فؤاد الأول،القاهرة،مصر،1950م،ص79.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لإظهار الحق يقول:"**وأبعد الغرباء من كان بعيدا في محلّ قربه، والغريب إذا ذكر الحق هجر وإذا دعا إلى الحق زجر،الغريب من إذا أسند كذب، وإذا تظاهر عذب**"[1].

كما يذكر الكلمة بمدلولها الزَماني والنفسي في مقابسة من مقابساته[2] فيقول:"...**فلم يطل دهري في أثنائه متبرحا بطول الغربة،وشظف العيش وكلب الزَمان وعجف المال وجفاء الأهل** فـ"**عولجت الغربة عند التوحيدي معالجة شخصية في إطار ظروفه وحياته**"[3] ونقصد هنا بأن معاناته كانت حقيقية وصادقة والسبب في ذلك الانهيار النفسي الذي أثقل كاهله لأسباب سياسية في سوء علاقته مع الحكام، وثقافية في رفض الكثيرين لنتاجاته الأدبية مما أدّى به إلى حرق كتبه في آخر أيام عمره لعدم جدواها.

وكدليل أيضا على قدم الغربة وتخلّصها من قيد المكانية والجغرافية، وعلى دنو معناها من مدلول الاغتراب (الفلسفي) المتعارف عليه اليوم إلى حدّ بعيد عند العرب، وظّفها متصوفة آخرون على غرار التوحيدي أمثال"ابن عربي"**فبدأ بكتابة الرسائل القصيرة نسبيا ليشرع في تصنيف موسوعته الفتوحات المكية ثم فصوص الحكم**"[4] ومن وجهة نظر مغايرة تماما لما رآه التوحيدي فإن ابن عربي ساوى بين الغربة والاغتراب، ويعرف هذا الأخير في قوله:"**اعلم أن الغربة عند الطائفة(المتصوفة) يطلقونها ويريدون بها مفارقة الوطن في طلب المقصود، ويطلقونها في اغتراب الحال.فيقولون في الغربة:الاغتراب عن الحال من النّفوذ فيه، والغربة عن الحق غربة عن المعرفة من الدّهش**"[5] وإذن فإن كلمتي غربة واغتراب تحولان في الحقل الدلالي نفسه، وتحملان الدلالة المزدوجة نفسها فلفظة غربة تجاوزت الجغرافيا المحدودة، إلى معان عدة تخلصت بفضلها من ربقة الهجرة والنزوح إلى

---

[1] أبو حيان التوحيدي،الإشارات الإلهية ،ص80.

[2] المقابسات عبارة عن مذكرات كان يكتبها التوحيدي عن مجالساته مع الأعيان والمفكرين،وقد انتقينا رسالة كان قد أرسلها إلى أبي الفتح بن العميد مبرزا فيها يأسه من ويلات الدهر، وتجلّده لطول غربته التي لا مفر منها سوى انتحال القناعة كرياضة تزين له قبح دنياه وتريحه من كدَ معضلاتها.

[3] أبو حيان التوحيدي،المقابسات،تحقيق:حسن السندوبي،المطبعة الرّحمانية،مصر،ط1،1969م،ص 102

[4] مصطفى ناصف،محاورات مع النثر العربي،عالم المعرفة،الكويت،1997م،ص150.

[5] عبد الحق منصف،أبعاد التجربة الصوفية،إفريقيا الشرق-الحب،الإنصات،الحكاية،المغرب،دط،دت،ص48.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاغتراب عن الحق-حسب ابن عربي دائما-والأحوال،ومع المقارنة دوما بين المفردتين يذهب"ابن قيم الجوزية"إلى تقسيم الغربة إلى ثلاثة أنواع من منطلق ديني إسلامي ومن ثم ربطها بالأرض باعتبار أن الإنسان قد ولد في جنباتها وبين أحضانها فهو حر لحريتها وأسير ومقيد في حال أسرها وتكبيلها والأنواع كالآتي:[1]

1- غربة أهل الله وأهل سنة رسوله الكريم بين هذا الخلق(تكون في مكان دون مكان،وبين قوم دون قوم)

2-غربة مذمومة وهي غربة أهل الباطل بين أهل الحق.

3-غربـــة عن الأوطان.

لقد تعدى مفهوم الغربة -حسب الجوزية- المكانية إلى الانفصال عن الأهل والناس لأسباب ظاهرة كالدين بمثابة المعتقد الذي ينبغي إظهاره بأي حال من الأحوال أو خفية كالإيمان الذي يضبطه التمسك بالحق والمناداة به، فشملت الاغتراب واحتوته كما تجاوزته لاستنطاقها لمكامن النفس وسبر أغوارها الرّافضة للعالم وبمختلف عوالمه.

وبعد هذه الإطلالة على بعض الكتابات العربية وجدنا أن الغربة قديمة قدم الوجود الإنساني، فكل إنسان ابتعد، واغترب عن أهله ولو لأيام قليلة وعاش حال الفراق والبون الذي أمال جفنيه ليمناه وأنزل رموش عينيه إلى منحدر الحنين القاتل لنبضات الحياة السعيدة الآملة وللأسف.كما وظّف كلمة الغربة أدباء من كتاب وشعراء وقصدوا بها الهجرة مثل"أبي الفرج الأصفهاني"في كتابه"**أدب الغرباء**" بالإضافة إلى كتابات الرّحالة*التي امتزجت بالخيال وجسدت أثنوغرافيا الواقع.

[1] عمر بوقرورة،الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث،1945-1962م،منشورات جامعة باتنة،الجزائر،دط،دت،ص16.

*يمكن أن تتساوى الرحلة مع الغربة في معناها الجغرافي فالاغتراب هو الترحال من بلد إلى آخر،وبالتالي غربة=اغتراب=رحلة=هجرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والباعث الأساس للاغتراب والارتحال في مثل هذه الرحلات هو السعي إلى"**كشف عالم الإنسان والكشف الجغرافي والاتصال بين الشعوب، واكتساب المعرفة خصوصا فيما يتعلق بالعادات والتقاليد**".[1] والرّحلة لا يتوسل بها أصحابها للتجوال، والاكتشاف فقط بل هي نبض الحياة وجزء أصيل من حركة هذه الأرض منذ العصور الغابرة مثلما التمسنا رمزية الاغتراب في حكايات ألف ليلة وليلة وبالأخص مع الرحلات السبع للسندباد البحري المغامر، ولا تغيب عنا رحلات ابن بطوطة وابن جابر وغيرهم.كما دلت-الرحلة- أيضا على النزعات الشخصية والمعالم النفسية الموغلة في عمق النفس البشرية، ألفيناها حالة يعيشها البؤساء الذين أثقلت الحياة كاهلهم مثلما حدث مع التوحيدي وبعض المتصوفة الذين وسموها بطابع السفر(سفر البدن من بلد لآخر) وسفر القلب من جهة أخرى.

وكأمثلة موجزة على وجود كلمة غربة بمعناها الظاهر والباطن لدى العديد من الشعراء الجاهليين والعباسيين لإبراز قدمها وعراقتها وتجاوزها للمدلول الضيق الذي أفقدها اللمعان المزدوج،انتقينا بعض الأبيات الشعرية التي جسدت مفهوم الاغتراب بمعنييه الجغرافي والذاتي.ففي العصر الجاهلي مثلا نجد أحسن معبّر عن حالة الاغتراب ما تعلق بالوقوف على الأطلال والبكاء على الحبيب الذي صوّر شجون الشاعر من خلاله حنينه وانهياره النفسي، والعاطفي كنوع من أنواع الاغتراب ألا وهو الوجداني المعبر عن متاعب الاغتراب التي عرفها الجاهلي، وبهذا تأسس لما يعرف بالاغتراب الكامل*.

ومن أعمق الأشعار المعبّرة عن حال الغرباء البعيدين عن أهلهم والذين يتوقون شوقا لرؤيتهم قول "بشر بن أبي حازم" هذا الذي يرثي نفسه، وهو بعيد عن قومه فيحن إليهم ويتحرق بنار الحنين للقائهم فقد عبر عن غربته المكانية لكننا قصدنا ذكر البيت لحضور كلمة اغتراب بهذا الاصطلاح فكان بذلك قديما-لفظا واصطلاحا- قدم العصر الجاهلي فيقول:

---

[1] حسين محمد فهيم،أدب الرحلات،عالم المعرفة،الكويت،دط،1989م،ص18.

*ويقصد بالاغتراب الكامل ذلك النوع من الانعزال الذي يغمر المشاعر "فيفرض نفسه على عقل وشعور الإنسان"ينظر:محمد خليفة حسن،التفكير التاريخي والحضاري-عند الشعوب العربية السامية القديمة،الوادي الجديد،القاهرة،مصر،2000م،ص298.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن يك سائلا عن بيت بشْر فإن له بجنب الرده بابـــا

ثوى في ملحـــــد لابد مـــنه كفى بالموت نأيا واغترابا[1]

كما هو الحال لدى الشعراء **الصعاليك**[2] الذين عانوا ويلات الاضطهاد والتذليل والدّونية غير المبررة نتيجة للطبقية المجحفة في حقهم فنظموا أشعارا جسدت تمردهم وتذمرهم من العالم الخارجي أما العصر العباسي-وقد تم تجاوز صدر الإسلام والعصر الأموي بغية الإيجاز-فنذكر "أبا العلاء المعري" على سبيل المثال هذا الذي تناول مواضيع نالت الصدى الواسع لدى الفلاسفة المحدثين والمفكرين والوجوديين من بينها حتمية الموت والبعث والدين والوجود والألوهية فعرف الاغتراب وأحس به كحالة عايشها لسنين طويلة فتنوع في أشعاره من زماني وسياسي ومكاني ففي قوله:

وكان من ألقت الدنيا عليه أذى يؤمها تاركا للعيش أمواجا

كأس المنية أولى بي وأروح لـــي من أن أكابد إثراء وإحواجا[3]

فالمعرّي يلقي اللّوم على زمانه وأهله، ويفضل الموت على أن يعيش بين هؤلاء، أو يتحمل أعباء لا نهاية لها، فتعلقت غربته بقسوة الدّهر أي بالزّمان، لذا انسابت آلام الشاعر وزهد في حياته مؤمنا بحتمية الموت كنظرة فلسفية وتأملية لما هو سائد آنذاك.

وقد آثرنا أن نختم ببيت "لأبي الطيب المتنبي" الذي شبه غربته بغربة النبي صالح عليه السلام بين قومه ثمود الذين أذاقوه المرَ ونفروا من رسالته التي جاء من أجلها، فهذا هو حال المتنبي مع قومه الذين لا يفهمونه ولا يقدّرون مواهبه يقول:

أنا في أمة تداركها اللـــ ـــه غريب كصالح في ثمود[1]

---

[1] فاروق أحمد سليم،الانتماء في الشعر الجاهلي،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،1998م،ص221.

[2] للاطلاع على التمظهرات الاغترابية للشعراء الجاهليين ينظر:مي يوسف خليف،ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات أطروحة دكتوراء،وينظر:عبد القادر زيدان صاحب كتاب التمرد والغربة في الشعر الجاهلي.

[3] أبو العلاء المعري ،اللزوميات،شرح عزيز زند،دار المعارف للطباعة والنشر،سوسة،تونس،ج 2،ص782.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالتداخل والقدم واضح بين المفردتين إلا أن الفرق يكمن وببساطة في أن الغربة دلّت في الغالب على الانتقال من مكان إلى آخر في حين قُصد بالاغتراب المعنيان المادي والروحي أي الشعور بالعزلة والتيه داخل الوطن مع احتواء المعنى السابق، وإمكانية الدلالة على معان أخرى اقتضتها مجالات أكسبته حدودا سيتم التطرق إليها لاحقا.

وقد مرَ مصطلح الاغتراب بعدة مراحل ودل قبل ذلك على عدة معان اختلفت باختلاف السياقات وبتنوع المعطيات والمقتضيات ففي السياق القانوني مثلا"**دل على تحول الملكية من صاحبها إلى آخر، وسياق نفسي بمعنى انفصال الإنسان عن ذاته ومجتمعه،وديني بمعنى انفصال الذات البشرية عن الذات الإلهية**"[2] ليتحول فيما بعد إلى مصطلح فنَي على يد "هيجل" الملقب بأب الاغتراب، ثم ظهر في العلوم الاجتماعية عام1935م، وبدأ بالتجلّي في الأعمال الكلاسيكية السيكولوجية في أواخر القرن 19م ومع نقاد المجتمع أمثال"هربرت ماركيوز"، و"إريك فروم"،و"ماز" وغيرهم. و لم يتم تداوله كظاهرة لها أبعادها ونظرياتها إلا في أوائل القرن20م على يد"كارل ماركس" والأديب الفيلسوف الوجودي"جون بول سارتر"الذي صوّر الوجود في صورة من الألم والغثيان.

ولا مناص من أن الذّات البشرية تعد محور الوعي الكوني كله، فقد باتت"**فراغا خاويا يتحمل وقر كل شيء لا يعي ذاته، وإنّما هو شيء غريب عنه ليتم من خلاله تغريب الذات عن نفسها**"[3] فلم يصدر العذاب والاغتراب إلاّ من وعي الإنسان لهذه الذّات في"**ظروف موضوعية واجتماعية تقف حائلا دون تحقيقها بالصورة التي تريد**"[4] وبقهر الظروف لهذه الذات تفقد

---

[1] المتنبي، الديوان،تعليق:يحي شامي، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع،مكتبة مدبولي،القاهرة،بيروت،مصر،لبنان،ط 10،ص82.

[2] محمد عبد المختار،الاغتراب والتطرف نحو العنف-دراسة نفسية اجتماعية-دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،ص 29.

[3] بول تيليش،الشجاعة من أجل الوجود،تر:كامل يوسف حسين،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت لبنان،ط1،1981م،ص122.

[4] ماجد قاروط، المعذب في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان من عام1945م إلى1985م،دراسات جمالية منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،1999م،ص137.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شعورها بالانتماء، وتتخلى عن المسؤولية لتقضي على وجودها الطبيعي، باعتبارها متجردة من الروابط العميقة الجذور، التي تصلها بكل ما يحيط بها من آداب وتقاليد، فيناقش الإنسان بوعي وإدراك كيانه وذاته التي أفرغت من محتواها الحسّي، والشعوري لثقل العالم فوق كاهلها، بحيث غدت مجرد قوقعة خالية، ولكن يتعين عليها العيش وتقبل الآخر لأنها وفقط تحمل نبض الحياة. ففكرة الاغتراب تقوم على أساس التمييز بين وجود الإنسان وجوهره وأن"**وجود الإنسان بصورته التي نراه عليها في المجتمع الحديث لا يتفق مع جوهره أو ما هو من حقيقته**"[1].

وبما أن للاغتراب علاقة وطيدة بأعقد شيء أرهق الوجود الطبيعي، والذي يكمن في الإنسان وذاته التي تبقى رهينة العصور والسّنين، ووليدة الظروف والمفارقات فتتقلب لتقلبها، وتستقيم باستقامتها استعصى تحديده خارج نطاقها فلكل(إنسان/ذات) نصيب منه مهما حاول الفرار من مواقفه الاغترابية عبر التاريخ، لأنه"**إما طوعي يختاره الإنسان لأسباب عدة كعدم انسجامه مع المجتمع وعدم الرضا بالعادات والأعراف،والمخالفة في الفكر والمعتقد**"[2] وإما قسري تقتضيه دواع ومؤثرات خارجية فتفرضه عليه دون أي إنذار مسبق.

1-3 الاغتراب في التجربة الصّوفية العربية:

لم يبق مفهوم الاغتراب على حاله بل تغيّر من مفهومه الجغرافي الضّيق إلى المفهوم النفسي بفضل تجارب صوفية وآراء بعض المتصوفة ك"أبي حيان التوحيدي ومحي الدين ابن عربي والقشيري والبغدادي"وغيرهم، واكتسب معهم الطَابع الفلسفي العميق، وقد وقع الاختيار على أبي حيان التوحيدي وابن عربي بغية التأصيل للمصطلح من باب المقاربة النظرية للمفهوم في محاولة للتنقيب عن الجذور العربية لمصطلح الاغتراب ومدلوله الرّوحي الذي اقتضته المدونة التي استدعت ضرورة المزج بين التجربتين الاغترابية والصوفية، للخصوصية الروحية والمعرفية المتوفرة في كل منهما.

[1] عزت حجازي،الشباب العربي ومشكلاته،عالم المعرفة،الكويت،1985 م،ص 72.

[2] يحي الجبوري،الحنين والغربة في الشعر العربي،مجدولاي للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،ط 1،2008م،ص17.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1-3-1 التوحيدي وأزمة الوجود:

من المعروف أن أبا حيان التوحيدي قد انفرد بأدب خاص صوّر الحياة من خلاله أحسن تصوير، وأبدع في رسم سرّ الوجود أروع إبداع. كان-أدبه- فلسفيا تجاوز به لغة الحياة العادية إلى الانسحاب من مفارقاتها كليّة، وقبل تسليط الضوء على البواعث التي أدّت بالتوحيدي إلى العزلة ورفض العالم في بعض مؤلفاته كنوع من السيرة الذاتية المتخصصة بسرد الأحداث المتعلقة باليوميات المعيشة، حبذا لو تم استظهار مدلول التصوف، والتأصيل له بإيجاز يعلّل تورّط هذا المغترب في إغراق العديد من أصحاب التوجّهات والرؤى في دوامة الانسلاخ الجذري من رغد العيش وتطليق طوباوية الدّنيا بكل مقوماتها.

لقد نشأ التصوف عند أمم الغرب المسيحية ليدل على السّر والخفاء والتعمق في الأسرار المغيبة وراء الظواهر، أما التصوف العربي فالقول الشائع هو أنه مأخوذ من الصوف في أصله وهو"**زهد وتقشف وابتعاد عن الترف والمتعة، وطلب للحكمة عن طريق الدين**"[1]والصّوفي هو الذي يجابه مطامع الدنيا، وأحلامها الزائفة لأنها تحجبه عن حقائقها، بالإضافة إلى أن هناك مسببات قد فعّلت بدورها من أساسيات ومرتكزات التصوف القائم على مزيّة الإيمان بالله تعالى فكانت نشأته "**سياسية واجتماعية وطبقية جاءت ردّا على عسف الدولة وطغيانها وعلى اشتداد التفاوت الطبقي**"[2] ولتدهور الأوضاع وضغوطاتها اليد الفاعلة في إيثار الاستئناس بالوحدة والعزلة واستيحاش ترف الدنيا، والمراكز المرموقة التي من شأنها أن تحطّ من قدر الفرد بطريقة أو بأخرى. لذا ارتأينا الإطناب نوعا ما في الحديث عن التصوف لتبرير تعالق موضوع البحث بالنزعة الصوفية التي حضرت بأوطارها ومصطلحاتها في الرواية.

[1] عباس محمود العقاد،التفكير فريضة إسلامية،منشورات المكتبة العصرية،صيدا،بيروت،لبنان،دط،دت،ص107.

[2] هادي العلوي،حوار الحاضر والمستقبل،دار الطليعة الجديدة،سوريا،ط1 ،1999م،ص137.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تكلّم التوحيدي عن المتصوفة ووصف أوضاعهم المزرية بخاصة تلك المتصلة بالجانب المادي والناجمة عن الانقسامات الاجتماعية الحاصلة، والتباينات الطبقية المصعّدة لسابقتها. فأبرز من خلال مؤلفه"**الإمتاع والمؤانسة**" أهم القيم التي فقدتها البشرية، ومختلف المجتمعات التي اعتمدتها في سبيل تحقيق تماسكها، ومدى ما بلغته من فساد أخلاقي، فعمد إلى وصف واقعه استنادا إلى رؤيته للمحيط الخارجي بالتّركيز على إبراز مواطن الضعف، والتسلح بالموقف السياسي وتدعيمه بالضيق النفسي الذي عاشه كغطاء أسكت همس شجونه واحتضن بريق دموعه التي غادرت جفني عينيه جارية ناقمة رافضة ومرفوضة في الآن نفسه.ولم يتغافل عن موقف الناس منه، حين تركوه وهجروه وأغرقوه في دوامة المجتمع الخانقة والمنحطة، وطوّقوا راحته لما أحالوها إلى صمت المعاناة وأذى الحيرة وقلق الفؤاد التائه العليل يقول:"**فقد أمسيت غريب الحال،غريب اللفظ،غريب النّحلة،غريب الخلق،مستأنسا بالوحشة،قانعا بالوحدة،معتادا للصمت،ملازما للحيرة،متحملا للأذى يائسا من جميع من أرى**"[1] فهو يسرد سيرته الذّاتية بوجهها الكئيب وحسرتها البائسة مما جعل القارئ على يقين تام بصدق حكاياته وعمق تهجّدات عواطفه.

كما صوّر غربته وبعمق في كتابه المعنون بـــ"الإشارات الإلهية" مبينا أثر مجانبة الناس، وتفضيل الزّهد على نعيم الدنيا يقول: "**قد علاه الشحوب وهو في كن وغلبة الحزن حتى صار كأنه شن،وإذا ظهر ظهر ذليلا، وإن توارى توارى عليلا، وإن طلب طلب واليأس غالب عليه**"[2] وهذا الشعور نابع من الإحساس العميق بالغربة الاجتماعية، ليتأزم فيما بعد ويجسّد أخطر غربة تهدّده من كل الجوانب تجسدها الغربة الوجودية.

[1] الحبيب شبيل،المجتمع والرؤية،قراءة نصية في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت،لبنان،ط1 ،1993م،ص16.

[2] المرجع نفسه،ص17.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وينظر التوحيدي إلى الغريب على"**أنه الإنسان الذي يجد ذاته بعيدا عن الجماهير والعامة**"[1] فتحقيق الذّات والاستقلال بوجود خاص يقتضي على المرء نسيان العالم من حوله، والانطواء على النفس التي تجاوزت الطبيعة والخاصية الزمنية وأصبحت مسلكا لإزالة رماد نيران الظلم، والضياع وتمزق الأحوال بل وسوء الأوضاع.وعولجت الغربة لدى أبي حيان معالجة شخصية في إطار ظروف حياته و"**لا فرق لديه بين الغربة وبين الاشتباه الشائع في التطور الثقافي**"[2] لأن المنطلق من هذا المفهوم الخاص بالعزلة هو الاشتغال المستمر بالاختلاف الحاصل بين الإنسان وغيره من جهة وبين الإنسان ونفسه من جهة أخرى.

كما كان التوحيدي رائعا في "**إخفاء الانهيار النفسي الذي تنافس والإضحاك فاختلطا إلى حد بعيد بحيث لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض**"[3] فوكأنه أمر لازم ومطلوب،وقد يتقنع هذا الهزل أو الإضحاك وراء السخرية المميزة لبعض كتاباته الراقية، وأكّد بدوره على أهميتها (السخرية) بصفتها"**سمة فنّية تندغم بالإمكانات التعبيرية الأخرى تشغل خيال القارئ وتصله بالنص عبر التسلية**[4] فليظهر المعنى المتمثل في اليأس أو يقلب باطنه من مشاعر حزينة لابد من توظيف هذه التقنية ورسمها في لوحات ساخرة براقة بأساليب فنية متنوعة.

وقد كانت حياة التوحيدي مليئة باليأس والانكسار بالرغم من سعيه لكي يحظى بمنزلة رفيعة لدى أصحاب الجاه والمال"**لكن الأيام قد تنكرت له، مما أدى إلى اتصاف شخصيته بالاضطراب والتناقض في السلوك**"[5] وهذه الانكسارات كانت وليدة العديد من العوامل القاهرة والانقسامات المدمرة،وهاهو بدوره يتذمر من الوضع الاجتماعي المزري، ويبرز دور العامل الاجتماعي في ظهور حالة الاغتراب عموما والاغتراب الاجتماعي بوجه خاص يقول في مؤلفه الإمتاع والمؤانسة:"**وقد**

---

[1] علي شتا،الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية،ص32.

[2] مصطفى ناصف،محاورات مع النثر العربي،ص150.

[3] المرجع نفسه، ص177.

[4] محمد أحمد المسعودي،الإمتاع والمؤانسة،شخصيات بالغرابة والسخرية،كتابات معاصرة،مج7، ع26،لبنان،آذار1996م،ص81.

[5] عمر عروة،النثر الفني القديم، أبرز فنونه وأعلامه،دار القصبة للنشر،الجزائر،دط،2000م،ص115.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بلينا بهذا الدّهر الخالي من الدّيانين الذين يصلحون أنفسهم، ويصلحون غيرهم بفضل صلاحهم، الخاوي من الكرام الذين كانوا يتسعون في أحوالهم، ويوسعون على غيرهم من سعتهم"[1] فهو يتحسر بسبب البلاء الذي أصاب مجتمعه كداء جعله مريضا تحت أنقاض عديمي المبادئ، والأسوياء فيه-المجتمع-مهمّشون إن وجدوا فهم منبوذون ومداسون، ولا آذان صاغية إليهم مثلما حدث مع أبي حيان فاضطر إلى إحراق كتبه في أواخر أيام عمره، لمرارة الغربة النفسية التي عاشها يقول:"**ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه أني فقدت ولدا نجيبا وصديقا حبيبا،وصاحبا قريبا،وتابعا أديبا فشق علي أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضي إذا نظروا فيها"**[2] والكلمات وحدها عبّرت عن المأساة...

1-3-2 ابن عربي وأحـــوال الاغتراب:

رأينا بأن نزوع "التوحيدي" إلى العزلة كان بدافع مادي خارجي من جهة وبدافع روحي عكسته تجربته الصوفية المميزة لأن التصوف كما هو معروف هو أن يعمّر الإنسان صدره بالصلة بالله والخوف منه والرجاء فيه،إلا أن هناك من يظن بأنه عبارة عن"**كسل وبطالة،ونفور من الجهد والاجتهاد في شعاب الحياة الفاضلة الطيبة"**[3] فمن كان صوفيا عليه أن يطلّق الدنيا طلاقا لا رجعة فيه حتى يعالج ما جلبت عليه نفسه من كبر وحب سلطان ويصير غريبا عن غيره من البشر لأنه لا يفكر مثلهم ولا يحلم أحلامهم،بل يهدُف إلى السّمو بروحه والزهد لا لمقت دفين أو ظاهر للحياة وإنما لتعلقه بأسبابها.

ويلقب الغرباء عند المتصوفة بالنّوابت، وما غربتهم واعتزالهم إلى ذواتهم إلا خير دليل على الاغتراب لأن "**الخلوة الصوفية انسلاخ عن الناس وعن النفس أيضا، وقد كان ابن عربي يدعو**

[1] أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة،شرح غريبة خليل المنصور،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1997،1م،ص20.
[2] أبو حيان التوحيدي،المقابسات،تحقيق:حسن السندوبي ،ص110.
[3] مجدي كامل،أحلى قصائد الصوفية،دار الكتاب العربي،سوريا، ط1 ،1997م،ص6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في بعض رسائله إلى الهرب من طريق الرّاحات"[1] وقد تناول"ابن عربي" فكرة الاغتراب كفعل تزامن مع الإيمان بربوبية الله عز وجل، فهجر الأوطان يفتح عين المهاجر للإقرار بربوبية الله عليه وبالتالي يعد الاغتراب في هذه الحالة نسقا دينيا تستتبعه أحوال معينة، وغدا "**نزعة عدمية قوامها الهروب من الوجود الحسي الأرضي إلى الوجود الحق بالرجوع إلى الله"**[2] ليصير الهدف من الاغتراب أخلاقيا بحتا عبر التوبة عن الذنوب، والمعاصي والتخلق بالأخلاق الإلهية وتسريح شهوات الدنيا إلى من هم أهل لها.

وقد عرض "ابن عربي" للغربة الصوفية السابقة، وجعلها مرادفة للسفر والسياحة، بالإضافة إلى ربطها بالوجود كحركة قلقة تسعى لردم دينامكية الحب الصوفي، إذ أن حركة وجود الكائنات في عمقها حركة اغتراب لها. ويعتبر "ابن عربي" مسيرة الحياة بكاملها رحلة للاغتراب بدءا من اغتراب الطفل عن رحم أمه إلى العيش في الوطن ثم الاغتراب عنه بالتّرحال، والسفر إلى موطن البرزخ وبعدها إلى الاغتراب عنه بالبعث ويعود هذا الاغتراب إلى دافعين رئيسين:

أ-دافع أخلاقي (معرفي):اغتراب عن الأحوال والصفات فهو اغتراب وجداني.

ب-دافع اجتماعي – أيديولوجي: وذلك باختيار حياة الهامش الاجتماعي بمعنى توديع حياة العزّ والسلطان لأن الصوفي يتجنب دائما تعزيز الناس خشية الحصول على ثقتهم وحبهم وبالتالي التمكن من القمة والسلطة الاجتماعية[3].

ويطعن"ابن عربي" في الخلفية الأخلاقية والمعرفية التي تدفع بأصحابها إلى العزلة لأن الخلفية سياسية بحتة وذلك للابتعاد عن الصّراعات والنزاعات السائدة في المجتمع، فالاستلاب-حسب ابن عربي-جبن ويأس من ترّهات العالم المادي المرهق. ويوافقه في ذلك "القشيري" حين يعتبر

[1] يحي الجبوري،الحنين والغربة في الشعر العربي ،ص140.
[2] محمد عباس يوسف،الاغتراب والإبداع الفني، ص10.
[3] عبد الحق منصف،أبعاد التجربة الصوفية ،ص52.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاغتراب سفرا خاصا بالقلب وهو"**الارتقاء من صفة إلى صفة أخرى**"[1]وهو ما يعرف باغتراب الأحوال. فمطلب الصوفي إذن هو إلغاء صفات الوجود ناهيك عن الصفات الأخلاقية التي تشدّ وتجرّ كينونة الإنسان إلى الاغتراب.

1-4 الدّلالات الأولى للاغتراب:

كان "هيجل" السبّاق إلى استخدم الاغتراب في إطار منهجي مستقل بإجراءاته العلمية ومقاييسه المستندة إلى حقائق فكرية وأخرى فلسفية"**باعتباره خاصية وجودية متأصلة في طبيعة وجود الإنسان في العالم**"[2] ولكن تجدر الإشارة إلى أن مصطلح الاغتراب قد استعمل قبل هذا الفيلسوف والمفكر الذي أسّس للعديد من النظريات الأدبية الحديثة، وقد دلّ الاغتراب على ما يلي :

أ- نقل الملكـــية: (الانتقال)

عرفنا من خلال تناولنا لمقابلات الاغتراب في اللغات الأجنبية بأن الأصل اللاّتيني للمصطلح **alienation** هو الفعل **alienare** الذي يعني نقل ملكية شيء ما إلى آخر، وتحويلها من شخص إلى غيره، فيضيّعها المالك الأول ليتجاوز النقل انتقال الشيء إلى ما هو أبعد من ذلك تماما وفي الحقل السياسي مثلا قُصد بالاغتراب نقل السلطة السياسية من فرد إلى فرد آخر، فيصبح المواطن حسب"ماركس فيبر"بذلك "**عاجزا تجاه السلطة(الدولة) فهي التي تسيطر عليه وليس هو الذي يسيطر عليها**[3]". وما أثبتته البحوث التاريخية الإنجليزية هو أن نقل هذه الحقوق والملكيات قد يؤدّي إلى حدوث التوتر والاضطراب في العلاقات، والشعور بالتسليم والتخلي والوصول إلى ما يعرف بالإحباط"**frustration**"أو ما أسماه "أنتوني دافيدز" بالاستياء **resentment** .كما صرّح "أندريه لالاند" في موسوعته بدلالة الاغتراب على هذا المعنى(أي انتقال الملكية) قبل أن يجلّيه

[1] عبد الحق منصف،أبعاد التجربة الصوفية ،ص50.

[2] زينب محمود شقير،مقياس الاغتراب النفسي،(مكنوناته،مظاهره)،مكتبة النهضة المصرية، ،القاهرة،مصر، ط 1،2002م،ص2.

[3] صبار نور الدين ، الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية،ص3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هيجل بتجلية فنية سمت به وخلّصته من بهت وجفاف الدلالة الفكرية، فقد كان يقصد بالانسلاب أو الارتهان كما أسماه لالاند"**في المعنى الحقوقي القديم:البيع أو التنازل عن حق إلى شخص آخر**"[1] حيث يستسلم الفرد هنا لأفعال المالك، ونتائجها التي تُفقده التّكامل والإحساس بالأمن،فيرفض بذلك معايير المجتمع التي حرمته أبسط الحقوق كحق الامتلاك مثلا.

ب- الجنون (الاضطراب العقلي):

يمكن الاستعانة بالمجالين النّفسي والطبي حتى يتمّ تشخيص هذه الدلالة وبدقة، ففي موسوعة لالاند يعرّف المغترب"**aliené-alienatus**"استنادا إلى دلالته في العصر الوسيط بالذي لا يمتلك ذاته أو المعتوه، فيشرح الانسلاب العقلي على أنه"**اضطرابات الذهن العميقة ليصبح الشخص بذلك خطيرا على نفسه وعلى الآخرين بحسب طبيعة اضطراباته النفسية**"[2] فالمغترب حسب هذا التعريف إنسان مريض وغير سوي لأنه مضطرب عقليا لكنّ "كاوفمان" يرى العكس تماما فقد برّأ الاغتراب من تهمة المرضية والجنون، و لم يعتبره داء ولا نعمة وإنما مجرد ملمح إنساني لازمه منذ أن فتح عينيه إلى غاية آخر يوم من عمره إما طواعية وإما قسرا. أما "سبينوزا "فقد رأى بأن المرض العقلي مظهر من مظاهر"**الفشل في الحياة وفقا لمتطلبات الطبيعة البشرية**"[3] فلم يخصّه بالجانب البيولوجي أو الفيزيولوجي للفرد بل بمحيطه أوّلا و أخيرا.

والكلمة الأجنبية **alienist** "**تطلق على الطبيب المختص في علاج الأمراض العقلية**"[4]والطبيب في هذه الحالة يتعامل مع غير الأسوياء، وهو يعالج المغترب المعتلّ الذي يعاني من قصور عقلي ومن شلل ذهني، والاعتقاد أن المغترب هو المريض إنّما من منطلق معناه في اللغة اللاتينية القديمة ومن منظور علم النفس العيادي.

---

[1] أندريه لالاند،موسوعة لالاند الفلسفية،تعريب:خليل أحمد خليل،منشورات عويدات،مج (a-g) بيروت،لبنان،ط2 ،2001م،ص43.

[2] المرجع نفسه،ص44.

[3] إيريك فروم،الإنسان بين الجوهر والمظهر،تر:سعد زهران،عالم المعرفة،الكويت،1989م،ص87.

[4] محمد عباس يوسف،الاغتراب والإبداع الفني،ص21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جـــ-الابتعاد عن البشر(العزلة):

وُجد الإنسان ليتكيّف مع الوسط الذي يعيش فيه، وليحقق ذاته وكيانه وهذا الأخير أدقّ من الوجود لأن الكينونة أشمل وأعمق فهي"**الخروج الطبيعي إلى الكون وهي الوجود المتحقق**"[1]بمعنى أنها احتوت الوجود وتجاوزته شريطة اقترانه بالفعلية والتفاعلية مع كل ما يحيط به، وبالإثبات المتجسد كأسلوب للحياة، وهو الوجود الفردي الذي ينفي مسلك الاستغلاق، بمعنى ألاّ تكون الذات الإنسانية منغلقة على نفسها والسبب في ذلك هو تحطيمها للروابط، وكسرها للجسور التي من شأنها أن توفر الحميمية، والتآلف بين الفرد وبين الناس؛ فتفضل النفس الانفصال عن باقي الأنفس وتميل إلى العزلة والانطواء على ذاتها، وهذا ما تداوله الدارسون والمستهوون لهذا المصطلح كأوّل استخدام تقليدي، وإن حافظ على استمراريته فصارت الغربة بين البشر مظهرا من مظاهر الاستعمال المعاصر لهذا المصطلح.

د-الموضوعية(الاستقلالية):

والمقصود بالاستقلالية هنا أن الفرد يفكر في نفسه وفي غيره من منطلق أنه شيء مستقل بذاته ولا علاقة تجمعه بغيره من الأفراد، ولا وجود لروابط الصلة أو الاتصال بينهم، فوعيه بغيره سببه الشعور بالوحدة، وغضّ الطرف عن طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تربطه بهم لا الفشل أو اليأس من كل ما يحيط به، وهذا ما أثبتته البحوث المختصة في اعتبار أن هذه الوضعية(بمعنى اعتبار الاغتراب نوع من الموضوعية)"**غالبا ما تكون مصحوبة بالشعور بالوحدة والعزلة بدلا من التوتر والإحباط**"[2].

هـــ-تصدّع المعايير (اللاّمعيارية):

[1] سعيد العشماوي،تاريخ الوجودية في الفكر البشري،الوطن العربي،بيروت،لبنان،ط3 ،1984م،ص21.

[2] قيس النوري،الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا،عالم الفكر،مج10، ع1، ،الكويت، ماي 1979م،ص14.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استند معظم الاجتماعيين في تحديد هذا المفهوم إلى توصيف "إميل دور كايم" للأنومي أو ما يعرف باندثار القيم والمعايير وتشقّقها، لأنها حالة تصيب المجتمع فتنهار المعايير أو النظم والأنساق التي تنظم السلوك الإنساني وتوجهه أو هي كما يعرفها "سيمان""**الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة أن أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعيا غدت مقبولة تجاه أية أهداف محددة أي أن الأشياء لم يعد لها أية ضوابط معيارية**"[1] وبغياب هذه الضوابط والقواعد يظهر ما يعرف بالأنومي كمظهر من مظاهر الاغتراب. ومن ثم جاءت مرحلة براديغم هيجل الذي ناقش الاغتراب في كتابه"**ظاهريات العقل الكلي**" وحاول في مؤلفه المذكور أن يقوم بدراسة التطورات الذهنية للبشر وكيف أسهمت بدورها في خلق العالم وتغييره عبر نشاطاتها المختلفة، وابتكاراتها التي هي وليدة روحها الإنسانية، لذا سيحاول البحث إبراز ازدواجية دلالة المصطلح لدى هذا المثالي الأولى إيجابية والدّلالة الثانية سلبية استخدمه بالمفهومين اللاهوتي من باب التأصيل والفلسفي من باب التساؤل والتأويل.

1-5 مفاهيم هيجل وأتباعه للاغتراب:

1-5-1 المفـــــاهيم الهيــغلية:

تم اختيار هذا العنوان لأن مفهوم"هيجل" للاغتراب قد انسحب على باقي الفلاسفة المعاصرين له أو الذين جاؤوا من بعده، ولأنه لا يغيب عنّا أن لكتاباته الفضل الكبير في تعميق قضية الاغتراب كظاهرة فلسفية ومن ثم اجتماعية، وكحالة نفسية شعورية يعاني منها كل فرد طوعا أو كراهية. ولأن المصطلح أقدم من فلسفته نجد أنه قد انطلق من المحاولات التي سبقته أي جهود الفلاسفة القدامى والكتابات اللاهوتية، ليرصد تغيرات دلالة المفهوم، وليصبغه صبغة أعطته أبعادا أعمق وتأثيرات أرحب وأكسبته بعد ذلك دلالة مزدوجة تباينت لاختلاف المنطلق والخلفية المعتمد عليها في التحديد والتأسيس. فالاغتراب عند "هيجل" هو "**أن يضيّع الإنسان شخصيته الأولى**

[1] يحي الجبوري،الحنين والغربة في الشعر العربي،ص19.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصير إنسانا آخر أغنى من الأول، فالإنسان يضيع نفسه عندما يصبح غريبا عنها، أي عندما يفقد حريته ويصبح مصهورا في مجتمع لا يعترف له بأي استقلال ذاتي"[1]. وكأن الإنسان مكلف بمهمة صعبة تكمن في البحث عن شيء قد ضاع منه، والمتمثل في ذاته ليقع ضحية الاغتراب الذاتي"self estrangement" أما البحث هنا فيكون"**بمحاولة تحديد الهوية بوساطة تحديد خصائصها وجوهرها الشخصي في ضوء ماضيها وحاضرها، وإمكانياتها الفكرية والسيكولوجية والفيزيائية"**[2] لذا لابد من تشابك الإمكانيات السابقة حتى تؤسس لفكرة وحدة الجوهر أو مقاربة كماله. كما يذهب "هيجل" إلى أن الاغتراب يعد بحقّ حالة من"**اللاّقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على ممتلكاته"**[3] فبعد أن ربط الظاهرة بذات الإنسان يتوجه وجهة أخرى حتى يربطها بحريته، وذلك بأحقية هذا الموجود البشري في الاستحواذ على ممتلكاته والسيطرة عليها أو في عجزه عن ذلك تماما.

وإذن فقد استخدم هيجل مصطلح الاغتراب بمعنيين اثنين هما:

أ/المفهـــوم اللاهوتي:

ويقصد به "**انفصال الذَات عن الجوهر الاجتماعي واغتراب الرّوح عن ذاته"**[4] وتحديده لهذا المفهوم كان بالارتكاز إلى أبعد استخدام فكري لكلمة اغتراب، والذي يعود إلى اللاهوت البروتستانتي المسيحي مع كل من"لوثر"و"كالفن"حيث رفض هذا المذهب-البروتستانتي-"**فكرة التوسط بين الله والإنسان ونادى بالغربة بين الذات الإلهية والذات البشرية"**[5] وهذا النوع من التمرّد والمؤيد للمفاهيم اللاهوتية حاضر في التراث الإغريقي، وبالأخصّ في فن المسرح الذي ظهر

---

[1] جميل صليبا،المعجم الفلسفي،بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ،دار الكتاب اللبناني،لبنان،ج 1،1982م،ص765.

[2] سمير حجازي،معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة،دار الراتب الجامعية،بيروت،لبنان،ص173

[3] حليم بركـــات،الاغتراب في الثقافة العربية،متاهات الإنسان بين الحلم والواقع،مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان ،ط1 ،2006م،ص37.

4 زينب محمود شقير،مقياس الاغتراب النفسي،ص2.

5 فيصل عباس،الاغتراب،ص21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كجزء من عبادات اليونان لينفصل فيما بعد عن المعابد إلى عامة الناس ومن ثم إلى المتعة الفنية،وقد جسد هذه المناهضة على سبيل المثال المسرحي الشهير"يوريبيدس" الذي دعا إلى تمجيد الذّات البشرية معبّرا عن آرائه الدّفينة بتقليص دور الآلهة في مجموع مسرحياته، وتقزيمها في أعين النظّارة لما جعل الآلهة"إلكترا"مثلا مجرّد فتاة تصول، وتجول لجلب الماء كغيرها من الفتيات، وتتزوج فلاحا بسيطا فألغيت بذلك الوساطة والتّماهي المبالغ فيه بين الإنسان والإله،وبيّن كيف أنه بالإمكان أن يعيش الفرد اليوناني بعيدا عن الآلهة وفي استقلال كلّي وتام.

وهذا الأمر قد نبذه هيجل وبشدة حين نادى بضرورة اتصال الإنسان بالله، وانتقد الديانة اليهودية "**باعتبارها ديانة تقوم على القهر والاستعباد والفصل بين الله والإنسان، واعتبر المسيحية أيضا ديانة تؤدي إلى تغريب الإنسان عن ذاته**"[1] ومنه فإن للدّين الأثر البالغ في اغتراب الإنسان وابتعاده عن الله بفعل التشدد والخنق، وفرض معتقدات تتنافى ومراده.

ب/المفهـــــوم الفلسفي:

ويعني به تنازل الفرد عن استقلاله الذاتي وتوحده مع الجوهر الاجتماعي، وهو ما أسماه بالتسليم، الذي وضعه ليقهر به المفهوم السابق بإعادة فكرة التوحّد مع البنية الاجتماعية، لأن كل موجود بشري اجتماعي بالضرورة على حد تعبيره، وإذا اغترب الإنسان"**فهو مغترب بالضرورة إما عن ذاته أو مجتمعه**"[2]وهذا ما ستوضحه المعادلة التالية التي تبين تلازم كل من الاغتراب الذاتي والاجتماعي والعلاقة السببية الجلية بين كليهما وهي كالآتي:

اغتراب الإنسان = اغتراب عن الذات(الجوهر) = اغتراب عن البنية الاجتماعية

1 المرجع نفسه ،ص64.

[2] زينب محمود شقير،مقياس الاغتراب النفسي،ص2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولطالما ارتبطت فكرة الاغتراب عند "هيجل" بالاغتراب الذّاتي فهو"**تلك العملية التي من خلالها يفقد الإنسان جزءا من ذاته في الوجود الخارجي**"[1] هذه الفكرة التي يمكن كما يرى "ريتشارد شاخت" إعادة "**صياغتها بلغة الفشل في تحقيق هذه الذاتية، من جانب الأفراد الذين حصلوا عليها سواء بسبب منعهم من ممارسة هذه الذاتية أو من خلال الإغراء بالابتعاد عنها**"[2] ولا ينبغي أن نغفل أن الاغتراب"**Entfremdung**" لدى "هيجل"حقيقة أنطولوجية مرتبطة وبشدة بالوجود تستمد جذورها من وجود الإنسان في عالم أصبحت فيه كل القيم، والأشياء بلا معنى. والاغتراب"**انفصال للإنسان عن ذاته وأفعاله، وعن الآخرين فتصبح الأشياء غربته فيسقط في نوع من العبودية، على عكس الحرية فهذه الأخيرة هي امتلاك الإنسان لذاته امتلاكا تاما**"[3]. كما يربط بين اغتراب الفرد والثقافة السائدة في المجتمع"**فالفرد يغترب حين يشعر بالتناقص بينه وبين الدولة*وبالتالي يولد الشعور بالاستلاب**"[4].

إن هوية وكينونة الفرد كعضو وكجزء في الكل العضوي وهو الدولة–التي يتجسد كيانها العقلي في الوجود العقلي البشري–تتحقق في هذه الذات الكبرى للإنسان، التي يجعلها هيجل ذاتا لأحقيتها في الوجود والاستمرارية فخصّت بكيان متميز على الفرد الاتصال به، والتواصل معه أو كما يرى بأنها"**الكلية الواقعية والعقلية التي ينتمي إليها الأفراد،ويكون ذلك عن طريق تحقيق سلطتهم فيها**"[5] ومن خلال هذا الرأي يمكن تسليط الضوء على تشكيل وجودي آخر ومحيط

[1] فيصل عباس،الاغتراب،ص10

[2] ريتشارد شاخت،مستقبل الاغتراب،تر:وهبة طلعت أبو العلا،منشأة المعارف،الإسكندرية،مصر،2001م،ص250.

[3] المرجع نفسه،ص ص(62-63).

*والدولة عند هيجل هي"تجلي الروح في التاريخ وبالتالي فالدولة هي الروح ذاتها"،ينظر:عائد محمد بن حرب،صوفية الفكر الفلسفي،الأهلية للنشر والتوزيع،الأردن،ط 1،2001م،ص 195.

[4] محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني،ص7.

[5] عدنان بن ذريل،أشكال الاغتراب وتجاوزه،الموقف الأدبي،اتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،آب، ع 304 م،1996م،ص 328.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فرض سلطته على الفرد كحتمية قاهرة ألا وهي الدولة(المجتمع)، ويعتبرها بدوره النقيض الذي لا بد من توسله لقهر الاغتراب، والتغلّب عليه ويتم ذلك"**بالتسليم أو التخلي عن الإرادة الجزئية الفردية لحساب الإرادة الكلية أو الدولة**"[1].

ولا يتم قهر الاغتراب إلا عن طريق التسامي بالذّات أو تأطير هدف للوجود الإنساني لتحقيق معنى يُكسبه تعبيرات إيجابية متزامنة في كافة الجوانب، وفي شتى الميادين إلى أن يصبح وجوده متجاوزا"**Transeendence**" للواقع ومتطلعا إلى المستقبل، فيتمتع الفرد بنوع من الضمير السعيد"**الذي يتجاهل به سلبيات المجتمع ويبرَرها،فيرى أن المجتمع المعاصر يطيل الحياة ويعمل على تحسينها**"[2] كما يربط "هيجل"العمل الفنَي بفكرة التّحرر من الاغتراب"**فالإنسان يفعل هذا**(بمعنى أنه يبدع) **لكي يتمكن كذات حرة سلب العالم الخارجي من غربته**"[3] فهو هنا يبرز كيفية التمتّع بشكل الأشياء ونسقها، ولكن بحقيقة خارجة عن نطاق نفسه وذاته، فلابد للمبدع أوالفنان أن يغترب ويتملّص من ذاته حتى يكسب أعماله طابع الابتكارية، والجدية والشفافية في بعض الأحيان، فالجمال والفن بمثابة المنجاة والمخلص الوحيد من حالة الاغتراب عن النسيج الاجتماعي لأنهما-حسب هيجل-"**يهدئان من حزن حالتنا وتحيرات الحياة الواقعية**"[4] وعلى هذا الأساس فإن مفهوم الاغتراب-كما يصوره لنا هيجل- ذو طبيعة مزدوجة حيث يستخدم بمصطلحين مختلفين:

1-**المصطلح الأول:entfremdung** بمعنى الانفصال أو الانقسام وعدم التعرف على الذّات وهو معنى سلبي.

[1] محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني، ص10.

[2] سهير عبد السلام،الاغتراب عند هربرت ماركيوز،ص65.

[3] مجاهد عبد المنعم مجاهد،جدل الجمال والاغتراب،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،1997م،ص84.

[4] المرجع نفسه،ص82

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2-**المصطلح الثاني:entaeusserung** وهو المفهوم الأساس في ظاهريات العقل الكلي ومعناه التّخارج أو التّموضع، وهو اغتراب ضروري وايجابي حيث جعل التخارج عملية ميتافيزيقية شرطا لوجود الطبيعة والتاريخ[1].

ثم توالت الجهود بعد "هيجل" فتنوعت بذلك مفهومات الاغتراب، واكتسبت أبعادا أخرى اختلفت بحسب وجهات نظر الباحثين، فمنهم من فسّرها اعتمادا على مرتكزات نفسية وعلى مقومات التحليل النفسي، فجاء بما يعرف بالاغتراب النفسي أمثال "سيغموند فرويد" و"إريك فروم"في مؤلفه "الخوف من الحرية" وغيرهم.

1-5-2 مفاهيم الأتبـــــاع:

تأثر الباحثون بمفاهيم "هيجل"حول الاغتراب خاصة وأن هذه الظاهرة قد فرضت نفسها وبقوة في ميادين تخصص هؤلاء، لذا تضاربت وتمايزت آراؤهم حول هذه القضية بفعل المنطلق المغاير والمستتبع للوازم النتائج المتوخاة من دراستهم، وقد تم التركيز على أشهرهم، وأقربهم ملامسة لما يخدم مقاربة موضوعة البحث.

أ-سيغموند فرويد: (الاغتراب والتحليل النفسي)

لا يغيب عنا أن النفساني "فرويد" قد أسس مدرسة التحليل النفسي كنظرية لا تتواءم مع غيرها من النظريات أو تلغيها، وإنما تضيء كثيرا منها وتهتم من خلالها بتمثيل الذات وتجسيدها وبفعالية جادة سلوكاتها وطرق تحويل رغباتها وترجمتها إلى ذاكرة أو فعل لغوي بنّاء، والتّحليل النفسي وُجد ليفسر السلوك الإنساني، ويرجعه إلى عوامله وأسبابه بالتوسّل بنظريات وصل إليها أصحابها **"بعد طول نظر و تأمل وتجارب على مختلف الحالات المرضية السائدة كأمراض العصاب مثلا"**[2]

[1] محمد عباس يوسف،الاغتراب والإبداع الفني، ص40.

[2] ميجان الرويلي،سعد البازعي،دليل الناقد الأدبي"النقد النفساني والتحليل النفسي"،الدار البيضاء،المغرب،ط4 ،2005م،ص331.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهناك من يسمّي التحليل النفسي بالنشاط اللاشعوري للفكر البشري، وهذا هو الأساس لأن"**اللاوعي في مدرسة التحليل النفسي هو نظرية الاغتراب التي يتأسس عليها اغتراب الإنسان المعاصر منذ الطفولة**"[1] فيصبح الاستلاب بذلك خارجا عن الإرادة ونوعا من الاضطراب كسمة أساسية من سمات العصاب، وهذا ما أدّى بالسيكولوجيين إلى اعتباره حالة نفسية اختلطت و تطابقت إلى حد كبير مع العديد من الظواهر النفسية كذلك مثل"**الاعتكاف والعزلة والانطواء والقلق...**"[2].

وقد اعتمد "فرويد"في تحليله للظواهر الكونية والحوادث التاريخية على شروحات التحليل النفسي رغم ما أعيب عليه في إقراره بأنه لا وجود للفروقات الفردية بين البشر، فتعمقت بحوثه في مكامن الذوات المتشابهة حتى يفسّر الاغتراب على أنه ظاهرة فردية نشأت نتيجة "**للصراع القائم بين الذات وضوابط الحضارة فتتولد لدى الفرد مشاعر الضيق والقلق بسبب تعقيداتها**"[3] فإن تعلّقت أهواء الفرد الداخلية منها والخارجية بمقتضيات المحيط الاجتماعية والثقافية، تتعارض وتلك الأهواء بعض المظاهر الفاسدة فتقيّد رغباته ليعيش في صراع دائم بين رقيبه الأخلاقي والمتمثل في الأنا الأعلى، وبين وهْم الحضارة التي تعد مصدر ومبعث الأمراض النفسية "**لأن متطلبات التمدنية جعل الحياة قاسية للغاية بالنسبة إلى أكثرية الناس،فتسهم بدورها في ظهور الأعصبة**"[4].

ب–إريك فروم:

[1] أميرة علي الزهراني،الذات في مواجهة العالم،تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية،المركز الثقافي العربي،المغرب،ط1 2007م،ص33.

[2] محمد عباس يوسف،الاغتراب والإبداع الفني، ص135.

[3] المرجع نفسه،ص58.

[4] فيصل عباس، الاغتراب ،ص300.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقر "إريك فروم" في مؤلفه"**المجتمع السّوي**"**the same society**"بأن الاغتراب نوع من الخبرة. وكأنه نوعية من التجارب التي يساير فيها المرء ذاته فتصبح غريبة عنه فيشعر بأنه "**عاجز عن التحكم في أفعاله فتسوقه وينساق وراءها**"[1] ليحس بالانفصال عن ذاته الغير حقيقية والمزيفة بفعل الضّغوطات الاجتماعية فلا يتماثل مع معايير مجتمعه، بل يأتي بنواميس جديدة تطرحها ذاته الشاذّة بسبب عدوانها ورفضها لهذه المعايير.

كما يرى "فروم" بأن الاغتراب عن الآخرين هو"**الشرط الضروري لأكثر العلاقات الإنسانية ثراء كالحب الذي يفترض اغترابا مسبقا**"[2] فلإقامة روابط وصلات جديدة مع بعض الرفاق لابد من الانفصال نوعا ما عن كل العوامل، والمؤثرات التي من شأنها أن تعكر صفو هذه الغاية النبيلة في انتقاء أحباب الدرب، وفي النشاط المغترب لا"**يشعر الإنسان بنفسه فاعلا لنشاطه،بل لا يشعر بنتاج نشاطه فيشعر به كشيء بعيد عنه جاثم فوقه وضده**"[3] وللإشارة فقط استمد هذا الباحث مفاهيمه الخاصة بالاغتراب من أفكار "كارل ماركس" كما اعترف بفضل هذا الأخير عليه لما أكسبه بعض المعارف المنمية لما جاء به من آراء ومنه ونظريات، و"فروم" يعترف بأن معظم نشاطات الناس في وقتنا سلبية ومختلفة، ويعتبر ظاهرة الاغتراب ظاهرة نفسية تؤدي إلى إحساس رهيب يحسه الفرد ليصبح"**غريبا في هذه الدنيا، بل غريبا عن نفسه، لا يشعر أنه مركز العالم أو أنه خالق لعمله متحكم فيه**"[4] .

وقد استعار"ماركس" مفهومه للاغتراب في الأساس من النزعة الرومانسية الألمانية ليعني به"**انفصال الإنسان عن بيئته الطبيعية التي يعد جزءا منها فلا تصبح علاقته بها مباشرة وودية**"[5]

---

[1] زينب محمود شقير،مقياس الاغتراب النفسي ،ص4.

[2] محمد عباس يوسف،الاغتراب والإبداع الفني، ،ص59.

[3] إيريك فروم،الإنسان بين الجوهر والمظهر،تر:سعد زهران،عالم المعرفة،الكويت،1989م،ص83.

[4] إيريك فروم،المجتمع السليم،تر:محمود محمود،مكتبة الأنجلو مصرية،القاهرة،مصر،1960م،ص89.

[5] خالد حامد،المدخل إلى علم الاجتماع،جسور للنشر والتوزيع والتوزيع،الجزائر،ط1 ،2008م،ص79.

*(هكذا) وجدت "غير" معرّفة بالألف واللاّم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما وضعه في إطار اجتماعي"**معتبرا إياه أثرا سلبيا للظلم الكامن في الحياة الاجتماعية وعلاقات الإنتاج الغير سوية***"[1] والتعسف البروليتاري بدا واضحا واعتاد قمع اليد العاملة المنتجة، وحرمانها من أبسط حقوقها فوقعت ضحية الاستغلال الكبير لصالح أصحاب العمل والمشاريع وكذا حاجات السّوق التي تتضاعف يوما بعد يوم دونما أدنى اعتبار للطاقة العضوية المقهورة.

وقد تبنّى ماركس ما ذهب إليه "توكفيل" فرأى بأن الاغتراب"**إهدار لقدر الإنسان وحط من فرديته في ظروف المجتمع الحديث الذي تسوده النزعة العلمانية وتقسيم العمل والانفصال عن الأصول التقليدية**"[2] ويعتبر بدوره أن السّبب في ضياع الوجود الإنساني وتحويل الفرد إلى مجرّد"**موجود فيزيولوجي يمكن استبداله بآخر إنما هو الاغتراب الذي أدّى إلى الحطّ من قيمة الحياة**"[3] .

وإن كنا نعيش زمن العولمة، التي كانت عاملا فاعلا أدى إلى تفاقم ظاهرة الاغتراب فماركس أخذ عن "توكفيل" أيضا فكرة تقسيم العمل وربط بذلك انعزال الفرد بالعمل والإنتاج فبرز ما يعرف الاغتراب الاقتصادي. وهذا ما قام به "دوركهايم" فقد تناول تقسيم العمل الأنومي معتبرا الاغتراب مجرّد"**اقتلاع للمعايير التقليدية من نفس الفرد**"[4] كما شدّد بدوره على فكرة"**تفكك القيم الاجتماعية والثقافية وفقدانها السيطرة على السلوك الإنساني وضبطها**"[5] فنجده يفسر حدوث بعض الظواهر الإجرامية كالانتحار مثلا بضياع الفرد في هذا العالم المليء بالتعقيدات وبعجزه عن الانسجام والانتماء وانعزاله الكلّي عنه.

---

[1] محمد عباس يوسف،الاغتراب والإبداع الفني ،ص8.

[2] علي شتا،الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية،مكتبة الإشعاع الفنية،مصر،1997م،ص22.

[3] حسن حنفي،في الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت،لبنان، ط4 ،1990م،ص431.

[4] المرجع نفسه،ص22.

[5] حليم بركات،الاغتراب في الثقافة العربية،ص43.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما فسّره-دور كهايم-بضعف الضّمير الجمعي، فنستحضر ما يعرف باللاوعي الجمعي"**collective unconsciousness**" الذي ظهر مع النفساني "كارل يونغ" ومردّه أن"**الإنسان يحتفظ وراثة بمعارف تعود إلى ما قبل التاريخ**"[1] وموجود في قسم من الدماغ مسؤول بدوره عن احتواء هذه الخبرات الفردية والجماعية القائمة على ترسّبات الحياة العقلية لكل فرد.

ومن منظور"يونغ" للاّوعي الجمعي يمكننا أن نسنّ لأنفسنا فرصة الإسقاط وربط المفهوم الاجتماعي لدى دوركهايم بالمفهوم النفسي عند "يونغ"،حيث إن المفهوم الأخير يشترك وسابقه في تقنية الاحتفاظ(لأنه عالم خاص بالمكبوتات الإنسانية)وبالتالي التعوّد على تقبل ترسبات معينة يفرضها المجتمع الخارجي عبر الأزمنة والعصور، ومنه فالخروج بأية كيفية عن هذه الخبرات الجماعية الخاصة بالمجتمع معناه رفض المحيط بأكمله، والعداء الكلي نحوه لا لشيء سوى لأن الفرد قد انسلخ كلّية عن مبادئ الجماعة وانمحى فيه عامل توحيد الفكر والضمير.

2- أبعاد الاغتراب ومظاهـــره:

للاغتراب مظاهر وأبعاد ميّزته عن باقي الظواهر والحالات، وقد حصرها الباحثون في خمسة مظاهر، استلهموا بعضها من الدّلالات القديمة السابقة لمرحلة أب الاغتراب، أمّا البعض الآخر فقد تم التأسيس له تبعا للمعطيات العصرية التي أكسبت الظاهرة آفاقا أضحت زوايا يُتوسّل بها لتحليل العواقب والأعراض الدّالة عليها، وتكمن أبعاد الاغتراب فيما يلي:

2-1 العجز:powerlessness

أشار عالم الاجتماع "ميلفن سيمان" إلى ما يعرف بفقدان السيطرة" control lossing" وساواه باللاَقدرة أو العجز، فإن عانى الفرد من العزلة والضياع يفقد بالضرورة التحكم في ذاته وانفعالاته وممتلكاته، ويُحرم من الملكية التي يرى "هيجل" بأنها"**وصف مجرّد لا علاقة لها بالإنسان**

[1] أحمد حيدوش،الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث،ديوان المطبوعات الجامعية،الساحة المركزية،بن عكنون،الجزائر،ص30.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفيها تتمثل الإرادة الفردية"[1] ويعجز عن التأثير في المواقف الاجتماعية التي يتفاعل معها أي أن الفرد المغترب في نظر "سيمان" غالبا ما يشعر بأنه لو"**أراد تحقيق أهدافه فإنه يجب عليه عدم التصرف بموجب المقاييس المتعارف عليها اجتماعيا وأخلاقيا**"[2] فوكأنّه يشجّع الفرد على التمرد والعصيان بغية تجسيد الذّات وبلوغ المراد تحت غطاء الرفض، والانغلاق على النفس ومردّ ذلك عجز هذا الفرد عن تقرير مصيره في مواقف أرهقت بثقلها كاهل تفكيره وطموحاته، فلا يمارس الضّبط المطلوب، بل يشعر باليأس والخنوع والاستسلام.

2-2 اللاّمعنى:meaninglessness

إن ضياع المرء في هذا الوجود معناه الانفلات الكلي من كل مقومات كينونته الحقيقية والتي تصبّح ضده بأي شكل من الأشكال وحقيقتها إنما تتطلب انتماءه إلى باطنه، ومن ثم إلى واقع العالم من حوله، فلا يعرف بذلك للحياة قيمة أو معنى والسّبب فيه هو ضياع المغزى بالنسبة لوجوده الذي يفترض الاندماج والاتصال، وبغياب هذين الأخيرين يجد نفسه في حيّز خال من كل بواعث فهم المحيط أو استيعاب فرضية الوجود، فتعطب الحركة الدياليكتية بينه وبين واقعه للتعارض الشديد الذي لن يتم قهره إلا بصياغة الوطر وبالتالي ترسيخ البناء القيمي المحقق لمعنى الحياة عموما.

2-3 تصدّع المعايير: (اللامعيارية) normlessness

استند معظم الاجتماعيين في تحديد هذا المفهوم إلى توصيف "كايم" للأنومي أو ما يعرف باندثار القيم والمعايير وتشققها، لأنها حالة تصيب المجتمع، فتنهار المعايير أو النظم والأنساق التي تنظم السلوك الإنساني وتوجهه أو هي كما يعرفها "سيمان" الحالة"**التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة أن أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعيا غدت مقبولة تجاه أيّة أهداف محددة، أي**

[1] حسن حنفي ،في الفكر الغربي المعاصر، ص402.

[2] عبد القادر شريف بموسى،قراءة جديدة في حكايات ألف ليلة وليلة،الاغتراب ورمزيته في حكاية الصياد والعفريت،التراث العربي، ع106 ،ص146.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن الأشياء لم يعد لها أية ضوابط معيارية"[1] وبغياب هذه الضوابط أو القواعد يظهر ما يعرف بالأنومي، والذي يبرز-بكونه مظهرا من مظاهر الاغتراب-على ثلاثة أنماط:[2]

أ-النمط الأول:بمعنى غياب القيم التي قد تعطي الغرض أو المرشد للحياة.

ب-النمط الثاني:يقصد بهذا النمط عند كل من "دي جرازي"و"هورني"ذاك النوع الراجع إلى صراع المعايير في شخصية الفرد المنطوي على نفسه.

جـ-النمط الثالث: مشتق من فهم دور "كهايم" للأنومي باعتبار أن هذا الأخير يتسبب في الشعور بالانفصال عن الجماعة وعن معاييرها.

ولو اعتبرنا بأن المجتمع آلة متحركة تعوّدت على سلوكات معينة تعكسها خبرات البشر أو اكتساباتهم الحياتية، فإنّه غير مسؤول عن وجود حالات من التعارض والإمحاء الفرضي أو الاضطراب البيئي، حيث لا مجال للأهداف النبيلة ولا سبيل للاستقرار أو بزوغ القيم هذه الأخيرة التي وإن ضاعت فإن ما يعرف بكابوس الأنومي سيدخل ساحة المجتمع ليهدم أسسه، ونواميسه ويصير بذلك السبب المباشر في ضياع الفرد، وفي عدم اندماجه لا فكريا ولا حضاريا مع هذا الكابوس المرعب والمخالف للمقومات الروحية والأخلاقية لهذا اللاّمنتمي.

فالاغتراب هو انعدام للمعايير في النسق الاجتماعي وينجم عنه تباعد شديد بين الأهداف الثقافية للبنية الاجتماعية وبين وسائل المؤسّسات، والتداخل واضح جدا بين اللامعيارية أو الأنوميا وبين الاغتراب وقد فسّر"ميرتون" الأنوميا بأنها "**اغتراب المرء عن الأهداف والقواعد التي وضعها المجتمع"**[3] فلا يهمّ إذا كان لهذا المرء مثلا رفاقا أو أصدقاء أو أنه قد عاش سعيدا أم تعيسا بل اغترب هنا لأسباب ودوافع أخرى حتى فقد الانسجام مع المحيط الاجتماعي كوجه عام لا مع

[1] يحي الجبوري،الحنين والغربة في الشعر العربي،ص19.
[2] علي شتا،الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية،ص267.
[3] ريتشارد شاخت،مستقبل الاغتراب،ص181.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأفراد، وإذا تلاشت القيم والمعايير فقد الفرد ثقته في ذاته وفي غيره، وصار يعاني الفراغ النفسي والاجتماعي على حد سواء لينطوي على ذاته، وينسى العالم من حوله ويتزلق لا محالة إلى مزالق اليأس والعناء.

2-4 العزلة الاجتماعية:social isolation

وهي مظهر من مظاهر الاغتراب فبعد أن وجد الإنسان بأن علاقته مع حياته الطبيعية والاجتماعية قد آلت إلى علاقة شبيهة بعلاقة الإنسان البدائي بالصنم وهو-الفرد- مجرد مطيع لا خلاص له من الواقع المحتوم والمأزوم، يفتقر إلى الأمن والاندماج النفسي فيحيا بذلك"**حياة عزلة واغتراب لا يرى من خلالها قيمة كبيرة للأهداف والمفاهيم التي يثمنها أفراد المجتمع**"[1] وما رافد هذه العزلة إلا مفارقات هذه الحياة ومعضلاتها العويصة التي انبثقت من صميم شؤون الحياة وملابساتها، ومعطياتها مما يجعل الفرد يحسّ بمسافة كبيرة بينه وبين الآخرين، ولهذه المسافة انعكاسها وأثرها السلبي على سيكولوجية هذا الإنسان، لأنه في زمان قد فُرض الشر فيه بالقوة مهدّدا بذلك الكيان الإنساني ومصيره بتحطيم وإلغاء تفاعله مع بيئته الاجتماعية.

2-5 الانفصال عن الذات:self-estrangement

هناك من يرى أن اغتراب الفرد عن ذاته ما هو إلا ابتعاد عن أقرانه من البشر الذين يحيطون به وقد يعود السّبب في ذلك إلى ما يعرف بالتفاضل الاجتماعي"private exellence"وهو أن كل إنسان يرغب دائما في أن يعيش أفضل حياة، ومع أنّه اجتماعي فهو ليس كذلك كلية، لأنه قد يؤْثر الوحدة حتى ينعم بالسعادة في مجتمعه بكل حرية ولأن لديه"**أفكارا قد تكون حكيمة أو خرقاء نبيلة أو وضيعة، مملوءة بالمحبة أو مشحونة بالبغضاء**"[2] فكل ما يهمّه هو تحقيق الطوباوية حتّ وإن كان جسر الوصول إليها يناقض مبادئه وينافيها، فيتمرّد على نفسه ويؤثر الانصياع إلى

[1] يحي الجبوري،الحنين والغربة في الشعر ،ص19.

[2] برتراند راسل،السلطة والفرد،تعريب:شاهر محمود،دار الطليعة،بيروت،لبنان،ط1 ،1961م،ص135.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كل ما هو بليد بغية رغد العيش والوصول إلى أعلى القمم، فيعجز الفرد على التواصل مع نفسه ويستسلم لأفعاله وقد تكون العلاقة السببية بين الاغتراب عن الذات، والانفصال عن المجتمع عكسية، بمعنى أن اغترابه عن باقي الناس، وعدم توافقه معهم قد يؤدي به إلى التأمل في ذاته للبحث عن البواعث والعلل وقد يخلص إلى أنه المختل وغير السوي وبالتالي ينفصل إمّا ليقوّم الاعوجاج أو ليحدث الانسجام.أما إذا حدث العكس فإن انفصاله عن ذاته سيؤدي إلى نفوره من إقامة أيّة علاقة مهما كان صِنفها لأن الأمر يستدعي معالجة الذّات بغية التعايش أولا وأخيرا.

3- منطلقات الاغتراب:

بعد أن تطرقنا إلى توصيف مصطلح الاغتراب وجدنا بأن لهذه الظاهرة أسبابا أدّت إلى ظهورها وتفاقمها، فلم تأت من العدم خاصة وأنها قد تعلقت بأهم مخلوق ألا وهو الإنسان والتصقت به ويعدّ بدوره أحد أهم هذه الأسباب، والباعث الرئيس لها حتى نجمت من جرائها تلك المواقف الاغترابية ومن أبرز منطلقات هذه الظاهرة ما يلي:

3-1 الاجتمـــــاعية:

لا مناص من أن الموطن الأكبر لأي فرد من الأفراد هو المجتمع، لذا فلابد من التأثر والتأثير المتبادل ولأننا أمام ظاهرة في ظاهرها سلبية وتعكس نوعا من التأزم المحتوم لابد أن لاندثار القيم وممارستها لتلك الضغوطات "**باتجاه التراجع أو باتجاه السكون والمحافظة الأثر البالغ في تجميد التقدم الذي تطمح إليه كل ذات إنسانية**"[1] كسعي حثيث منها لتجسيد طموحاتها المفعمة بالآمال والخير والتغيير نحو الأفضل، لكن النظام الاجتماعي يسود ليفرض بتناقضاته حالة من عدم التوازن أو الانسجام لما يتضمنه من عوامل مضطربة توقع الأفراد في"**الحيرة والتخبط وحالة**

[1] سليمان حسين،مضمرات النص والخطاب،في عالم جبرا إبراهيم جبرا،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،1999م،ص208.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعارض والصراع بين الشعور وبين اللاشعور وبين المكتسب والموروث"[1] فيكتئب المرء ويتذمّر من هذه القيم السلبية، لأنها تتباين وقيمه الخاصة، يجد نفسه بين أحضان عالم غريب رهيب ومجتمع مزيف يحمي الرذيلة والتخلف، ويرمي إلى الخنق وسلب الحريات، ونظرا للأزمات والصراعات التي جعلت من المجتمع المعاصر مجتمعا متناقضا كان الضحية الأول والأخير هو الإنسان الذي ولج عالم الأشياء وسيطرت عليه سلطات همّشته إلى أبعد الحدود، ودمرت قدرته على التكيف البيولوجي والثقافي مع بيئته الاجتماعية. وما الانتشار الواسع لهذه الانحرافات المشهودة والسلوكات العنيفة والإجرامية إلا خير دليل على نمو وتفاقم هذه الظاهرة-حسب تفسير "دوركهايم" للجرائم الإنسانية- وفقدان صمّام الأمان الذي لم يجد لنفسه سبيلا بعد فشله في التحكم بالبواعث التي أدّت بدورها إلى ظهور ما يعرف"**بالشقاء المجتمعي الذي يعبر عن ارتفاع وتيرة اللاعقلانية في التعامل مع الذات والواقع على حد سواء"**[2] .

ولا يغرب عن ذهن القارئ بأن لتفكّك تركيبة المجتمعات نظرا للصراعات الاجتماعية وبمختلف أنواعها ومستوياتها دورها الفاعل في تعقيد هذا النمط الشعوري-الشعور باللانتماء- فالصراعات الداخلية والطبقية داخل المجتمع الواحد تجعل الفرد حائرا وفارّا دائما من شيء اسمه تقبل الوضع، أو استيعاب ما يحدث، وحتى الصّراعات الخارجية تعد أخطر من المستويات وأعقدها، التي تؤثر على المرء من خلال امتثاله القسري لضغوطاتها، وبعدها يحرم من مبادرة التغيير، وتجسيد الطموح وصنع المستقبل فيستسلم لافتقاره، وفي عمق ذاته للاستقرار النفسي قبل كل شيء فتتحطم بذلك أهدافه وأحلامه نظرا لغياب أهم المقومات من أمن وسلام، فينطوي على نفسه هروبا من مرارة الواقع الاجتماعي ومن بؤس المآل.

[1] نادية عيشور،الصراع الاجتماعي،بين الممارسة،دار بهاء الدين للنشر والتوزيع،الجزائر،ط1 ،2008م،ص107.
[2] المرجع نفسه،ص 108.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي نقد العالم النفساني "فرويد"للمجتمع البرجوازي رأى بدوره أن"**المجتمع يحمل الإنسان آلاما لا فائدة منها،تخلف مضاعفات بدلا من التحسن المنشود**"[1] ومن منظور فرويد نخلص إلى أن للمجتمع أثره السلبي على الفرد، إذ صار مجرد أداة اجتماعية تعيش تحت تصرف، ووطأة المعايير الفاسدة فتعاني القمع الذي ضاعف من عزلتها أكثر من تخفيفها.

ولأن الغربة ظاهرة اجتماعية فهي"**تفترض الشعور بالذات الأخرى إلا أكثر أشكال الاغتراب تطرفا وكآبة هو ما تعانيه وسط المجتمع**"[2] لأن أبرز ما يحقق للفرد هويته وجدواه كإنسان معاصر له كيانه وأحقيته في الوجود هو شعوره بالمواطنة وخدمته للعائلة الكبرى(المجتمع). وقد أكّد "دوركهايم"على فكرة"**تفكك القيم الاجتماعية والثقافية وفقدان سيطرتها على السلوك الإنساني وضبطه**"[3] وتسببها في تفشي ظاهرة الاغتراب وانتشارها، وعندما تتلاشى القيم المصطبغة بالصبغة التجارية، كأنها تباع وتشترى بأبخس الأثمان وأزهدها، يشعر الفرد حسب جورج "لوكاتش" "**بالتناقض بين قيمه الخاصة والقيم السائدة في مجتمعه**"[4] الذي يغلب عليه الطابع المأساوي لما لحقه من فساد وزيف فهو اغتراب قيمي تتعطل فيه الحياة الدياليكتية (لا نقصد هنا المفهوم الفلسفي للفظة بمعنى الجدلية، وإنما الجانب التفاعلي الحركي والكامن في الأخذ والعطاء) المفروضة بين الذّات وبين الواقع والتي تسمح لهذه الذات بالكشف عن خصب المستقبل واستشراف كل ما هو محقق لكينونتها ونسق حاجاتها.

وهذا موقف آخر"لهربرت ماركيوز"يفسّر فيه سبب العلاقة الفاترة بين الإنسان والمجتمع وتحوّل العلاقات الاجتماعية إلى مجرد أشياء مادية تستبقيه حائرا لا يعي الواقع الحقيقي، ولا يفهمه فهو"**نابع من الضغوط والتوجهات التكيفية التي يفرضها المجتمع**"[5] الذي تحكمه سلطة تحقق

---

[1] إيريك فروم،أزمة التحليل النفسي،تر:طلال عتريسي، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط1 ،1988م،ص37.

[2] نيقولاي برديانق،العزلة والمجتمع،تر:فؤاد كامل عبد العزيز،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،مصر،1960م،ص118.

[3] حليم بركات،الاغتراب في الثقافة العربية، ص35.

[4] محمد عباس يوسف،الاغتراب والإبداع الفني، ص 134.

[5] سهير عبد السلام،مفهوم الاغتراب عند ماركيوز،ص43.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التماسك الاجتماعي، وأصحابها-السلطة- هم أفراد يحكمون وحدات اجتماعية كبرى وقد يكونون في قمّة السلم الاجتماعي فيصلون دون عناء إلى هذه السلطة، وما العجز السياسي إلا نتيجة حتمية لانحدار المراقي الاجتماعية وضعفها فالغاية من ربطنا للمتسلط بالمنزلة الاجتماعية هو تأكيدنا للرأي القائل بأن الاغتراب السياسي ما هو إلا مظهر من مظاهر الاغتراب الاجتماعي إلا أن النمط الأول قد استقل بمظاهره ومسبباته.

3-2 السيـــاسية:

الإنسان موجود بشري يميزه العقل والوعي عن باقي المخلوقات الطبيعية، إلا أن الانفلات منه وخنقه في بعض الأحيان قد يؤدي إلى التّيه القسري، والذي تحكمه عدة عوامل تسيطر على نمو وعي هذا الفرد ومن بينها مثلا وجود بعض الأنظمة السياسية التي تسنّ لنفسها قوانين تحمل الفرد مالا طاقة له به فيشعر حينئذ بعدم الرضا أو بالأحرى بعدم الارتياح للقيادة السياسية، والرغبة دوما في الابتعاد عنها وعن النظام السياسي برمته.

وتعرف السياسة بأنها الإجراءات والسّبل التي تؤدي إلى اتخاذ قرارات من أجل المجتمعات البشرية وقد ترتبط بسياسات الدول وأمور الحكومات، كما يمكن استخدامها أيضا للدلالة على تسيير أمور أي جماعة وقيادتها، ومعرفة أمداء التوفيق بين التوجهات الإنسانية المختلفة والتفاعلات بين أفراد المجتمع الواحد بما في ذلك التجمعات الدينية والأكاديمية والعديد من المنظمات. والفرد المغترب سياسيا هو"**الذي ليس لديه القدرة على إصدار قرارات مؤثرة في المجال السياسي وكذلك تغييب عن المعايير التي تشكل النظام السياسي**"[1] وهو بذلك غائب عن الساحة السياسية وليس حرّا فيصير مقيّدا وأسيرا للدولة؛ والسبب في ذلك هو انتشار ما يعرف بالوعي الوضيع الذي يؤدي بصاحبه إلى الامتثال للسلطة القائمة رغم تمرده الدفين، والدّولة هي المسؤولة عنه-الوعي الدنيء- بالدرجة الأولى كمنظومة سياسية فرضت نفسها لتكبل حرية الفرد بالأغلال

[1] محمد خضر عبد المختار،الاغتراب والتطرف نحو العنف ،ص35.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نظرا للفساد الذي حل بنظامها فانبرى التعسف والقمع، وما جوهره إلا المصالح الذاتية والتي تحسب على حرية الرأي التعبير فيفتقر الفرد إلى الرغبة في المشاركة بالتنظيمات السياسية، وقد يعود هذا الافتقار بالدرجة الأولى إلى فساد وركاكة علاقات الأنظمة الاجتماعية، وزعزعة العلاقات التواصلية بين الأفراد فتزداد المسببات السياسية، التي تعمل على نمو الحرية السلبية وفصل قوى الإنسان عن نفسه.

كما تنبغي الإشارة إلى أن استسلام الفرد لهذه السلطة السياسية(لعلنا نقصد هنا المعنى الفضفاض للسياسة حتى نستبعد ارتكازها واقتصارها على مدلول الدولة فقط) وممارسته لتلك الحريات الوهمية إنما عائد إلى قمع بعض الممارسات والسياسية له، فيصبح بذلك أنموذجا عدوانيا يؤيد ظهور بعض الرّجعيات السياسية التي تسهم في قهر ملمح البناء السياسي أولا، ثم ما يعرف بالوعي النبيل وهو نظام اجتماعي كما عرّفه "هيجل" ليستتبع تفاقم هذه العلاقات المغتربة وبشكل رهيب.والسّلطة من المعاني التي "**تمارس تأثيرا بالغا على الاغتراب عن العلاقات**"[1] ونحن نسير بها إلى منعطف آخر لا يخص الجانب الذاتي الخاص أو الداخلي، وإنما الجانب الخارجي والمحيط بالفرد فقد يتسلط الإنسان (الملك،الرئيس،السلطان...إلخ)ويصبح أسير انسحابه من العالم والسمو بنفسه بسبب المنزلة التي وصل إليها حتى يسوس أمر الناس ويتجبر وينفصل عنهم لا لشيء سوى لأنه الآمر وهم المأمورون.

وللسّلوكات الخارجية السياسية ممارساتها القمعية ضد الذات الإنسانية لما جاء المسار الديكتاتوري المتجسد خاصة ضد المثقف صاحب"**الوعي الحقيقي المناقض لعماء السلطة وعماء ديكتاتوريتها**"[2] والباعث وراء استبداد السلطة السياسية حسب "ابن خلدون" هو "**شدة العصبيات واختلاف الآراء والأهواء، وأن وراء كل رأي منها وهوى عصبية تمانع دونها فيكثر**

[1] علي شتا،الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية ،ص255.

[2] سليمان حسين،مضمرات النص والخطاب ،ص 208.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانتفاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت"[1] مما جعل المعنى السياسي معنى فضفاضا قابلا لكل تحوير أو تعوير قد يشوب بها-الدولة- ويمس بصرامتها المطلوبة لتدبير الشؤون وتنظيمها.

كما أقرّ "علي شتا" -كرأي مدافع- بتأثير السلطة السياسية ذاهبا إلى أن فساد الأنظمة وسوء تدبيرها من شأنه أن يطوّق حرية الأفراد ويكبت آمالهم خاصة إن تعلق الأمر بالجانب العقائدي ليصبح هذا الجانب الروحي (الديني) هو الآخر ضحية بعض الإصلاحات المدمرة،ويتشوه من جرائها ويتجرد من أهدافه النبيلة وحكمه الجليلة ويزيد من رواج هذه الآفة المعقّدة، ولكن لابد من وجود مسببات تتعلق هي الأخرى بالدين تقتضي بالضرورة غرق الإنسان في بحر اللاّنتماء.

3-3 الدّينـــيـــة:

من المفترض أن الدين قد وُجد لينظم حياة الأفراد وليسوقهم إلى الفلاح الأبدي إلا أن المؤسسات الدينية قد رسمت لنفسها مسارا فوضويا، ومحكما في الآن نفسه لأنها تتوسل بالدين لترهيب المواطنين من جهة باستغلال بعض المفاهيم الخاطئة والناجمة عن سوء فهم هؤلاء للحقائق الدينية الموضوعة لتغذية الجانب الروحي فيهم. وما اغتراب الفرد عن ذاته وعن مجتمعه ورفضه للنواميس القائمة والجارية إلا خير دليل على جفاف إيمانه الديني، و اعتلال عقيدته التي صارت ميدانا للزيف والتحريف كأن تصير مؤسسة دينية تمارس النشاط الخضوعي بشتى أنواعه فترضخ لتواطؤ الأقوياء، وتخدم مصالح الأولياء والآمرين وتأخذ بذلك منحى قد يجرّدها من روحانيتها ومن قداسة مدوناتها، فالدين سمة روحية والتعدّي عليه يعني المسح الشامل لكل المقومات التي تأسست في ضوئها مختلف القوانين التي نظمت سيرورة وتطور الحياة بشتى تمفصلاتها وكذا وجوهها.

[1] حليم بركات،الاغتراب في الثقافة العربية ،ص98.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3-4 الحـــضارية:

تشهد كل المجتمعات حراكات اجتماعية قد تتسم بالتطور والصعود حينا وقد توصف بالتخلف والانحدار حينا آخر، إلا أن ما تطمح إليه هو تجاوز العقبات، والتطلّع إلى بناء مستقبل متحضر على الصعيد الفردي والجماعي، إلا أنه قد يكون للإنجاز الحضاري أثره السلبي على الوجود الإنساني لأنه ومن المفترض أن تكون هذه الإنجازات حلاّ وخلاصا للإنسان إلا أنها قد آلت إلى"**قيود تقوم بتكبيل الإنسان ومحاصرته**"[1] فبمثل ما عانت عصور الحضارة الإنسانية من حالات اغترابية قاسية كان للفرق البارز بين بعضها البعض دورها الحاسم في تفعيل وتحيين الاغتراب ليصبح ملازما للمجتمعات والأفراد .

والصّدامات الحضارية وليدة ظروف المجاورة التي قد تستدعيها في بعض الأحيان خلفية التنافس ولأن الإنسان مفطور على التجاوز والتسامي ولو كان المقابل في ذلك راحته الذهنية أو البدنية أو قهر رغباته، لتفرض الأعباء وتمارس الضغوطات في سبيل قيام الحضارات، وعلى حد تعبير"فرويد"فإن الحضارة هي السبب الأول والأخير في اغتراب المرء لأنها "**عصابية الطابع تقوم على كبت الغرائز والرغبات**"[2] وتتطلب التربّع على عرش الضرورة وعدم النزول إلى مرتبة العبد المقهور المتنازل عن حقوقه والمتقبل لكل الأوضاع وعدم إشباع حاجاته، كما تعمل-الحضارة- بدورها على إعاقة عملية "**استجلاء رغبات الإنسان الطبيعية وجموحاتها وتهدف إلى القمع الخارجي والدّاخلي**"[3] فحاجتها واشتراطها لبعض التنازعات التي من شأنها أن تحدث الاضطراب وبالتالي خلخلة الأوضاع وبروز بعض الأمراض النفسية التي ما فتئت أن صارت أرضا خصبة لحالة الاستلاب.

---

[1] سليمان حسين، مضمرات النص والخطاب، ص8.

[2] محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني، ص8.

[3] فيصل عباس،الاغتراب ،ص299.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- أنماط الاغـــــــتراب:

4-1 الاغتراب الذاتي: (النفسي)

إنّ غاية الفرد في هذا الوجود هي العمل على إثبات ذاته والعيش بكل عفوية وحرية، إلا أن الملابسات القاهرة، والظروف المناقضة لمبادئه قد تزعزع فيه يقينه بمثالية ذاته أو قدرتها على إدراك حقيقتها، فينسلخ منها ويصبح غريبا عنها تماما، ممّا يجعل ذاته الفعلية التي تتضمن الأحاسيس والآراء مسلوبة منه وكذا الحقيقية من خلال السعي الدائم نحو النمو الفردي بشيء من الأصالة وقدر من القوة. ومن اللاّزم أن يتسامى المرء بذاته حتى يعزّز ثقته بنفسه وفي غيره أيضا لكنه يبقى حائرا لا يعي كنه ذاته ولا يرى للوجود أي معنى.وكرأي مدافع لما ذكرناه تعتبر "هورني" الاغتراب عن الذات"**وضعا يتضمن قمع الفردية والعفوية لدى الفرد**"[1] فيفقد الفرد بذلك روح الاطمئنان إلى كل ما يحيط به، ويفتقر إلى الأمن النفسي بل صار يتوسل بالحيطة والحذر حتى ينعم بالهدوء والاستقرار.

والاغتراب الذاتي هو"**الفقد الكلّي للإنسانية حسب كارل ماركس ونزعها في مجالات الحياة الاجتماعية والحسية**"[2] وهذا راجع إلى الظّروف اللاّإنسانية التي تعيشها هذه الذات فلا تتضح بذلك الهوية، ولا تعرف حقيقة ما يجب أن تكون عليه. وإذا حاولنا تسليط الضوء على هذا النمط من الاغتراب من خلال تحليل فلسفي للماهوية، أو جوهرية الرّوح الإنسانية يتعين علينا أن نتبنى آراء بعض الفلاسفة بغية إكساب هذه الظاهرة طابعا إطاريا تسير وفق مجاله المحدد، فهذا"هيجل" مثلا يرى بأن تحقيق الطبيعة الجوهرية للإنسان يستدعي استنطاق وجوده في بنية اجتماعية تتضمن أنساقا تتوافق وطموحاته، لأن مجرد وجوده غير كاف بل يتطلب التجاوز إلى ما هو أبعد؛ أي الاتصال والتفاعل الضروريين.

---

[1] فيصل عباس،الاغتراب ،ص62.

[2] يحي العبد الله،الاغتراب، ص34.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحقيق الطبيعة الجوهرية للإنسان = إنسان (ذات) متوافق مع البنية الاجتماعية

وفي تحليله أيضا لما يعرف بالوعي الشّقي كحالة اغترابية يستشعرها اليقين الذاتي في مصيره المأساوي، يرى"هيجل"بأن الروح قد تجاوزت مجرد الحضرة إلى ما هو أعمق فهي"**معرفة الذات في صميم اغترابها؛ أي أنها الماهية التي تستبقي في صميم وجودها المغاير تكافؤها مع ذاتها**"[1]. فبحكم الوجود المادي كل إنسان حاضر بجسمه، يحقق بذلك تكافؤه مع ذاته بالدرجة الأولى ومع العالم المادي المحيط به إلا أنه مسلوب منها شاء ذلك أم أبى ليتباين-المحيط المادي-وماهيته الحقيقية وإلى منعرج آخر يرى المحلل النفساني والفيلسوف"إيريك فروم"بأن هذا النوع من الاغتراب(الذاتي) هو أخطر الأشكال وأعظمها جدوى والباعث إلى ظهوره هو إخفاق الإنسان في أن"**يصبح ذاتا أصيلة لها سمات معيارية ومثالية تحدد ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان**"[2] ويقصد بالأصالة هنا القدرة على التفكير والإبداع من منطلق أنا أفكر، أنا موجود فتصير بذلك فذّة فريدة وغير زائفة.

والاغتراب الذاتي لصيق بالاغتراب الوجودي إلا أن الأول قد تتحكم فيه النّطاقات السيكولوجية في حين يتصدى الثاني لأزمة الهوية **identity** حتى يحقق ما يعرف بالكينونة، وقد يكون هذا النمط من الاغتراب الباعث الأساس في ظهور الأنواع الأخرى، والسبب في تفعيلها وتصعيدها لكن فروم يذهب عكس ذلك فيرى بأن التوافق والانسجام مع أغلبية الأفراد قد يؤدي إلى الاغتراب عن الذات أو الالتحام مع البنية الاجتماعية، ومن بين المؤيدين لموقف "فروم" نجد

[1] فيصل عباس،الاغتراب ،ص165.

[2] محمد عباس يوسف،الاغتراب والإبداع الفني ،ص60.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"فيورباخ"و"ماركس" اللذان يعتبران"**الاغتراب تباعدا بين وضع الإنسان الفعلي وبين طبيعته الجوهرية أو المثالية**"[1] وهذا ما توضحه المعادلة الآتيـــة:

اغتراب ذاتي (تكويني) = ذات – صورة نموذجية (انفصال الذات عن الصورة المثالية)

وقد تعمّدنا توظيف الإشارة الجبرية (–) هنا للإيحاء بالنقص والافتقار، أما على الصّعيد السيكولوجي فهي ما يعرف بالسّادية، زد على ذلك حالة المازوشية فكلتاهما من المسببات الرئيسية في ظهور الاغتراب عن الذات لأن ما يجمعهما هو"**الشعور بالنقص،لأن كلا من السّادي والمازوشي يحتاج لشخص آخر يكمل ما لديه من نقص**"[2] وقد يستنزل المازوشي الأذى بنفسه دفاعا ضد قلق ساديته التي يخشى توجهها إلى الخارج و"**إفلاتها من سيطرته فيدمر الآخر ويدمر الذات معه**"[3] ليفقد بعد ذلك تكامله، ومن ثم الرضوخ بشكل كلي للقوى الحتمية أو المؤسسات الضاغطة بمختلف مستوياتها، والمازوشي يقمع ذاته بنفسه ويحاول التخلص منها كمنجاة لتقهر وحدته وانطواءه المرهون بحريته المطلقة.

ولأن الاغتراب لم يتعلق فقط بالمواقف الموضوعية والمادية والمستشعرة؛ وإنما تولّد عن بعض المحطات المتعلقة بالذاتية"**les situations de la subjuctivité**" بمعناها العميق والتي تتضمن الاتصال الداخلي بين الذوات **inter-subjuctivté** فالموضوعية تكمن في الظروف المحيطة بالفرد وما يكونها من عوامل اجتماعية وثقافية. أما الذاتية فهي تلك العوامل النفسية الحركية التي تلازم نمو الفرد مثل مسألة الشعور بالدّونية الراجعة"**إلى تركيز الإنسان على الجانب السلبي**

[1] الشيخ محمد الشيخ،التحليل الفاعلي ،ص124.
[2] فيصل عباس،الاغتراب ،ص327.
[3] مصطفى حجازي،سيكولوجية الإنسان المقهور ،ص90.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للآخر لنجده يرى العالم بعين الغريب الذي يرسم أحلى الصور بأبشع مناظرها وينعكس هذا الشعور بدوره على نفسيته ليضع نفسه مرتبة أسفل السافلين"[1]وهذا قول الله جل وعلا يعيد للفرد قيمته ويجدّدها ويزرع فيه روح العلياء والسمو بالذات يقول سبحانه وتعالى:**« ولاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينْ"**[2] فالله عز وجل أعزّ الإنسان ووضعه في أعلى المراتب لما ميّزه به من صفات ورغبات إلا أنه –الإنسان– غافل عنها بل آثر لنفسه أن يؤول إلى فرد:

1-مشتّت الهوية:identity diffused

2-منغلق الهوية identity foreclosed ←——— فقدان الهوية =موت الفاعلية(اغتراب)

3-معلّق الهوية:[3] **identity moratorium**

وكخلاصة لما سبق يعد هذا النّمط من أخطر الأنماط وأوسعها انتشارا لاتصالها بأعقد شيء(الذات) ولأنها تمس أهم جانب يعد المحور الضروري لتجسيد التفاعل بين الذات الكبرى(المحيط،الطبيعة والوجود) والذات الصغرى(النفس،الفرد) ومعالجتها تعود بالنتائج الفعالة لقهر الاغتراب والتخلص منه كلية.

إذن الاغتراب الذاتي هو ضياع الفرد وشعوره بالانفصال عما يرغب في أن يكون عليه، حيث تسير حياته بلا هدف وتصبح بلا معنى، كما ينظر إلى هذا الشكل على أنه اضطراب نفسي**"يشمل اضطراب الشخصية الفصامية"**[4] والشخص الفصامي هو ذلك المرء الذي ينفر من إقامة علاقات اجتماعية ومن مسؤولية الطرافة أو الحميمية مع الآخرين. كما يتداخل هذا النوع أي اغتراب الذات مع الاغتراب النفسي إلا أن هذا الأخير عام ويشتمل على جميع الأنواع كما قد يتعلق

[1] عادل القاضي،الهجرة والاغتراب،تأسيس فقهي لمشكلة اللجوء والهجرة،مؤسسة المعارف للمطبوعات،بيروت،لبنان،ط1 1999م،ص174.

[2] سورة آل عمران،الآية:139 .

[3] محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني، ص62.

[4] يحي الجبوري،الغربة والحنين في الشعر العربي ،ص20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ببعض الجوانب البيولوجية الخاضعة لأجهزة عضوية الإنسان والتي تترجمها الأمراض الدالة على عدم سوية هذا الفرد. أما الأول فهو"**اضطراب في العلاقة التي تهدف إلى التوفيق بين مطالب الفرد وحاجاته ورغباته وبين الواقع من جهة أخرى**"[1] وإذا انعدم التوفيق بين متطلبات الفرد وبين مقتضيات الحياة الواقعية، وتعارضت مع مبادئه استدعى كل ذلك انقطاع التفاعل والانفعال الكلي لدى المرء والانغماس في ترهات الألم والتذمر، والانسحاب من ميدان الحياة الاجتماعية للهوة والبون الشاسع بينه وبين المحيط الخارجي. وعلى حد تعبير نيقولاي برديانق فإن"**انعزال الذات انعزالا مطلقا ورفضها الاتصال بأي شيء خارجها أوبـــ "الأنت"عبارة عن انتحار**"[2] فعلى الذات أو الأنا أن تشتاق إلى وجود أكثر عمقا وأصالة، وألا تكون مجرد أداة موضوعية بل ينبغي أن تحد من الانغلاق على نفسها، بالعلو والاتحاد مع غيرها من الذوات.

ولأن الاغتراب عن الذات يعزو إلى عوامل خارجية كالظروف اللاإنسانية مثلا وإلى البواعث الوجدانية الانفعالية كافتقار الفرد إلى بوادر الحميمية تصبح "**العلاقة الذاتية self relation علاقة سلبية**"[3] فلا فرصة للانتماء أو الخضوع إلى هذه الذات لبتر العلاقة السابقة الذكر. وكحل قاهر للاغتراب الذاتي لابد من البحث عن الذات بتحديد الهوية، وذلك عن طريق "**إبراز خصائصها وجوهرها الشخصي،في ضوء ماضيها وحاضرها وإمكانياتها الفكرية والسيكولوجية والفيزيائية**"[4] فلا ينتمي الفرد وهو غريب عن ذاته أو هويته وخبراته، وإنما يفقدها وتتهاوى بذلك أحلامه وطموحاته، ويمسّ هذا النوع نفسية المغترب لأنه ينجم عن"**خلل سيكولوجي معين قد يكون مرتبطا بالعضوية وهو خاضع لشكلها–العضوية–المرضية والحركية**"[5] لأن الذاتية عبارة عن معالم نفسية ومحطات سيكولوجية تتحكم فيها جل العوامل والمؤثرات الخارجية، ومن طبائع

---

[1] زينب محمود شقير،مقياس الاغتراب النفسي ،ص8.

[2] نيقولاي برديانق،العزلة والمجتمع ،ص113.

[3] إمام عبد الفتاح إمام،دراسات هيجلية،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،1985م،ص402.

[4] سمير حجازي،معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، دار الكتب الجامعية، بيروت، لبنان، ص173.

[5] سليمان حسين ،مضمرات النص والخطاب ،ص207.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذات المميزة لها ميلها إلى العزلة التي تتهددها إلا أنها تعمل باستمرار على تنمية قدراتها لمواجهة عزلتها، متحولة بذلك إلى شخصية فصامية تعاني صعوبة الاستمرار مع الآخرين، ويعكّر صفو العلاقات الاجتماعية ولا يتأقلم الفرد مع نواميس المجتمع ولا يتوافق وإياه، ليولد ما يعرف بالاغتراب الاجتماعي.

4-2 الاغتراب الاجتماعي: (السوسيولوجي)

إن الإنسانية أفق والإنسان متحرك إلى أفقه دائما فيستشرف المستقبل الزاهر، ويخلق بذلك عالما نموذجيا خاصا به وما تستدعيه هذه النّرجسية الطامحة إلى المثالية المذمومة في بعض الأحيان هو الانفصال عن الواقع والآخرين، وتجد الفرد يترع إلى الجمود وعدم التفاعل مع غيره من الأفراد لنقص الألفة، وندرة التعاطف والروابط الاجتماعية فيحتمي وسط صراعاته الداخلية من جهة وصراعاته مع المجتمع المناقض لمبادئه من جهة أخرى.

والمجتمع حسب"ماكيفر وبيج"عبارة عن"**نسق مكوّن من العرف المنوع والإجراءات المرسومة ومن السلطة المعروفة المتبادلة ومن شتى أوجه ضبط السلوك الإنساني والحريات**"[1] فقد تجاوز المجتمع بذلك محدودية جماعة من الناس فقط إلى ما هو أبعد من تنظيمات واتجاهات، ووحدة كاملة مكتملة إلا أن انشقاقها قد يؤدي بالفرد إلى نبذ نواميس السائد الاجتماعي وقد لا يكتفي عند هذا الحد، ولا بمغادرتها فقط وإنما يقوم"**بمحاولة إسقاطها إما بتغيير القانون الاجتماعي(وهذه ردة فعل ايجابية ثورية) أو بالتدمير**"[2]واستغلال الثغرات لا لسدّها وإنما لتوسيعها وتحطيم القيود التي تكبله هو فقط ونفض الغبار عن نفسه،ليصبح صورة مثالية للإنسان البرغماتي الذي يتسلح بالهروب والتملص بغية تحقيق الذات والولوج إلى ساحة الحياة من أوسع الأبواب عبر مفتاح التمرد والعصيان.

---

[1] حسن عبد الحميد أحمد رشوان،الأدب والمجتمع،دراسة في علم اجتماع الأدب،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية،مصر،ط1 2004م/2005م،ص283.

[2] يحي العبد الله، الاغتراب ،ص80.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعزو"أجور كول"انعزال الإنسان عن مجتمعه إلى ضغوط المجتمع ومتطلبات الواقع فينتج عنه تأزم نفسي كبير،وينفر من ملاحقة ما يجري من تغيرات متصاعدة تحيط به، ولأن كل مجتمع يريد من الفرد"**أن يتماثل في المعايير العامة ،يسعى كل فرد ليتماثل في معايره الذاتية ولا يدرك ما يحدث بل ولا يعي المغزى من وجوده**"[1]. وإذا ثار الفرد و لم يمتثل للأوامر والمعايير أصبح بدوره يعاني من انعدام الكفاءة الاجتماعية **incapacité sociale**كإحساس ذاتي يعيشه"**حيث يشعر بأنه أقل من الآخرين، وأنه دائما دون مستوى الوضعيات الاجتماعية،وهو إحساس داخلي في معظم الأحيان أكثر منه موضوعي فعلي**"[2] والأنا هنا لا تعاني عزلتها داخل نفسها فقط بل تتجاوزها لتعانيها وسط الآخرين، وداخل عالم مجرد من الحوافز أو الشفافية لأن مقوماته زائفة بقدر كبير من الوضاعة وجسيم من التواطآت.

وأكثر أشكال العزلة خطورة هو ما تعانيه الأنا وسط المجتمع لذا يعسر التغلب عليها"**إلا في المستوى الوجودي بالتقاء الأنا مع أنا أخرى**"[3]وبهذا الالتقاء يشرع هذا الفرد في مناقشة واعية ومدركة لكيانه وذاته ولكل ما يحيط به من عادات وتقاليد، ولكن ينبغي عليه إعادة النظر في قيم المجتمع نظرة إيجابية تمكنه من تجديد إرادته للحياة "**vouloir vivre**"وكسب ثقة غيره بإصلاح ما اندثر وتعطير ما تعفّن من قيم"**فقد لزم عليه أن يعيد النظر من جديد في المجتمع الذي يعيش فيه وفي قيم العالم الذي وجد فيه**"[4]وهناك نوعان من الصّراع الاجتماعي من حيث مستوياته عمّقا بدورهما هذا النمط من الاغتراب (الاجتماعي) وهما:

أ-الصّراع الداخلي:وهو الذي يحدث داخل المجتمع الواحد بين الوحدات العرقية أو الفئات الدينية أو الطبقات الاجتماعية وقد تتزايد حدته إلى قيام الثورات الداخلية والحروب الأهلية.

---

[1] ماجد قاروط ،المعذب في الشعر الجاهلي ،ص172.

[2] مصطفى حجازي،سيكولوجية الإنسان المقهور ،ص238.

[3] نيقولاي برديانق،العزلة والمجتمع ،ص118.

[4] محمد زكي العشماوي،دراسات في النقد الأدبي المعاصر ،ص70.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب-الصراع الخارجي:و"**هو الذي يحدث بين الدول وتستخدم فيه القوة المسلحة**".[1] ولهذه النزاعات أثرها البالغ في تفعيل وتحيين الاغتراب وتعميق الشعور به، وجعله كالدّم يسري في عروق الأفراد هروبا من أمراض الواقع المعيش، وبمثابة المناعة المفعمة بالكريات البيضاء المتجسدة في الانطواء لتفادي المشاكل النفسية العميقة، ويتوسلون به كقوقعة تصونهم من بأس المشكلات الناجمة عن التعارض أو الفساد الشديدين.

وظاهرة الاغتراب من الظواهر النسبية التي تختلف باختلاف الزمان المكان، وتوجد في كل أنماط الحياة ومن أهم قضايا عصر العولمة وأحد سماته البارزة، لأن من سلبياتها-العولمة-أنها تزيد من إحساس الإنسان بالغربة عن واقعه الاجتماعي، فيفقد السيطرة على التغيرات الحياتية والفكرية المتوالية، وهناك من أرجع ظهور هذا النوع إلى عجز المعايير والقيم السائدة عن السيطرة على الإنسان وتصرفه وسلوكه"كدور كهايم"، أما البعض الآخر فقد اعتبره قيميا حيث يشعر الفرد فيه بالتناقض بين قيمه الخاصة والقيم السائدة في مجتمعه أمثال جورج"لوكاتش" لأنه رأى بأنه كلما زادت درجة التناقض بين ما يدركه الفرد"**على أنها قيم هامة بالنسبة له وما يدركه على أنها قيم الآخرين زاد ذلك من إحساسه بالاغتراب**"[2] لأن المسافة الكبيرة بين مبادئه ومبادئ مجتمعه ستؤدي إلى تسخير فراغات تتستر من ورائها الانشقاقات الاجتماعية والتفكيكات العقدية والتشتيتات الحضارية فيتحول الفرد إلى شخص أنومي"**لا يخضع لمعايير من أي نوع،والذي تعوزه قواعد يعيش بها لتنظيم رغباته وتوجيه أعماله،وآفاق محددة يهتدي بها فكريا وسلوكيا**"[3] وإلى نشوب الصراعات السياسية التي تتسبب في ظهور النوع الثالث من أنواع الاغتراب وهو الاستلاب السياسي الذي يهدّد بدوره الكيان الإنساني، ويزعزع روح الاطمئنان لديه إلى الذات الكبرى والمتمثلة في الدولة.

[1] نادية عيشور،الصراع الاجتماعي ،ص 64.
[2] محمد عباس يوسف،الاغتراب والإبداع الفني ، ص28.
[3] قيس النوري،الاغتراب،عالم الفكر ،ص28.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4-3 الاغتراب السياسي:

أخذ الاغتراب أبعادا جديدة ووجوها متباينة، كل وجه اختار لنفسه الخانة المناسبة لكي ينمو فيها بتزايد البواعث والمسببات ولما ظهر النظام الجديد للدولة كذات كبرى، كان من الضروري أن تفعله لتساعد الفرد على المشاركة في هذا النسق، إلا أن لبعض الصراعات السياسية والتعارضات التي تخولها المراكز الحساسة لرجالها في قطاع الدولة انعكاساتها السلبية على الفرد وعلى المجتمع فارتبط هذا النوع بالمجتمع وصار مظهرا من مظاهر الاغتراب الاجتماعي، ويتمثل في"**التباعد والتقاعس عن أداء دور لعدم القدرة على التأثير، والعجز عن ممارسة أي فعل سياسي**"[1] لينسحب المرء من الساحة السياسية للعجز الحقيقي الذي أصابه، ودلالة الاغتراب في السياق السياسي أعقد بكثير، لأن اغتيال أي أسلوب سياسي بغية التأثير يؤدي إلى انتشار هذه الظاهرة لا كهروب أو انفلات وإنما للاستمتاع مؤقتا بالحرية السياسية "**والتي تعني تحرر الأفراد من السياسة التي ليس لهم عليها رقابة فعلية**"[2] فإذا تفتّح هذا الفرد على عالم من التباينات انحصرت بذلك اختياراته، وكبّلت رغباته بسلاسل الأنظمة القاهرة وأصبح مجبرا على مغادرة العالم نظرا للقمع السياسي الممارس، ولأن بعض المشكلات والتراعات التي تشوب النظام الحاكم تؤدي إلى"**صنع طبقة سياسية مشوهة جعلت الشخصية تعاني الخيبة والإحساس بالغربة**"[3] وفساد النظام السياسي يحوّل عبر التعسف والإكراه منتجات النشاط الإنساني إلى شيء غريب عنه ويجعله بذلك مهمّشا إزاء المؤسسات السياسية القائمة وضحية سيادة مضطربة انغمست في الرذيلة، وأصبح حكامها أبالسة عصرهم لأنهم يخادعون المحكومين بألسنتهم التي تستنطقها الأكاذيب، التي ما إن داروها يصدقونها كغيرهم من الرعايا.

---

[1] زينب شقير،مقياس الاغتراب النفسي ،ص9.

[2] سهير عبد السلام، مفهوم الاغتراب عند هربرت ماركيوز ، ص59.

[3] عز الدين جلاوجي،سلطان النص،دراسات،دار المعرفة،باب الوادي،الجزائر، 2009م، ص342.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واتصاف السّاسة بالجور والمكر لجلب متاع الدنيا ورغد العيش إليهم يصعّد من اغتراب المأمورين يأسا من شعاراتها الرّنانة الكاذبة لأن المأمور أو الفرد في الأصل كائن اجتماعي سياسي حسب أرسطو الذي يرى بأن"**الإنسان كائن اجتماعي سياسي بطبعه ذلك بأنه مخلوق ناقص ليس بمقدوره إشباع سائر حاجاته منفردا،إلا بالتعاون مع أنداده من بني البشر**"[1] ومن المفترض أن السّلطة السياسية قد نشأت عن تشاور وتراض لأنها صنيعة الإنسان، والأصل في المجتمع السياسي هو الإرادة الإنسانية، فالتأثر والتأثير أمران لا بد منهما؛ بمعنى أن أيّ ضرر قد يحلّ بهذا المجتمع من شأنه أن ينعكس على الفرد وذاته تأكيدا لمسلّمة أرسطو السابقة فلا وجود للإنسان بدون سياسة.

مجتمع سياسي	***كائن سياسي***	***وجود متلازم***
مجتمع غير سياسي	***إنسان غير سياسي***	***اغتراب قسري محتوم***

وتأسيسا على ما تقدم فإنه لولا وجود الولاة والأمراء-العادلين-لسادت الفوضى ولاستحال التكتل والاتحاد بسبب السلطان القاهر، وللسلطة السياسية أهميتها في تحقيق الانسجام الاجتماعي وما إن تحقق هذا الأخير سادت الروابط المتينة وكذا الاستقرار داخل المجتمع السياسي مما يساعد على توفير الأمن وتفعيل الضمير السياسي في روع المجتمع والدولة تمثل هذا الضمير أما إرادة الإنسان فتتم في الدولة وبالدولة لأنها وعلى حد تعبير هيجل"**التحقيق الفعلي الواقعي للروح الأخلاقية،من حيث هي إرادة جوهرية واضحة لنفسها**"[2] وتتجلى بدورها عبر الوجود المباشر ويكمن في تحقيق الأخلاق، وانتشار القيم الأصيلة وتوفر واسط غير مباشر يتمثل في الوعي

[1] أحمد وهبان،الماوردي رائد الفكر السياسي الإسلامي،دار الجامعة الجديدة للنشر،الإسكندرية،مصر،2001م،ص29.

[2] عبد الرحمن بدوي،فلسفة القانون والسياسة عند هيجل،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،لبنان،ط1 ،1996م،ص159.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالذات، فإذا لم يقتنع الفرد بذاته و لم يع حقيقتها اغترب عنها وعن ذاته الكبرى ونفر من شيء اسمه مسؤولية، وما التخلي عنها سوى قضاء على كينونته وتضييع لذاته لأن المحافظة عليها تستدعي أن"**يتصرف المرء بطريقة تجعل الآخر يعتمد عليه**"[1] فإن عجز عن إثباتها وجعل غيره ممن يستندون إليه لا يتكلون عليه أكّد اغترابه.

ومسألة انسحاب الفرد من الحلبة السياسية أمر بالغ الخطورة، لأنه سيعيش حينئذ في حرية تتسم بالسلبية ولا تحقّق له الأمان أو الانتماء بل تدفعه إلى"**خضوع جديد،وإلى نشاط اضطراري لاعقلاني**"[2] ولعلّ هذا الفرد متحرر من السلطات الخارجية أو العليا، إلا أن هذا الأمر غير كاف لنضج حريته وبلوغها غاية الكمال لذا لابد من أن تتجسد حريته الإيجابية على أرض الواقع، ولا تتسلط عليه أي قوى مهما كان نوعها(داخلية أو خارجية) وتمكّنه من صنع ذاته، والتفاعل مع محيطه الاجتماعي وكذا السياسي.

تحقيق الذّات ← كائن اجتماعي ← كائن سياسي ← كائن متحرر (+)

قـــهر الذّات ← كائن مكبل ← كائن مقموع ← كائن متحرر(−)

فلابد من الديمقراطية وحرية التعبير، وخدمة الحضارة حتى يؤمّن المشروع السياسي وجود الفرد ومن منطلق أن السياسة تحتوي بكل الطرق الأيديولوجيا، يمكن جعل الاغتراب الأيديولوجي مظهرا من مظاهر الاغتراب السياسي.

[1] بول ريكور،الذات عينها كآخر،تر:جورج زيناتي،مركز دراسات الوحدة العربية،ط1 ،بيروت،لبنان ،ص334.

[2] فيصل عباس،الاغتراب ،ص363.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4-4 الاغتراب الأيديولوجي: (الفكري)

استعمل الاغتراب ليدل على معان عدة؛ فهو مثلا شعور ينتاب الفرد ويعبر عن عجزه في التكامل الذي يحقق انسجامه مع الجماعة والمجتمع، كما دلّ على فقدان القوة **powerlessness** وللمحيط الخارجي بجلّ تمفصلاته تأثيره الحاصل على الفرد الذي يستحيل عليه أن ينفصل عن بيئته الطبيعية. ولكي تؤدي جماعة معينة من البشر وظائفها الاجتماعية، لابد من تجميعها آراء وأفكار توحد وتحدّد وجهة وظيفتها وتمكنها من القدرة على المعارضة أو الموافقة وإلا المحايدة في بعض الأحيان وهذه الأفكار تتضمنها ما يعرف بالأيديولوجيا وهذه الأخيرة مجموعة من"**التصورات والأفكار المستمدة من مذهب قيمي معتنق يعتقد بمصداقيته، حتى تكون قادرة على صياغة المعايير التي تترجم قوالب مجردة بمقتضاها تصدر الأحكام المعيارية والسلوكية**"[1] ونزاهة هذه الأفكار تؤدي إلى تكريس المرامي السلمية وتعزيز روح التضامن والانتماء والعمل على ضبط الواقع الاجتماعي حيث "**أصبحت صيغة جدلية لوحدة الفكر والممارسة، وثمرة للمعاناة النضالية، الفكرية والعملية**"[2].

والأيديولوجيا من منظور مخالف نوعا ما تمثل أحد أبرز سمات الاغتراب لأنها "**تتناول الأفكار والقيم التي يضلل بها التطور الحضاري وعي الناس فهي تعكس الواقع الاجتماعي المادي القائم،ذلك لأن الفكر والشعور عبارة عن انعكاس للبناء الطبقي**"[3] فهي تتضمن المناخ الفكري والمعتقدات العامة، وتمتلك أيضا أحقية التعبير عن المواقف السياسية والاجتماعية بشتى أنساقها ومختلف توجهاتها فهي على حد تعبير ماركس "**البناء الفوقي الذي يعكس أو يطابق البناء التحتي**"[4] والاستلاب الأيديولوجي معناه أن يحسّ الفرد بتناقض التصورات القائمة مع مبادئه

---

[1] نادية عيشور،الصراع الاجتماعي،،ص79.

[2] إلياس فرج، تطور الأيديولوجية العربية الثورية-الفكر القومي-المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط7 ،1979م، ص11.

[3] خالد حامد،المدخل إلى علم الاجتماع، ص79.

[4] المرجع نفسه، ص 80.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاصة التي استقلت بنماذجها المنفردة من التفكير أو المعارف للتعبير عن العواطف، وإشباع الحاجات فإن شكلّت الجوّ الملائم للأنساق الاجتماعية والأنظمة السياسية القائمة كان السبب في اغترابه الأيديولوجي هو الخلل الذي أصاب هذه الأنساق، وما عليه-الفرد-سوى اتخاذ موقف سلبي برفض الأساليب ونقد الواقع بصورة مستمرة.

4 -5 الاغتراب الاقتصادي: (الصّناعي)

لما خلق الإنسان في هذا الكون وجد نفسه ملزما على القيام بالعديد من الأعمال بغية تأمين الراحة، وضمان استمراريته تكيّفا مع الوسط الذي يعيش فيه، وأن العمل يترجم إلى نتاجات ينتجها بطريقة فعلية (يدوية) ابتكاريه، أو بكيفية تقنية عبر ما توصلت إليه العلوم المتطورة التي أرسى لها-إنسان-إجراءاتها وحقولها التجريبية، فنجدها قوة حاسمة تساهم في تطوير المجتمعات والنهوض بالحضارات،إلا أنها قد تتحكم في النشاط الإنساني ليصير العامل(المنتج) خاضعا لها وللمادة عموما، فيضمحل بزيادتها وغزارة إنتاجها والعكس صحيح. وماركس بدوره يؤكد فكرة اغتراب العامل اقتصاديا، ويذهب إلى أن اغتراب الناتج يرتبط بفعل الإنتاج حيث ينفصل العامل عن قواه المنتجة والفاعلة"**وتصبح منتجات العمل موجودات مغتربة ومستقلة عن منتجها وتسيطر عليه بدلا عن أن يسيطر عليها وبذلك يوجد العامل من أجل سير الإنتاج وليس العكس**"[1] فيطغى التملّك والاستحواذ، ويحرم هذا العامل من أن ينعم بالحياة، لأنه عاجز عن السيطرة على منتجاته، لأنه صار شيئا كباقي الأشياء التي لا قيمة لها.

وقد عبّر أيضا في حديثه عن هذا النمط من الاغتراب تعبيرا صريحا عن عملية التشيؤ "**reification**"ويقصد بها "**إدراك العالم على أنه مجموعة من الأشياء الخالية من البعد الإنساني،وسيطرة الجوانب المادية على مجريات الحياة**"[2] لتتشوه بذلك الوظائف الطبيعية للإنسان

[1] فيصل عباس، الاغتراب، ص 203.

[2] زينب محمود شقير،مقياس الاغتراب النفسي ،ص5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويفقد إنسانيته التي تحولت إلى شيء مادي آلي، يحسب لها ما أنتجت كمّا وكيفا، لا تقديرا لها كبنية اجتماعية لها معالمها النفسية والجسمية التي ينبغي مراعاتها وأخذها بعين الاعتبار.

إذن اكتسب الاغتراب بفضل هذا النمط الذي ذاع على يد ماركس مع نشر مخطوطاته الاقتصادي سنة 1932م دلالة جديدة والمتمثلة في التشيؤ"**كمقولة فلسفية مفادها أن الفرد يعامل كشيء ويتحول إلى شيء وتنزع عنه شخصيته**"[1] وكلما ازداد العامل كدحا"**ازددت قوة عالم الموضوع الغريب الذي ينتجه على الوقوف في وجهه وازداد هو نفسه فقرا**"[2] ونلتمس هنا نوعا من القسرية أو الحتمية فيما يخصّ اغتراب العامل عن موضوع عمله، لأن زيادة الإنتاج أمر طبيعي، وقضية الالتفات إلى قيمة المنتوج وجودته أهم وأعظم جدوى من العمل نفسه، ومن قيمة المنتج بحدّ ذاته، الأمر الذي همش العامل وأقحمه في عالم الماديات الذي لا يرغب مطلقا بالمشاركة فيه ويعرف ماركس العمل "**بأنه يعدو مغتربا حينما يكف عن عكس شخصية المرء واهتماماته،ويقع بدلا عن ذلك تحت سيطرة غربته**"[3] لأن الاغتراب حسب رأيه معلم من معالم الدولة الصناعية الحديثة، حيث تسلب فيه أسمى معاني الإنسانية، ويستحيل التكافؤ حينها بين "**الذي يخلق الحضارة(العامل) وبين من يستثمرها(كالرأسمالي)وبذلك يغترب الإنسان عن أخيه الإنسان**"[4] وللاغتراب لدى ماركس ثلاثة أبعاد جعلته يخلق علاقة طردية بين زيادة فقر العامل وازدياد إنتاجه للسلع وهي:[5]

1-اغتراب العامل عن نتاج عمله

2-اغتراب العامل عن ذاته وعن نشاطه الخاص.

---

[1] محمد خضر عبد المختار،الاغتراب والتطرف نحو العنف ،ص38.

[2] هربرت ماركيوز،العقل والثورة،هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية،تر:فؤاد زكريا،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،مصر،1970م،ص270.

[3] يحي العبد الله، الاغتراب ،ص113.

[4] محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني ، ص8.

[5] المرجع نفسه،ص22.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3-اغتراب العامل عن أقرانه من الناس.

فالملكية هي السبب الأول والأخير في اغتراب العامل إلا أن الفيلسوف"كانت"يدعو إلى إمكانية ما يعرف بمملكة الغايات*، وعلى العامل أن يغض الطرف عن نوعية السلعة وألا يعتبرها مجرد وسيلة للصعود من خلالها إلى أعلى القمم بل عليه أن يعمل"**كما لو كان يعامل الإنسانية دوما سواء في شخصه أو في شخص فرد آخر على أنها غاية وليست مجرد وسيلة فحسب**"[1] و لم يسلم مفهوم ماركس حول الاغتراب من بعض الانتقادات التي أخذت عليه لما وصف العمال بالاستغلاليين وكذا الماديين، وأن العامل يسعى إلى التعسف والسلطة عن طريق منتوجه، وامتلاك هذا الأخير يكسبهم المكانة المستحقة. فحصر الاغتراب في مجرد انفصال العمال عن وسائل الإنتاج مفهوم بعيد كل البعد عن التراهة والدّقة "**لأن العمال اليدويين يطالبون فقط بأعمال ثابتة وأجور معقولة**"[2] هذا رأي"بلونر"الذي يتفق فيه مع "ماركس" لما اعتبر أن الاغتراب تباعد بين وضع الإنسان الفعلي وبين طبيعته الجوهرية أو المثالية إلا أن تسليعه، والعمل على تشييئه للفرد العامل انتقاص من قيمته وحطّ من شأنه لا محالة.

ويندرج ضمن هذا الشكل شكل فرعي آخر يعرف بالاغتراب الاستهلاكي، والذي يتضمن بعدين يمكن من خلالهما تحديد مشارف الموقف الاغترابي، وهما يعبران عن طريقة الحصول على الأشياء وانفصال حاجتنا البشرية عن الأشياء التي نستهلكها. وعلى حد تعبير"توكفيل"فإن الاغتراب الاقتصادي عائد إلى ظهور فكرة تقسيم العمل في المجتمعات الحديثة، فقد صارت هذه الظاهرة سببا في إهدار قيمة الإنسان، والحط من فرديته لأن ما ميز الظروف الاجتماعية المحيطة به قد زاد من حدة انتشار الظاهرة والمغالاة في تعميقها"**كسيادة العلمانية،وتقسيم العمل،والانفصال عن الأصول التقليدية**"[3] والعامل إنسان وله مشاعره الخاصة والجامحة إلا أنها عرضة للتشيؤ

[1] ريتشارد شاخت،مستقبل الاغتراب ، ص267.
[2] الشيخ محمد الشيخ،التحليل الفاعلي ، ص124.
[3] علي شتا،الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية ،ص32.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتجرد من الطابع الإنساني، والانسلاخ عنه تكيّفا مع الحياة الإنسانية الزائفة الجارفة، ومع الأنظمة الاجتماعية والسياسية غير العادلة لأن من واجبها تحقيق التوازن والانسجام، لا قهر الذات أو وضعها موضع تهكم وسخرية بدءا من عدّها أمرا صوريا ماديا قابلا للقياس والتسيير لا للإعلاء والتقدير...

ومن بين الانعكاسات السلبية لبعض الصراعات الصناعية المسببة في ظهور هذا النوع أنها تزيد من شدة توتر الارتباط القائم بين أرباب العمل من جهة، وبين عمال المصانع من جهة أخرى وقد يكون إضراب العمال عن العمل في المصانع بسبب بعض الصراعات الرسمية خير دليل على انسلاخهم عن نتاجاتهم وعن واقعهم الصناعي المزري، والذي نعتبره صورة مطابقة للصراع الاجتماعي الذي صار أسير القوانين الدياليكتية أو الحياة المادية.

4- 6 الاغتراب الدّينـــي: (العقدي/الرّوحي)

من خلال ما سبق بات واضحا أن الاغتراب قد صار دالا على فقد الإنسانية أو عدم اكتمال التأنسن على حد تعبير"ريتشارد شاخت"إلا أن هذا الإنسان الذي يسعى دائما إلى تلبية حاجاته ويبحث عن الاستقرار النفسي والمادي، لن يجد متنفسه إلا في دينه الذي يغذي روحه ويعوضه ثقل المعاناة ويواسيه محنته مع الحياة، ولما كانت المعرفة الروحية أرقى أشكال النشاط الإنساني كان من الضروري أن يطعّم إيمانه بالله تعالى، ويشبع عاطفته الدينية ليحقق وجوده، ويعترف بالعالم الخارجي بدلا من إنكاره أو الوصول إلى حالة من العدم. لكن فيورباخ يذهب إلى أن الدين في حد ذاته نوع من أنواع اغتراب الإنسان عن نفسه من منطلق أن مفهوم طبيعة الله ليس سوى مفهوم جوهر طبيعة الإنسان هذا الذي يغترب عن نفسه"**كونه يعكس من خلال إيمانه الديني أفضل ما لديه، وفي نفسه من صفات على ما هو خارج عن ذاته**"[1] وقد قلب "فيورباخ"التصور التقليدي للذات(منذ ديكارت) في تأسيسه لمفهوم الاغتراب لأنه يؤكد على أن الذات تتسلح

[1] حليم بركات،الاغتراب في الثقافة العربية ، ص38.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالدين لتواجه المعضلات حتى وإن كلّفها الأمر الانسلاخ الكلي منه، لكونها انفعالا وليست فعلا ولا تتحدد إلا بغيرها "**وإن انفتاحها على المعنى الباطني للوجود كله يستلزم القدرة على التواصل بين الأنا والكون الذي هي جزء منه**"[1] .

فموقف"فيورباخ" من الدين موقف اغتراب لأنه يفصل الله عن الإنسان الذي اضطلع إلى ثلاث قوى حتى تتغلغل في طبيعته الجوهرية دون عناء؛ كالعقل والإرادة والوجدان أما الدين فهو"**نتاج الإنسان البدائي الذي دفعه الخوف من مواجهة أخطار الطبيعة التي تحيط بنا**"[2] فإذا صار الدين غريبا عن الإنسان سعى هو الآخر إلى الانفلات منه أو الانفصال عن حسّه الديني، ويعود بذلك"**شكلا من أشكال التحول الأيديولوجي،بالإضافة إلى أنه انتقال من حالة دينية أو عقدية إلى حالة مجاورة أو مباينة**"[3] وهذا الانسلاب نوع من الغربة الروحية الناتجة عن القلق الوجودي،وذات منشأ ذاتي بفعل عوامل خارجية قد حرضتها على النبذ والعبث والانكماش. لكن وللأسف الشديد نجد بأن المؤسسات الدينية قد آلت إلى مؤسسات اجتماعية وصارت الأنساق الدينية تابعة بدورها إلى النظم الاجتماعية المنمية لسلوك الإنسان، وتطويره بغرض ضمان البقاء والاستمرار وبالتالي فالاغتراب الديني ما هو إلا مظهر من مظاهر الاستلاب الاجتماعي.

وللصّراعات الدينية الأثر البالغ في تصعيد هذا النمط وهي سلبية وذات أبعاد خطيرة لأنها تتضمن معتقدات وخلفيات تصورية ترسم الأهداف وتحدد المصائر، وتعدّ المعتقدات رافدا مهما لإشباع المتطلبات النفسية والعقلية والروحية للإنسان، وإذا أصابها خلل ما أو اصطدمت غايتها النهائية بالمرامي المؤطّرة لحماية الفرد، وتأمين حياته جرت إلى تخريب التعاليم الدينية، ومن ثم عجزها عن تحقيق الإشباع مما يجعل الروح والنفس تشعر بالضياع، وتتوق إلى التعصب والظهور لأن معالجها الروحي قد تشوه وصار وصوليا كغيره من المؤسسات والأنساق.

---

[1] نصر حامد أبو زيد،هكذا تكلم ابن عربي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،،مصر،2002م،ص138.

[2] الشيخ محمد الشيخ،التحليل الفاعلي، ص122.

[3] سليمان حسين،مضمرات النص والخطاب،ص207.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما "هيجل" فيعتبر الاغتراب الديني ملازما للاغتراب السياسي على خلاف"ميلر"الذي يرى بأنه شكل من أشكال الاغتراب الاجتماعي؛ فعندما يعجز الفرد عن التأثير في المجال السياسي بصنع قرارات قد توجه سير العديد من الأنظمة يغترب سياسيا، ويبحث بدوره عن شيء يجاوز ذاته بغية الاحتماء إليه، وما الدّين حسب- هيجل- إلا أمر"**وضعي عندما يتأسس على سلطة خارجة عن العقل، والدّين والسياسة قد لعبا لعبة واحدة من احتقار وطغيان وتهميش للإنسان**"[1] والعلمانية باعث من بواعث الاغتراب ذو الطابع الديني لأنها تدعو إلى فصل الدين عن الدولة مما يزيد من حدة الحراكات السياسية وتحررها من المبادئ القويمة التي يدعو إليها الدين في الغالب فهؤلاء الساسة معزولون عن معتقداتهم، وما يسعون إليه هو تحقيق المصالح والعبث بإرادة الرّعايا لانفصالهم عن الجانب الذي كان من الأجدر بهم اعتناقه ككفيل قادر على تحقيق الطوباوية ورغد العيش، وتأمين مستقبل شباب الأمم المحكومة من طرفهم إزاء مصير قد لا تحمد عقباه في إطار التغيرات الرهيبة المخلة بالسلام والاستقرار المنشودين. ومردّ الانعزال عن الدين هو تفاقم التغييرات الحادثة بمختلف مستوياتها ومراميها، التي تعمل بدورها على قتل إيمان الفرد وتوسيع فراغه الوجودي.

4-7 الاغتراب الوجودي: (الكوني)

وجدنا بأن الاغتراب ذو مرجعية فلسفية خاضعة لتنظيرات أبرز الفلسفات الحديثة كالمثالية الألمانية والماركسية وكذا العقد الاجتماعي القائم على التنازل أو التخلي؛ حيث يضحّي أفراد المجتمع المدني عن بعض أو جلّ حقوقهم المستحقة للسلطة بغرض الحصول على السلام والحرية والمساواة. كما يضرب بجذوره في أعماق الوجود الإنساني الذي يصارع بين الزيف والحقيقة وأثبت بأن الفرد ليس مجرد موجود فقط بل تجاوز ذلك إلى ما هو أعمق، فأصبح ما يمكن أن يكون وكذا ما يجب عليه أن يكون. وإن كان هذا اللّفظ-الوجود-قد أفاد معنى الحضور في اللغة

[1] يحي العبد الله، الاغتراب، ص123.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العربية و لم يعد مقصورا على الكون أو الطبيعة فقط، بل خصّ بالفرد أيضا الذي تميز برحابة حياته النفسية وبسِمة الكينونة وقد سبق وأن بيّنا التعالق بين الكينونة والوجود فوجدنا بأنه إذا ضاعفنا مفردة وجود لتصير وجود الوجود تحقق بذلك التفاعل مع كل عوالم ومكوّنات الحياة.

وقد قسم "جون بول سارتر"sartre الوجود إلى ثلاثة أنواع وهي:

1-**الوجود في ذاته**:وهو الوجود غير الواعي، ويمثل وجود الأشياء، و وجود الظاهرة.

2-**الوجود لذاته**:وهو الشعور أو الوعي منظورا إليه في ذاته كأنه في حالة انعزال وهو نقيض أو نفي للوجود في ذاته وشعور بنقص الوجود والشوق إليه.

3-**الوجود للغير**:وهو النظر إلى الأنا من حيث علاقته بالذوات أي من وجهة النظر الاجتماعية وهو التخارج الثالث للوجود[1].

ووجود الغير لم يظهر اعتباطا ولا عبثا وإنّما لوضع العديد من المعضلات التي تتولد عن وصف الوجود لذاته"**ذلك الوجود الذي نكتشف فيه ألوانا معينة من السلوك،تكشف لنا بدورها عن تركيب أنطولوجي يختلف عن تركيب الوجودية ذاته**"[2] والتّعالق واضح بين دلالتي الوجود؛ أي الدلالة الفلسفية والاجتماعية إذ أن الرؤية المعمّقة والبعيدة الأفق للعالم الخارجي تقتضي رؤية الغير والاتصال المباشر وغير المباشر بهم.

ولكي تتحقق وحدة الوجود لابد من أن يتلاشى الوجود الفردي في الوجود العام مثلما كان يعتقد المصريون القدامى عندما ربطوه بفكرة الخلود، وبالجزاء الأخروي "**فالوجود لديهم وجود ممتد إلى ما لا نهاية يبدأ فيما قبل الحياة ثم يمر في وهدة الحياة بعد ذلك ثم يتابع سيره إلى ما بعد**

[1] حسن الكحلاني،الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر،مكتبة مدبولي،القاهرة،مصر،ط4 ،2004م،ص 144.

[2] ريجيس جوليفي،المذاهب الوجودية،تر:فؤاد كامل،دار الآداب ،بيروت،لبنان،ط1 ،1988م،ص160.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحياة"[1] لذا يتصف الوجود بصفة الاستمرارية، والديمومة وقد صار سيلانا للوعي المستمر على مدى تطور وتعاقب الأحداث والمطمح منه هو ضمان البقاء المتميز لا الاكتفاء بالحضور فقط وإنما على الوجود أن يحيل إلى الحياة التي لن تتأسس إلا بدونه.

ولا خلاف في اعتبار أن الإنسان"**مشروع وجود يحدّه من الماضي إمكانيات لم يتخيرها ويحده من المستقبل مصير لابد أن يتقبله**"[2] وما عليه سوى أن يسلّم بأن وجوده قد بات سليب الهدف ولا مجال مطلقا للتخطيط أو السير وفق خط استشرافي معين، ومن ثم يحرم حرية الوجود المستقل ويتقبل كل ما هو مفروض عليه سواء كانت الطبيعة هي السيد الحاكم، أو أن الطبيعة البشرية هي التي تروم إلى استعباد طموحات المرء، وتكبيل وجوده غير الموجود في الأصل. ومن هنا تتضارب الغايات وتتصارع الآمال والأحلام لأن حلم الفرد هو أن يثبت وجوده، ويحقن نفسه ضد جراثيم الفكر المقوّض أو العزلة القاتلة أو إنكار الإيمان بالإنسانية من جهة وبالله تعالى من جهة أخرى.وإن رفض العالم انطوى على نفسه ونزع إلى رؤى بعض المتصوفة "**الذين لا يعترفون بوجود حقيقي إلا للذات المفردة وعن طريق هذه الذات يبدأ استشعار الكون**"[3] فنستشف من هذه الرؤية أن حقيقة الوجود عموما تكمن في الوجود الفردي، وهذا الأخير ذاتي ويختلف باختلاف الناس لأن كل إنسان له أسلوبه الخاص ومعنى ذلك أنه لا إيمان بفكرة الوجود العام أو بتعبير آخر الوجود الموحّد، وغياب وحدة الوجود معناه إلغاء للموجودات المحيطة (طبيعة،بشر،أشياء) مما يفعّل من توسيع الهوة بين المرء وعالمه الأكبر (الكون).

ويرى مارتن "هيدغر"**heidegger** أن تجربة الوجود هي صورة من صور التيه والضياع والغثيان على غرار سارتر"**لأنها**–التجربة الوجودية–**تجربة المضي قدما نحو الموت، وبحسبانها تجربة عدم الشعور بالانسجام مع العالم،وكذا التقزز الشامل إزاء الوجود الذي يفصح عن نفسه في**

[1] سعيد العشماوي ،تاريخ الوجودية ،ص45.

[2] المرجع نفسه،ص46.

[3] نصر حامد أبو زيد،هكذا تكلم ابن عربي، ص138.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صورة غثيان"[1] فهيدغر يبيّن كيف أن البحث عن حقيقة الوجود تستدعي السير المحتوم إلى الهلاك الأبدي، والمتمثل في موت المشاعر والعوالم النفسية وكذا الغاية من الاتسام بالكينونة ومن ثم إنكار العالم ومنع الذات من التميز أو البروز لأن"**الذات التي تقتحم العالم ذات متميزة قادرة، وتحاول الفعل فيه وتحاول ترتيبه وفق موقفها الذي كونته**"[2] مما يحدث القطيعة بين الذات وبين العالم الخارجي أو العالم المادّي إن صح القول فقد صار حبيس التناقضات ومثير التساؤلات وقاتل الطموحات.

ولأن الذاتية "**subjectivité**"تميّز الوجودية"**existentialisme**"كان للعوامل المؤثرة فيها من توتر وانهيارات أو روافد بمختلف مصادرها الأثر البالغ في جعل هذه الميزة الوجودية تتمعّن في وضعها وكذا مصيرها الذي آل إلى لعبة تتقاذفها أيدي القيم الفاسدة، والمجتمعات المدنّسة التي تسعى إلى أن تدوس بعجلاتها العفنة على كل مقومات ذاتية الأفراد، وبراءة طموحاتهم النيّرة. ويدرك فلاسفة الوجودية العناصر المأساوية في الوجود البشري"**فحرية الإنسان وسعيه لبلوغ وجود شخصي أصيل يلقى مقاومة**"[3] تدفع هذا العنصر البشري إلى التدبر في المغزى من وجوده وفعل وجوده وحقيقته كذلك، هذه الأخيرة يرى"كيركجارد" بأنها "**تنكشف من خلال الذاتية لأن كل ما يعثر عليه المرء في الخارج لن يكون إلا مجرد مظهر بالقياس غلى ذاته**"[4]ومردّ الحقيقة الوجودية هو خصائص الذات البشرية أولا وأخيرا.

ذات (حقيقية) = الموجود البشري + موجودات خارجية (طبيعة، ناس،أشياء)

[1] جاك شورون،الموت في الفكر الغربي،تر:كامل يوسف حسين،عالم المعرفة،الكويت،1984م،ص254.
[2] يحي العبد الله، الاغتراب، ص135.
[3] فيصل عباس، الاغتراب، ص256.
[4] المرجع نفسه،ص258.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما فرّق "هيدغر" بين نوعين من الوجود الإنساني النوع الأول يرمي إلى الانعزال والانطواء والاستقلال بالقرار والاختيار أسماه بالوجود الأصيل"**authentique**" أما الثاني فهو الوجود الزائف"**inauthentique**" الذي "**تميل الذات فيه على الاندماج مع الناس وكذا التخلص من شعورها بالقلق**"[1] فبالرغم من استغراقها في هذا النمط الوجودي بالحاضر إلا أنها تستهدف الإدراك الواعي والعميق لمعنى الوجود، ومن ثمة مواجهة المتفاعلات الكونية والقضاء على البنية الوجودية الأساسية ألا وهي الحاجة.

وقد أطال البحث في هذا النمط الاغترابي نظرا لأهميته البالغة، وانتشاره معناه القضاء الكلي على كل بوادر التعاون أو التآخي اللذين يستلزمان تحقيق المصالح المشتركة، وتعزيز الروابط الاجتماعية وكذا تقوية الحس المدني، ولأنه نابع من عمق فلسفي رؤيوي فاحص للعالم فإن اقتراح الحلول القاهرة تتطلب الحنكة وتقتضي الإمعان والاحتكام إلى قواعد المنطق السليم. وإذا تبنينا اقتراح فلاسفة الوجودية المتمثل في"**فعل الإرادة أو القرار المستقل وهذا الأخير هو مركز كل فكرة وجودية**"[2] يمكن قهر الاغتراب وقهره كلية أو عن طريق ملء ما يعرف بالفراغ الوجودي existential vacum هذا الخواء الذي حرم من وجود هدف سام جدير بالنضال من أجله أو لأجل قيمه، والذي "**يمكن له أن يتقفّى في أقنعة مختلفة كإرادة القوة، إرادة المال وإرادة اللذة**"[3]وإذا تم قهره تحقق الوجود الجماعي الذي يمكن الفرد من الوصول إلى الكمال أوالارتقاء الوجودي.

[1] فيصل عباس، الاغتراب، ص261.

[2] محمد عباس يوسف،الاغتراب والإبداع الفني، ص11.

[3] المرجع نفسه، ص82.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5-تجلّيات الاغتراب في الرّواية العربية الحديثة:

إن الكتابة مغامرة كشف"**وبحث ترتاد حقائق الوجود بهدف إعادة صياغته من جديد وفق الإطار العام للإنسان الذي يفكر ويتأمل ذاته و يغوص داخلها**"[1] وهذا التأمل يستلزم الانفلات من ثقل العالم والتركيز على نقطة نفسية معينة ليضمحل معه الزمن ومفعوله، حال الكاتب هنا حال الأديب الرّومانسي عموما، والذي جسد وبقوة هذا الغوص وعبر عن الغربة ببراعة وصدق على أساس أنها معضلة تقوم على شعور الفرد بالانفصام "**لأنه هو الأكثر إمعانا في الشعور بمحن الحياة والبحث عن حقيقة هذه الأخيرة والتطلع إليها دوما**"[2] على خلاف الواقعي الذي يجهل معناها ويرى العالم قائما على الزَائف واللاَمعقول. وقد آثرنا انتقاء نماذج معينة من بعض الروايات المصرية واللبنانية والجزائرية لا لسبب ذاتي أو راجع إلى ذوق معين، وإنما لما توفر لدينا من مراجع قد سهلت علينا تبيان بعض التمظهرات الاغترابية في نصوص سردية عربية سجلت نفسها وبقوة في سجل الانهيارات النفسية، و التعصّبات الذاتية الرافضة للعالم وللوقائع الخانقة لخصوصية الفرد العربي من جهة والمثقف المقموع من جهة أخرى باعتباره لسان مجتمعه وقلم معاناته، والذي يمكن أن نعده نمطا آخر من أنماط الاغتراب وهو الاغتراب الأدبي ذلك الذي يترجم بخصائص أدبية فنية مثلا أو أخرى سردية عن حالة الانفصال.

لّما تجاوزت الرواية حدودية سرد الأحداث وتقديمها بتقنية استوعبت بذلك جلّ الأساليب الحديثة أو الإجراءات الشاملة للعديد من الأجناس، لتصير المحور وهمزة الوصل الهامة بين الذات والعالم الخارجي، وكذا حلم هذه الذّات وطموحاتها وواقعها المتغير. كما احتضنت جملة الخطابات السياسية والاجتماعية وغدت حقلا تزرع فيه الأيديولوجيات المختلفة ووعاء يحتوي المؤسسات الدينية المتباينة لتباين المعتقدات والأنساق.كما تحوّلت إلى متنفس حياتي اعتنق البعد الإنساني وانطلق به إلى فضاءات أوسع وأرحب لرحابة النفس البشرية وقداسة تفكيرها المتميز. ويمكن أن

[1] عمر منيب إدلبي،سرد الذات،فن السيرة الذاتية،دائرة الثقافة والإعلام،الإمارات،ط1 ،2008م،ص65.

[2] محمد زكي العشماوي،دراسات في النقد الأدبي المعاصر،ص53.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعد الرواية بمثابة المنجاة المخلص من ربقة الفساد الواقعي حتى نحلق بها إلى عالم الخيال وعوالمه وصياغة ثقافة المجتمع صياغة فجائية غرائبية وهذا "لوسيان غولدمان"يبرز الدور المزدوج للرواية مقرّا "**بأنها بحث عن قيم أصيلة في عالم غير أصيل، فهي بالضرورة وفي آن واحد سيرة وتاريخ اجتماعي**"[1] كما فرضت قضية الاغتراب نفسها على الرواية العربية الحديثة باعتبارها أحد الروافد الهامة للفكر الإنساني، وإحدى مكونات الواقع النفسي والاجتماعي والاقتصادي للفرد وقد صارت حالة لا يخلو منها أي إبداع أدبي تقريبا، فاكتسب ظاهرية جديدة أخرجت نمطا آخر يمكن أن يعرف بالاغتراب الأدبي. وهذه نماذج منتقاة من بعض الروايات التي جسّدت هذه الظاهرة وببراعة، واتخذت منها بتوجهاتها الفنية محورا لإبراز وعي الذات، وتحديد الهوية المسحوقة ومزج الحلم بالواقع والحقيقة بالخيال.

ويمكن بدء الاستطلاع مع "**ثرثرة فوق النيل**"للروائي الكبير "نجيب محفوظ" متجنّبين أي تقسيم زمني يضطرنا إلى الترتيب والانضباط حيث بينت لنا فعلية "**اللاّمواجهة التي تصور الإنسان في حالة اغتراب وهرب من الواقع بدلا من الكفاح والسّعي لتغييره**"[2] وقد لجأت شخصيات الثرثرة إلى عوامة هربا من واقعها المزيف ولممارسة الإدمان الخضوعي القامع، والقاتل لأزكى معاني الحب الاندماجي أو السمو الواقعي. كما برزت نزعة الخضوع القسري للسلطات السياسية والسيطرة الدينية في رواية"**السّمان والخريف**"وكذا ملحمة "**الحرافيش**"و"**زقاق المدق**"فلا يكاد يخلو أي عمل روائي لمحفوظ من ملامح الاغتراب، وبمختلف إيحاءاته المتباينة في الزمان والمكان ولأن مجرّد الإذعان لمن هو أقوى مكانة يعد انسلاخا عن القوة الذاتية المدفونة تحت رحمة الترهيب والمتأرجحة بين مدّ وجزر أمواج البروليتاريا والآلات الجهنمية الطاحنة.

وكنموذج آخر لم نحترم فيه ذكر الأسبقية الزمنية رواية"**زينب**" لمحمد حسين هيكل" و"**يوميات نائب في الأرياف**""لتوفيق الحكيم" حيث برع هذان الروائيان في تجسيد"**الصراع الطبقي بين**

[1] شوقي بدر يوسف،الرواية والروائيون،دراسات في الرواية المصرية،مؤسسة حورس الدولية،مصر،ط1 ،2006م،ص 111.

[2] حليم بركات،الاغتراب في الثقافة العربية، ص149.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفلاحين والقوى المسيطرة ومدى تسببها في انبثاق الإحساس العميق بالاغتراب لأن حياتهم صارت ملكا للدولة التي صارت تعاملهم مثلما تعامل المياه والمحاصيل"[1].

ومن منعطف آخر يمكننا استيضاح دلالات الاغتراب من مختلف الرؤى و التحولات الثورية الهادفة إلى الاستفسار عن المصائر والطامحة إلى عالم مغاير وجديد كرواية "**الأرض**"لـــعبد الرحمن الشرقاوي"ورواية"**الحرام**""ليوسف إدريس" الموسومة بثورة الصامتين الذين طال بهم السكون والجلد المفزع. زد على ذلك العمل الروائي الثاني لإدريس والمعنون بـــ"**سرّة البائع**" حيث صور فيه الاغتراب الحضاري في أدق صوره وأسمى معانيها متحديا بذلك القمع الصارم والبند الغاشم وهذا"صنع الله إبراهيم"في روايتيه"**نجمة أغسطس**"و"**براري الحمى**" برع بدوره في تجسيد الاغتراب الذاتي، عندما يتحول الفرد إلى كائنين اثنين يعبد أحدهما الآخر مما يوحي إلى اضمحلال، وضآلة الإنسان ومآله إلى شيء مهمَش لا قيمة تسترقيه أو تعتليه فوق كل ذي مكانة.

وكنماذج أخرى قدّمت الشخصية المغتربة أو المأزومة على طبق فني راق مكنها من احتضان الواقع وفتح الذراعين أمام مأساة كل قارئ عربي، يمكنه وببساطة أن يجد ذاته كأي فرد عربي يحتمي إلى واقعه المرغوب فيه نجد"**البلدة الأخرى**"لإبراهيم عبد المجيد و"**الفيافي**"لسعيد بكر" ورواية"**بيع نفس بشرية**"لمحمد المنسي قنديل" و"**الحلم**" لعبد السلام العجيلي"الذي سمح لمساحات الحلم فيها"**بالتداخل مع مساحات الحقيقة وامتزاج الواقع بالخيال**"[2].

هذه إذن بعض الأمثلة الروائية المصرية المنتقاة على سبيل المثال فقط لا الحصر، وكثيرة هي الروايات التي كانت نتاجا فاعلا لافتعال الطبقية والعصبية والصراعات المتناقضة والتحديات المتلاعبة بمستقبل الشاب المصري المغترب بكل جوارحه عن العالم المحيط به.

[1] حليم بركات،الاغتراب في الثقافة العربية ،185.

[2] شوقي بدر يوسف الزين،الرواية والروائيون، ص196.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و قد عالج هذه الظاهرة العديد من الروائيين، لكلّ توجهه الخاص ورؤيته المنفردة حول مختلف الهواجس السياسية والاجتماعية والدينية السائدة في مجتمعاتهم، وأن معظم الدول العربية قد عانت من ويلات الحروب والثورات، ذاقت مرارة الاستعمار. وجّهت هذه الظروف أقلام الأدباء صوب نمط جديد ومغاير من أشكال الحس المعتاد، فبرز الحس الثوري والقومي الذي عبر وبشدة عن الاغتراب النفسي الذي عاشه الشباب العربي على غرار الشعب الفلسطيني الغارق في بحر الاستعمار إلى يومنا هذا.

وقد برع "جبران خليل جبران" لأنه برع في تصوير التباينات والصراعات القائمة من جراء الخلل الاجتماعي واللامساواة فقد "**ثار في روايته الأجنحة المتكسرة ضد القهر الاجتماعي كما مارسته المؤسسات السياسية والعائلية والدينية**"[1] فالتّمرد واضح هنا على جل مؤسسات المجتمع وبخاصة رجال الدين والطبقات الحاكمة، فقد حذر جبران من كثرة الطوائف وقلة الدين التي تفضي إلى اللاّجدوى من التعاليم الروحية.

كما يتجلى الاغتراب في أعمال "جبرا إبراهيم جبرا" الروائية التي جسدت الظاهرة أحسن تجسيد وتجلت الحاجة فيها إلى الانتماء والخلاص من مصيدة الاغتراب، وسلوكاته ففي رواية "**السفينة**" تم طرح مستويات عديدة مسببة للاغتراب كالفشل في الحب مثلا، حيث أضحت المرأة كابوسا رهيبا يسوق إلى اغتراب كوني محتم وتذمر غامض من كل عناصر الكون المحيطة بالرجل الذي أحب.وكذلك المدينة التي تعد "**بمثابة القهر الحقيقي الذي نجده على مدى مساحة الخطاب في أكثر تجلياته**"[2] ومن بين المسببات أيضا الشعور "**بالوحدة كصفة اغترابية رئيسية يعرضها الخطاب بطريقة ترميزية فجائعية**"[3] أما رواية"**صراخ ليل طويل**"فقد ركزت على الفرد اللاَمنتمي والذي أسمع قضية الاغتراب الفلسطيني في أبشع صوره القاتمة متوسلا-جبرا-برؤية فلسفية فجائعية

[1] حليم بركات،الاغتراب في الثقافة العربية، ص184.

[2] سليمان حسين،مضمرات النص والخطاب،ص 218.

[3] المرجع نفسه،ص221.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عكست آهات الصراخ الصامت، والليل الدامس المحتضن لدوامة الاغتراب القاتلة. أضف إلى الأعمال الآنفة رواية "**البحث عن وليد مسعود**"و"**صيادون في شارع ضيق**" وغيرهما...

كما نلفي الروائي"غسان كنفاني" يبدع في تصوير المعاناة الشخصية والمجتمعية بصدقه الواضح في ربطه للمعاناة الشخصية كمثقف وأديب بالمعاناة الفردية، وتشبعه بالوعي المتجذر والتطلع المستمر إلى الإعلان عن الرفض الكلي للواقع المعيش، وللقهر الممارس في روايته"**رجال في الشمس**"والتي اختار معها الخامس من حزيران"**نوعا آخر من الموت يبدأ بالتحرر الداخلي ومن ثم السجن الكبير الذي وجد نفسه فيه**"[1] فكانت روايته رواية المصير المرفقة بالموقف النقدي حيث كانت الظروف الحياتية والنفسية القاسية السبب في جعل الكاتب يعيش سنوات طويلة لا يفكر إلا في كيفية الخروج منها. الشيء نفسه حدث مع الروائي الفلسطيني **إميل حبيبي** في روايته"**الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل**" فهي رواية ساخرة حول الأوضاع المزرية للأراضي الفلسطينية في ظل الحكم الإسرائيلي، صوّر حبيبي الإحباط واليأس الذي عاشه الشعب الفلسطيني المقهور بل وأبدع في ذلك أيّما إبداع...

في حين عاش الجزائريون ما عاناه أشقاؤهم الفلسطينيون إبّان الاستعمار من ظلم واستبداد فصاروا في أرض غير أرضهم غرباء عنها ومحرومون من خيراتها، إلا أنهم كابدوا وجاهدوا حتى استعادوا حريتهم وإنسانيتهم المضطهدة فهذا "محمد ديب"ينظر في روايته"**من الذي يذكر البحر**" إلى ما وراء الأحداث السياسية غائصا في العالم النفسي الغامض للفرد الجزائري الحائر إزاء العنف الممارس، والتناقض المرهق فجسد الاغتراب النفسي و الاجتماعي وكذا السياسي عبر الرّوح الثورية التي أحسها هو نفسه قبل شخوص روايته لأنه غريب عن وطنه وعن مجتمعه، يتكلم الفرنسية وهو عربي قد يعتبر هذا الإتقان غزوا لفرنسا في عقر دارها إلا أن الشتات الذي أصاب

[1] حليم بركات،الاغتراب في الثقافة العربية، ص189.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مثقفينا وروائيينا قد أخلّ بالمقومات والعادات والتقاليد اللازم انتشارها لا مسخها من طرف المستعمر.

وكرمز آخر لروح الجزائر ووحدتها لم يستسلم "كاتب ياسين" مطلقا بل ناضل بقلمه وبقتله الرمزي للآخر الغريب عنه (الفرنسي) في روايته"**نجمة**"التي عدت بمثابة"**المنبع الرئيس لهواجس والانشغالات الفنية والنضالية**"[1] حاله في ذلك حال "آسيا جبار" لكن في التعبير عن روح الثورة لا النضال، إلا أنها ارتأت الإقرار بالجوانب النفسية والاجتماعية للثورة في روايتها "**العطش**"حيث كانت تبحث فيها دائما عن الهوية الضائعة والحائرة بين بصيص الأمل المتخفي وبين فجائع القهر والعدوان.زد على ذلك رواية "**اللاز**" "للطاهر وطار" الرامية إلى تجسيد التغيير الثوري و المتناولة لعمق الصراع الطبقي تناولا مكثفا ودقيقا لصرامة الوضع وخطورة الموقف الذي أدى إلى تعميق الشعور بالاغتراب الأيديولوجي وفي جل النواحي.

وأخيرا نختم اختياراتنا السطحية والبعيدة عن التقصي أو التأريخ فإن هذه التقنية مرجأة إلى حينها في الجانب التطبيقي وقد عالجت رواية "**سرادق الحلم والفجيعة**""لعز الدين جلاوجي" غربة المثقف الجزائري من خلال المواجهة بين "**بطل الرواية والمدينة والنتيجة غربة مذاقها مر ومعاشرتها لا تورث إلا اغترابا**"[2] كما جسدت الاغتراب الفكري والسياسي من خلال المعاناة والهموم والمشكلات...وهذا الكاتب **عبد الله عيسى لحيلح** بروايته"**كرَاف الخطايا**" أمعن النظر في مجتمعه ليقدّم مجموعة من الخطابات المتنوعة من سياسية واجتماعية، ودينية والمتحاورة لتحمل في طياتها نقدا لتناقضات المجتمع الجزائري والمثقف على وجه الخصوص، وكيف أن هذه الصراعات قد تؤدي إلى خنق الحريات وسلب الحقوق والتجرد من الذات، أو الانسلاخ عنها كلية لدرجة اصطناع الجنون بغية التباهي به أو التوسل به للهروب-المصبوغ بالتزْق المريب-من المجتمع مثلما

[1] حليم بركات،الاغتراب في الثقافة العربية ، ص194.

[2] عز الدين جلاوجي،سلطان النص،ص337.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حدث مع البطل منصور وسنرى ذلك في الفصلين القادمين بإبراز مواضع الاغتراب داخل البنية السردية وعبر الخارج النصي للرواية...

فالأديب والمثقف والروائي غير بعيد عن الواقع بمختلف أشكاله ومستوياته لأنه وببساطة يعيشها، ولا يكتفي بذلك فقط بل ينظر إليها نظرة خاصة-استنادا إلى الدعم النقدي- ومغايرة لغيره من الأفراد العاديين لأنه وبصدق يمتلك حاسة التذوق الموضوعية، يتوسل باللغة حتى يحرر القرّاء من الواقع المرير عن طريق تقريب الصورة وكشف المستور...

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

www.manaraa.com

أولا: اغتراب الشخصية؛ التجليات والبواعث

1- بطل منحط في زمن منحط:

2-مرايا الجنون ومحنة الاغتراب:

ثانيا/رتابة الحدث وسيرورة الانسلاخ

1 -سياسة العقاب ومتاهة اللاّحل

ثالثا:إقصاء الزمن وإحياء الانسياق:

1-التواءات الزمن الاغترابية:

1-1 الاسترجاع وملامح الاغتراب

1-2 الاستشراف وملامح الاغتراب

رابعا/الاغـــتراب المـــكاني:

1- إيحاءات المكان الاغتـــرابية:

1-1 إيحاءات الغرفة

1-2 إيحاءات القرية

1-3 إيحاءات المقهى

1-4 المدينة والبحر

1-5 إيحاءات السجن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسا:اغتراب اللغة ولغة الاغـــــتراب

1- لغة القلق والتبرم

2- اللغة الاستعارية الساخرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

توطـــــئة:

تحتوي الرواية على عناصر سردية تنتظم وفق نسق معين، يتماسك ليشكل لها نسيجا متكاملا يفضي بفضل خصوصياته الفنية، والفكرية إلى تحيين العديد من الظواهر الخارجية، فتمتلك البنية الروائية بذلك منطقا دلاليا يقوم على أساليب، وتقنيات تسع معالجة أدق مظاهر الحياة، وبكل واقعية، أو الأخذ بناصية الخيال حتى تكسب الجانب الجدلي الحاصل بين الشخصيات والأحداث المحيطة بها طابعا متميزا يسمو به إلى أبعاد توسّع من نطاقها-الرواية-المحدود. إذ إن ذوات التلفظ في البنية الروائية الدالة كفيلة بأن تتحكم في باقي المشكلات السردية من زمان ومكان، بغية محاكاة الوقائع، وذلك عن طريق متفاعلات تنتجها الدوافع الفكرية والأيديولوجية المميزة لها على مستوى القصة، ومن ثمة إبراز الأطر الخارجية بعد ربطها بمختلف السياقات الاجتماعية والثقافية على مستوى الخطاب فتصبح "**بنية دلالية تنتجها ذات(فردية أو جماعية) ضمن بنية نصية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محدّدة**"[1] لتنفرد كوحدة كبرى قائمة على مجموعة من الدوال والمدلولات المميزة، بخاصية التواصلية والتي تمكنها من الاتصال بالأنساق المعرفية و المجتمعية وغيرهما. كما يمكنها ترجمة الوقائع الخارجية بمختلف أبعادها الاجتماعية والسياسية والثقافية..الخ.

وباعتماد الركائز السردية للرواية المدروسة،ولأن هذا الفصل قد حصر مجاله في مقاربة بنيوية داخل نصية، سار في حدود كفاءاته البنيوية حتى يحدد المحطات الاغترابية التي سجلتها شخصيات المدونة، وبخاصة الشخصية الجذع التي سيرت الأحداث منذ بداية القصة إلى نهايتها، فبالرغم من طغيان المقاطع السردية الوصفية التي ألغت معها فكرة تشعب الأحداث في الرواية إلا أن هذه الأخيرة " **تقول بالاغتراب...مؤمنة أن في المستقبل زمنا محتملا ممتلئا بالحرية**"[2] والمسؤول عن هذا التوقع هو البطل الذي يسعى أوّلا وأخيرا إلى التأسيس لرؤية تأملية مستقلة، تهدف إلى فهم

[1] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط2 ،2001م،ص32.

[2] فيصل عباس،الرواية وتأويل التاريخ،نظرية الرواية والرواية العربية،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط 1،2004م،ص85.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذات وإن كلفه الأمر قهر إرادة التفاهم، أو الانغلاق على الذات هروبا من المواجهة ورفضا لتحطيم حدود الذاتية عبر الفعل المؤدي إلى الانفتاح على العالم الخارجي، وهذه الذات(الصوت) تمثلها الشخصية الروائية كأهم ركن من أركان الرواية وباعتبارها ربَان باقي العناصر السردية من حدث، وزمن ومكان ولغة، فارتأينا إيثارها على غيرها، والأخذ بناصيتها بغية استكشاف أبرز الملامح الاغترابية للشخصية الرئيسة وبعض الشخصيات التي لم تغترب بنفس الحدة؛ لأنّ أفعالها السردية سطحية نوعا ما، عدا البعض وهذا الاغتراب سيتم استظهاره وفق سيرورة الحدث الداخلي في الرواية وهذا ما يقتضيه منهج الدراسة، ثم إبراز اغتراب هذه الشخصيات في عنصري الزمان والمكان باعتماد المغلق والمفتوح وفي الأخير تبيان تأثير الظاهرة المدروسة على مادة الرواية والمتمثلة في اللغة التي مكنت من نسج هذه الأحداث، وباعتبارها مكونا سرديا قدم بدوره مظاهر الاغتراب في مستواه السطحي والعميق من خلال ظلال هذه اللغة وإيحاءاتها الاستعارية المتباينة.

أوّلا/اغتراب الشخصية؛التجليات والبواعث:

وقد ارتأينا التوسع قليلا في هذا المكون السردي لأن الظاهرة المعالجة تتعلق به كذات تعاني التمفصلات المتعلقة بالاغتراب من جهة، ولأن أهميتها تكمن في اقتضائها للمشكلات السردية الأخرى من زمان ومكان وغيرها. وإن كان ظهور الشخصية في القرن التاسع عشر قد اقترن بنظم وأطر اجتماعية معينة؛ حيث أن لتصورات الفرد واتجاهاته وكذا أهوائه البصمة الواضحة في تطويرها، ورواجها إذ إن اندثارها عائد إلى زوال تأثير هذا التصور في مختلف الأطر أو النظم. فمهمة الشخصية آنذاك تتجلى من خلال تمجيد الفرد وتصعيد فاعليته في سيرورة المجتمع وتقليص خصّيصة النظام الطبقي السائد فيه، وسيتم التعامل مع الشخصية بنوعيها أي ككائن ورقي وعنصر سردي فعال في الرواية، أو كعامل فني يختص بالأثر الأدبي هذا من جهة، وكذات فردية تتقاسم ونفسها أو وجوهرها السيكولوجي تبعات الواقع المرير، ومختلف المفارقات المرهقة لكينونتها من جهة أخرى. وعلى هذا الأساس استدعت بنية الشخصية تحديد بعض الأبعاد الجسمية والنفسية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والاجتماعية وحتى المدلولات الثقافية وسيتم ذكرها في ثنايا البحث لاحقا بعد ربطها بدواعي الاستلاب لدى الشخصية الجذع، ثم عند باقي الشخصيات.

فكان على الرواية أن تعتمد محركا سرديا من شأنه أن يفعّل من حركية جميع المتفاعلات القادرة على إعادة النظر في طبيعة العلاقة القائمة بين ذات التلفظ وواقعها، وذلك "**بسبر أغوار الكينونة المنسية للجزائري في بداهتها وغرابتها وواقعيتها**"[1]وهذا المحرك هو ما يعرف-المستوى السردي-بالشخصية وهي"**مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النص أو بواسطة تصريحاتها وأقوالها وسلوكها**"[2] لذا فجل الخصائص أو الخصال المصرح بها في النص الروائي من شأنها أن تحدد لنا شخصياته، وما تمثله بالنسبة لنفسها أو لغيرها. وهناك من يعتبر الشخصية قضية لسانية كتزفيطان تودوروف الذي"**يجردها من محتواها الدلالي ويتوقف عند وظيفتها النحوية، فيجعلها بمثابة الفاعل في العبارة السردية**"[3]، لا تخرج عن الإطار اللغوي وما السبيل إلى التعرف عليها إلا بعض العلامات الضرورية(الدليل اللساني)التي يقدمها لنا السرد كلما تقدمنا في قراءة النص والحال نفسه لدى فيليب هامون.

وتتعدد الشخصية الروائية بتعدد "**الأهواء والمذاهب والأيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس**"[4] فتعد بنية ديناميكية تقتضي الحركية البعيدة عن الثبات الفعلي الكامن، وحاملا أيديولوجيا يكشف عن الانتماء الفكري وفق سير ونمو الأحداث، إذ أن لتهدج المجتمعات أثره البالغ في تشتيت الأهواء والميول ليشغل كل اتجاه خانته المناسبة كي ينجم عن كل ذلك تقمص

---

[1] عبد الوهاب بوشليحة،أزمة الذات والعالم في الرواية الجزائرية،رواية تيميمون لرشيد بوجدرة نموذجا،الملتقى الدولي حول السرديات قسنطينة،الجزائر،نوفمبر،2005م،ص8.

[2] حميد لحمداني،بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي،المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع،الدار البيضاء،المغرب،ط3،2000م،ص51.

[3] حسن بحراوي،بنية الشكل الروائي،الفضاء،الزمن،الشخصية،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط2،2009 م،ص213.

[4] عبد الملك مرتاض،في نظرية الرواية،بحث في تقنيات السرد،عالم المعرفة،الكويت،1998م،73 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

متقن للأدوار المختلفة وفق ما يتلاءم وهذه الأهواء.كما أن للشخصية هوية أدبية وأخرى سيميائية إذ"**أنها معطاة صحبة صفات سوسيولوجية وسيكولوجية وأخلاقية**"[1] والشيء الوحيد والأوحد القادر على تقمص هذه الأدوار هو هذا المكون الرئيس للسرد بحيث وبواسطتها يمكن"**تعرية أي نقص وإظهار أي عيب يعيشه أفراد المجتمع**"[2] وللشخصية مقومات(تمثلها المحاور) بحسب السمات المنسوبة إليها:

1- المحور الأول:ويتمثل في السن والوظيفة الاجتماعية،الجنس.

2- المحور الثاني:يتمثل في جوانب مادية كالمال والجسم،وجوانب معنوية كالثقافة والعقيدة.

3- المحور الثالث:عبر مجموع الأحوال والأوضاع.[3]

ولابد من التمييز بين ما اصطلح عليه بالشخصية الروائية، وما يسمى بالشخص الروائي؛فإن كانت الأولى عبارة عن قضية لسانية حسب تودوروف وأنها في غنى كلي عن مضمونها الدلالي ومسوغه في ذلك هو أن الكاتب بإمكانه أن يجرد الشخصية من وظيفتها الدلالية فما هي إلا قضية لغوية-على غرار فيليب هامون-تقتضي التحام العديد من العلامات اللغوية بمختلف العلاقات المتضمنة في التركيب الروائي.ومن باب الموازنة كذلك فإن الشخصية الروائية "**عامة ولها قوانين وأنظمة تقعدها وتقننها أما الشخص الروائي فهو خاص تعنى بشخص معين في رواية معينة له سماته الخاصة وصفاته النفسية والجسمية**"[4] والأولى مصدر التوجيه من حيث التحديد للشخصية المحورية ومدى تجسيدها للشروط المنصوص عليها سرديا، من ارتباط وثيق بباقي العناصر السردية

[1] عبد العالي بوطيب،الشخصية الروائية بين الأمس واليوم،علامات،ج54،مجلد 14،شوال1425ه،ديسمبر،2004م،ص372.

[2] المرجع نفسه،ص79.

[3] الصادق قسومة،طرائق تحليل القصة،دار الجنوب،تونس،ط1،1994م،ص105.

[4] محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،2005م،ص11.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في حين ساعد الشق الثاني-الشخص- على الوصول إلى الغاية المنشودة للبحث هذا والمتمثلة في تحديد أوجه الاغتراب، داخل البنية السردية.

وقد اعتمدنا في التقسيم لأنواع الشخصية على تواترها في النص الروائي المدروس، ويقصد بالتواتر تجاوز الإحصائية كإجراء منهجي مجرّد إلى تحسّس المظاهر والوقائع السردية لاستيعاب نمط الشخصية الغالب؛ وذلك بتعداد الكم الحدثي-لا الكيف-وإن كان"**اعتماد كثرة التواتر أو قلته ليس دائما معيارا لتحديد الشخصية المركزية أو الثانوية، فيبقى صالحا لنصوص سردية معينة و غير صالح في كل الروايات**"[1] بالضرورة والاستناد إلى التوالد السردي كتقنية تقوم على تطور الأحداث وتناميها تناميا متسلسلا من البداية إلى النهاية، وهذا ما يطابق منظور الشعرية الأرسطية الذاهبة إلى أن الشخصية "**ثانوية بالقياس إلى باقي عناصر العمل التخيلي أي خاضعة خضوعا تاما لمفهوم الحدث**"[2] .بمعنى أن التحديد وفق هذا المنظور سيتم بتتبع تحركاتها وأفعالها وصراعها مع ذاتها أو غيرها لذا نلفي ثلاثة أساليب يمكن التوسل بها لرسم الشخصية، أو إبراز سلوكاتها المعبرة عن مكامنها، وتتجلى في الأسلوب التصويري بحسب الحركة والفعل والنمو من خلال الوقائع مع الاهتمام بالعالم الخارجي، والأسلوب الاستبطاني كما في روايات تيار الوعي،والأسلوب التقريري حيث"**توصف الأحوال والعواطف والأفكار ويتم التعليق على الأحداث وتحليلها**"[3] ناهيك عن المدلولات(الصفات،التكرار المقولاتي...الخ) المحيلة إلى طبيعتها و الأدوار الموكلة إليها حتى تتقمصها إلى حد التطابق الشديد.

[1] يوسف وغليسي،الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،وحدة الرغاية، الجزائر،2002م ص 113.

[2] حسن بحراوي،بنية الشكل الروائي،ص208.

[3] محمد عزام،شعرية الخطاب السردي،ص20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى غريماس بأن"**الشخص لا يحدد بميوله النفسية وخصاله الخلقية وإنما بموقفه داخل القصة ودوره فيها**"[1]كما لا يشترط هذا الباحث أن تكون الشخصية شخصا(عاملا) واحدا ومن ثم سيسهل تحديد الأصناف والهيئات بترصد بنائها الجسمي أو النفسي وغيرهما والشخصية نوعان:

أ-**شخصية رئيسة**:تمتاز بالفعالية والوظيفية، ومن ثمة تمتلك الطابع الدّيناميكي الحركي المفعّل للأحداث، كما تسمى بالكثيفة أيضا"**لأنها تمثل عالما معقدا تنمو في ثناياه رواية ذات ملامح معينة إلى حد التناقض**"[2] فهي المنشط الأساس للجانب الفكري والثقافي للرواية؛ لأنها تتضمن عدة وجوه تؤهلها للتعبير والتصريح بالحدث من جهة أو لاستبطانه ودفنه من جهة أخرى.

ب-**شخصية ثانوية**:ويطلق عليها اسم المسطحة لكونها ثابتة ولا يحدث لسلوكها السردي في الأثر أي تغير من شأنه أن يكسب البنية الروائية ظلالا تستدعي التأمل أو الاستنطاق، إذ يمكن الاستغناء عنها أثناء عملية التحليل، لكن قد تُعتمد كجسر عبور لأحداث استؤنفت لأجلها.

والسرد صيغة ضرورية لفهم ومعرفة نماذج السلوك وأحداث الحياة، ووسيلته في قيادة هذه الأحداث، أو تنظيم هذه النماذج السلوكية تكمن في اتباع مسالك اقتضتها مختلف المعاني الإنسانية عن طريق الشخصية الواصلة، والتي تمكنت من أن تتبوأ المكانة المرموقة بين جميع العناصر التي تفتقر إلى وظيفة التصوير،سواء كان هذا التصوير اجتماعيا خاصا بالمجتمع وبتمثيل الطابع الإثنوغرافي،أو نفسيا مقرونا بالتفرد باللاشعور الإنساني لا المكاني أو الزّمني أو الجامع بينهما، بمعنى رصد الأفكار والأيديولوجيات المتباينة وإسقاطها بإتقان محكم على الوعي الجماعي في إطار ما يعرف بالبنية الاجتماعية.

وفي مقاربتنا التطبيقية ابتعدنا كل البعد عن التركيز على سبر أغوار الشخصية بمعزل عن عالمها الخارجي لأنها قادرة على التعبير الأمثل عن فكر جماعات معينة و"**تجسيد الوعي الإنساني ومنطق**

[1] حميد لحمداني،بنية النص السردي ،ص52.

[2]الصادق قسومة،طرائق تحليل القصة، ص111.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المجتمع والبيئة"[1] فهي مترّهة عن الوقوف أمام مفترق طرق باهت، بل لها وطرها وغايتها المرجوة لكن في حدود ما يقتضيه التكيف المطلوب. ومثلما للشخصية مقوماتها الجسمية وعوالمها النفسية التي تظهر وتنعكس على هيئتها وطباعها"**نجد أن لها أيضا غاية تسعى إليها ودافعا يحثها على تحقيق هذه الغاية"**[2] ولكن هل سيتم ذلك عن طريق وسائل نبيلة حتى نعدها مستقيمة وسوية أم دنيئة لتصنيفها ضمن خانة المنحرفين ؟.

وإذا كانت الرّواية هي"**ذاك الشكل الخارجي والذي تتصارع فيه تقاليد صارمة وأشكال متحدثة وحياة داخلية تتميز بالصدق والحرارة وتسعى إلى التعبير عن الواقع وبلورة رؤية مستقبلية"**[3] فإن الذي يمتلك هذا الحق هو الشخصية باعتبارها المتحدث الوحيد بلسان الواقع والمعبر عن معطياته، المغير فيه ولو بشكل جزئي بفعل الوعي المناهض والطامح المستشرف لأفق متغير مغاير رغم الروتينية النفسية والخارجية الباهتة، وإن لم نعد في حاجة إلى أن"**نقيم علاقة تناظر بين عالم الرواية والواقع لأن الرواية هي الواقع"**[4] هذا ما أدى إلى خنق حرية الخيال والتقليل منه"**فعالم الواقع وفظاعته تربك السرد لأنها تبعده عن ميدان التأليف الخيالي"**[5] المغذّي لبعض الجوانب الخفية في نفسية القارئ المتعطشة دائما إلى الفهم والبحث عن المعادل الموضوعي.

فلولا الشخصية لما تحددت ملامح الرواية للقارئ، ولما انبرى الباعث أو مجموع الدوافع المؤدية بكاتبها إلى الاشتغال على هذا الأثر الأدبي بغية رسم أيديولوجيا معينة أو تمرير خطابات مختلفة أو ترجمة الواقع لا بمنظور المحيطين بها، بل كما هو ملائم للحقيقة. ولأنها مستمدة من خلفيات ثقافية تكون خارج الرواية أو تنتمي إلى طابع تاريخي معين،وإلا فمرجعيتها فكرية بحتة.لأن الأدب"**شكل**

---

[1] حسان رشاد الشامي،المرأة في الرواية الفلسطينية،1965م-1985م،منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،1998م،ص223.

[2] عبد الله خمار،تقنيات الدراسة في الرواية،الشخصية،دار الكتاب العربي،الجزائر،1999م،ص13.

[3] محمد فائق،دراسات في الرواية العربية،دار الشبيبة للنشر والتوزيع،1978م،ص92.

[4] نور الدين السد،الأسلوبية وتحليل الخطاب،دراسة في النقد العربي الحديث ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،ج2،الجزائر،ص179.

[5] يمنى العيد،فنّ الرواية العربية،بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب،دار الآداب،بيروت،لبنان،ط1 ،1998م،ص95.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خاص لانعكاس الواقع الموضوعي،ومن المهم أن يستوعب هذا الواقع"[1]ولا يتم ذلك إلا عن طريق الشخصية الروائية. وتكمن أهميتها أيضا في تجاوزها لمهام المكونات الروائية الأخرى، والنسج بدونها معناه الشلل السردي، وطغيان السكون التام على مستوى الأحداث، ولولاها لما تجسدت مختلف الرؤى أو القوى المحركة للواقع المعيش.

وقد وجدنا هذه المرجعيات مجسدة ومحققة في رواية "كراف الخطايا" التي انبرت بشخصية جذع هي شخصية"**منصور**".الذي استطاع أن يكون"**البطل الثوري الذي تمتاز ثوريته برفض العادات والتقاليد الفاسد والعقليات المتعجرفة"**[2] يعاني إذن إشكالية معينة تكمن في رفضه للامعنى الحياة وانحطاط الزمن واندثار القيم، فيدفع إلى أن يستجمع شتات فكره الضائع في عالم الفوضى الذي يعايشه بحنكة طفيلية أليمة يتوسّل البراءة مكرها، وبخط أحمر عريض يرسم مآسيه المرهقة على وجوه أهل القرية التي يقطن بين قضبان سجنها القاتل والغريب. وما زاد من معاناته أيضا وعيه العميق بالعالم الخارجي المزيف، واستندنا في استكشاف واستتباع بوادر وسيرورة الاغتراب إلى أن صورة الشخصية الظاهرة بعيدة عما يجب الكشف عنه، إن تعلق الأمر بترقيع الخلل أو الثقب الناجم عن تمزق كتلة هذا العالم بل"**وعي البطل وإدراكه لذاته،أو بعبارة أخرى كلمته الأخيرة حول العالم وحول نفسه فليس المهم ما تمثله الشخصية في العالم،ولكن ما يمثله العالم بالنسبة لها أو ما تمثله عي بالنسبة لنفسها"**[3] ولأن منصورا لم ولن ينسجم أو يتكيف مع الآخر(أفراد/مجتمع) الذي نشأ وترعرع فيه فكره، هزّم نظامه المتكامل ودمرت دوافعه واستعداداته الجسمية والنفسية وحتى العقلية(الإيهام بالجنون) فاقدا بذلك تميزه كفرد ذو قيمة اجتماعية لها ما لها وعليها ما ينبغي أن تكون عليه،لكنها قد آلت إلى خبر كان إذ إن هذه الاستعدادات" **الفطرية**

---

[1] جورج لوكاتش،دراسات في الواقعية،تـــر:نايف بلوز، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط4، 2006م، ص 124.

[2] الشريف حبيلة،الرواية والعنف،دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة،عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1،2010م،ص140

[3] حسن بحراوي،بنية الشكل الروائي، ص210.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمكتسبة الثابتة نسبيا هي التي تميز فردا معينا، وتتحدد أساليبه في تكيفه مع بيئته المادية والاجتماعية"[1] استحالت لانعدام الحوافز الدافعة إلى التوافق الكلي.

وتبرز خصوصية الرواية المختارة أيضا في أنها"**بحث عن قيم أصيلة في عالم غير أصيل"**[2] والمسؤول عن مهمة البحث فيها البطل المتفرد، والمتميز بوعيه وحاسته النقدية النادرة والذي"**يتسم بقيم إيجابية في منظومة قيمية معينة"**[3] فيصير بذلك مبئِّرا سرديا داخليا بفضل ما يفكر فيه، وما يقدمه من مواقف قد عكست وبوضوح توجهاته ومختلف رؤاه.واغتراب البطل مفهوم يشير إلى"**إحساس الشخصية المحورية بعدم وجود تشابه بينها وبين باقي الشخصيات في الاتجاه والتكيف والسلوك فضلا عن تقييمها لجوانب العالم على أساس اعتبار الذات هي محور ارتكازه وأن التآزر بينها وبين الآخرين غير قائم في الزمان والمكان"**[4] ونقصد بالاتجاه ذلك الاتجاه الفكري الذي يفرزه الذهن ، أما التكيف فخاص بالجانب الاجتماعي أما السلوك فمستمد من معاول الحقل النفسي وهو ما يعرف بـــ: l'aienation des héros، وهذا ما حدث مع منصور حيث طلق كل ما يحيط به مؤْثرا العزلة كمحاولة منه لتحديد جوهر هويته، فقد طالعنا بمظهر الرؤية، وقام برواية الأحداث بعد احتفاظه بالانطباع الأول،وبالوطر نفسه الذي سار لأجله وفق وتيرة واحدة تمثلت في كرف خطايا أهل القرية والترصد لكل مظاهر النفاق والخديعة،متسلحا في مواجهته الغريبة هذه بالاغتراب عن ذاته وإنكار قريته بما فيها من مؤسسات وبشر وغيرهما لذا تعد روايتنا رواية ذات بطل غامض ومريب.وما سنقوم به هو تتبع المراحل الاغترابية لهذا البطل على مستوى الذات وفي الزمان باعتباره نفسيا حاضرا،وكذا المكان بتدارس وتوصيف الأمكنة

[1] عبد العزيز شرف،الأسس الفنية للإبداع الأدبي،دار الجيل،بيروت،لبنان،ط1،1993م،ص183

[2] شوقي بدر يوسف الزين،الرواية والروائيون ،ص111.

[3] الصادق قسومة،طرائق تحليل القصة ،ص98.

[4] سمير حجازي،معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة ،ص13.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المفتوحة والمغلقة وكيف أن الشخصية قد اغتربت بها و فيها أما الحدث فهو متضمن في الشخصية عبر ما تقتضيه تصرفاتها من اتصال أو انفصال بالخارج عنها.

1-بطل منحط في زمن منحط:

ونقصد بالانحطاط الأول انسلاخ"منصور"عن جل المبادئ والقيم النبيلة والانفصام الكلي عن ذاته الأصيلة الطيبة والخيرة،إلى ذات أخرى غريبة عنه شريرة وواعية تماما لحقيقة ما تقدم عليه من إنماء للحقد والغل في باطنها،واعتماد سياسة كشف المستور بنشر الفضائح والزلات كعقاب يستحقه أهل القرية لما يخفونه من نفاق"**اختفيت خلف الشجرة قرب مدخل"الفيلا"،ورحت أراقب مدفوعا برغبة كبيرة في التجسس وكشف المستور،وكلّي أمل أن أعثر عل معصية أو خطيئة**"[1] فصار الكرف هاجسا يسري في دمه وكذا للمؤسّسات الدّينية والسّياسية خاصة المحلية منها(بمعنى القائمة والمتواجدة في القرية) فصاروا-أهل القرية-يتقنعون بأقنعة براقة تخفي الفجائع بما ينافي حقيقتها من مكائد وبغضاء. فما يتراؤون به فيما بينهم ما هو إلا وسيلة لحفظ ماء الوجه المتعارف عليه.ويمكن أن ستشف بوادر ارتسام اغتراب واعتزال شخصية منصور من العتبة الأولى للرواية أي من العنوان"**كرّاف الخطايا**"* فهو"**نص مختزل ومكثف ومختصر، إنه نظام دلالي رامز، له بنيته الدلالية السطحية، وأبنيته الدلالية العميقة مثل النص**"[2] والمسؤول عن الكرف هو منصور البطل صاحب الثلاثة والثلاثين عاما في الجزء الأول والثالثة والأربعين كعمر تقريبي في الجزء الثاني، ذو لحية داكنة تميل إلى الاحمرار خريج جامعة السّربون،وحامل شهادة من أعرق الجامعات الفرنسية،كما نلفيه شاعرا يجد أهل القرية اسمه مكتوبا في الجرائد مقرونا باسم قريتهم

[1] عبد الله عيسى لحيلح،كرّاف الخطايا،ج1،مطبعة المعارف،عنابة،الجزائر،ط1،2002م،ص13.

* وقد ورد العنوان هنا جملة اسمية "كرّاف الخطايا" بالنسبة لـــ: كرّاف جاءت على صيغة فعّال دلالة على شدة القيام بالفعل فكرف الشيء بمعنى شمه وكرف الحمار إذا شم بول الأتان ثم رفع رأسه و قلب جحفلته ينظر:ابن منظور، لسان العرب، مج9 ،ص 296

[2] الطيب بودربالة، قراءة في كتاب"سيميائية العنوان" لبسام قطوس، السيمياء والنص الأدبي، محاضرات الملتقى الوطني الثاني،منشورات الجامعة، بسكرة،الجزائر، أفريل 2002م، ص25.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكنه خرج عن مهمة نظم الأشعار إلى اتّباع خطايا الناس وكأنه معصوم عن الخطأ أو من جنس آخر غير جنسهم ومن عالم آخر يسوده الجو الملائكي الطاهر.ويطالعنا في الرواية غلاف في شكل لوحة زيتية تجريدية، ذي ظلال وألوان وأشكال. وهو تعبير عن مشهد للضياع تتعدد فيه الأصوات الإيحائية والأبعاد الدلالية فتنطلق الصورة من الأعلى على هيئة كلب أو حصان بلا فارس كأنه من ضحايا أو مخلفات معركة طاحنة،أما سقوط الحصان فمعناه ضياع صهوة النّهضة والنجاح والتفوق فقتل في نفسه الطموح والإرادة بالوصول إلى أهداف أمة وشعب، ثم ينفجر من عنق الحصان شلال دماء ولهب، فلا نلحظ منه غير الرأس. أما بقية الجسم فتتلاشى شيئا فشيئا، لتتشكل في الأفق كغيوم عابرة كأنه– الحصان–صورة لمجتمع يتلاشى وينمحي تدريجيا، أوكأنه يحتضر في امتزاج مترافق ومتناغم يعطي تناوبا بين الأصفر والأحمر والأبيض، وقد طغى اللون الأحمر على لونية الغلاف وهو رمز للتضحية لكن وأي تضحية تلك التي نجدها في مجتمع يسوده النفاق، فإن ضحّى أفراده ففي سبيل قضاء المصالح والعيش بأي ثمن ولو كان على حساب التخلي عن المبادئ الدينية و الاغتراب عن القيم الإنسانية. كما نلمح هيئة آدمية شبيهة باللهب والمقصود بها هو الشخصية الجذع التي وجدت كي تحرق الآخرين كما مثلت التضحية الغائمة أحسن تمثيل، واحتراق ذاتها نتج عن وقود ذاكرتها وتأملاتها الفلسفية وقناعتها الإيجابية.

و قد صورت الرواية منصورا تصويرا خاصا ومتميزا عن الآخر، إذ أنه منطوٍ على ذاته المفقودة والتائهة في الجزء الأول ،وما شغله الشاغل إلاّ"**القيام ببحث منحطّ أو شيطاني عن قيم أصيلة في عالم منحطّ،لمجرد كونه يصادف صعوبات تحول بينه وبين تحقيق أهدافه**"[1] و ذلك بكرف وتقفي مطبّات الناس المحيطين به لأنه وجد نفسه، وببساطة يقاسي إشكالية الوجود في مجتمع باهت يجهل حقيقته،ويعيش بدون هدف يسعى إليه ولذلك فقد شعر بأنه أمام مهمة يردفها لنفسه"**أن أكشف لكل واحد منهم من أي فصيلة حيوانية هو،حين أكسر قضبان العقل ليتحرر الوحش أو الكائن**

[1] إبراهيم عباس،تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية،دراسة في بنية الشكل،دار ،الجزائر،ط1 ،2002م،ص151.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البدائي المأسور الذي لم تدجّنه اللغة ولم ترضه الحاجة ولم تزيفه الحاجة،حينها سأكون مرآة سحرية،تنعكس عليها كل صورهم المخيفة خلف الجلود الشاحبة والأبشار الباهتة"[1] عليه إذن أن يرفع بوعيه الغطاء الذي يحجب نور الحقيقة عن أعين الناس، والتبشير بمكامن طموحاته التي تكتنزها عواطفه المقموعة.

وما حنينه إلى الزمن الأول(زمن الإنسان البدائي) إلا خير دليل على إثبات الهوة الواسعة والحائلة بينه، وبين زمنه الرّاهن فقد يؤثر الحياة البدائية الصافية من كدر الطمع-حسبه- الذي تسبب في تواكُف الناس وتواطئهم،وحتى ينجز مهمته فلابد من الاحتكاك القسري مع غيره من البشر،لأنه وبداخله يدرك تماما حقيقتهم التي يتجاهلونها،لأنه عجز عن استساغة الحياة،وأكد على فكرة عجز المعايير الاجتماعية عن السيطرة على غربته المحيرة.أما الجزء الثاني من الرواية فقد صور لنا منصورا شخصا مسالما بعد عودته من غربة مجهولة حيرتنا طوال سيرتنا البحثية والتي دامت عشر سنوات بعد فعلته المشينة،فقد صار اجتماعيا رغم محدودية هذه الاجتماعية ورغم ذلك فقد قفز بنا-الجزء-قفزة نوعية تكمن في أنه قد عرج على الجانب الروحي للبطل والإيمان بضرورة التغيير بعيدا عن الإنجاز الفعلي الملموس بل باللجوء إلى أضغاث الحلم،وكذا السفر الروحي إلى عالم الغيب عن طريق أحلام ذات طابع أسطوري ذي رونق خارق للعادة وبمسحة صوفية خالصة لأنه اعتبر نفسه وليا من أولياء الله الصالحين ووريثا من ورثة الأنبياء المترهين عن الخطأ. آل إلى فرد حريص على التساؤل دائما ولكن بكيفية راقية، إذا تبنينا الرأي القائل بأن المعرفة الروحية تعد من أسمى النشاطات الإنسانية، وقد بدأ الاغتراب بانسلاب البطل عن ذاته قبل كل شيء، لأن تخلّيه عن العمل(اغتراب وظيفي) واتكاليته المفرطة جعلته لا يجد للحياة حاجة لها به فأصبح يتمنى الموت كحل أوحد للاّوجود وللاّمعنى الذي آلت حياته إليه فها هو يرجو لقاء أبيه الذي غادر الحياة منذ سنين مخاطبا صورته المعلقة على حائط هائر،رغم إحاطتها بإطار ذهبي لا يستحق مكانا كهذا

[1] الرواية، ج1،ص250.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول:"**وأنا شخصيا ما أحسبني سوف أتأخر عنك طويلا،لأنني لم أعد أستطيع استساغة الحياة لقد اهترأت على وجهي عشرات الأقنعة دون أن أجد مكانا لي بين الناس تحت الشمس**"[1] وكل هذه المسوغات ستؤدي بمنصور إلى تفكير مخالف يعرف بالتفكير الانسياقي الذي جعل له"مارتن هيدغر"مظاهرا ثلاثة يمكن من خلالها إبراز تأزم الاغتراب لدى شخصية منصور وهي:الثرثرة اليومية،الفضول،الالتباس مظاهر زادت من تقوقعه وإرهاق نفسه بالعزلة الشديدة.

فقد انقاد أولا نحو الثرثرة اليومية، وقد كان لازما إدراج هذا المظهر ضمن عنصر اللغة، إلا أن المحددين اللاحقين، قد فرضا عدم الفصل بين هذه المعايير التي جاء بها هيدغر نظرا للتداخل الحاصل بينها.فالثرثرة تجعل الفرد يشعر دائما"**بالعدم والسّطحية في الحياة اليومية فيستعصى عليه التمييز بين الكلام الصادق والحقيقي والكلام الزائف**"[2] وهذا ما حدث بالفعل مع منصور حيث أدت هذه العدمية إلى سقوط ذاته إلى أسفل السافلين، أي إلى اللاّوجود ليصبح غريبا عن دنياه وعن نفسه بخاصة كأخطر غربة قد يعيشها؛وتتجلى لنا الثرثرة اليومية من خلال الكلام الغامض والمبهم الذي صار حاضرا وبصفة دائمة على لسان منصور"**ويتركز كل شيء على عبارة إنهم يقولون**"[3] فلا يمتلك كلاما يقوله بينهم كحاضر الجسد بروح غائبة،مما فعّل من جلاء التفاعل معهم ولا يكترث لفكرة الولوج برؤاه إلى عالمهم-البشر-وهذا ما نستشفه من المقطع الآتي:"**إنهم يثرثرون ويكذبون،ويقسمون أنهم لصادقون...إنهم يتكلمون ويستفهمون،ومن حين لآخر يقعون في التناقض الطريف فيضحكون**"[4] بات يرى كل كلامهم لغوا وزيفا لا مجال للحقيقة النورانية في ثناياه،أما الكلام والقول فقد صار حكرا على غيره من البشر،أما هو فقد خلق لكي يرى ويسمع لا لأن يُفصح أو يُسمع،أي بين **الوجود** (الرؤية/السماع) و**العدم** (الترصد/الانغلاق)...لكن

---

[1] الرواية،ج1،ص16.

[2] حسن الكحلاني،الفردانية ،ص134.

[3] أميرة علي الزهراني،الذات في مواجهة العالم ،ص44.

[4] الرواية،ج1،ص 10.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبالرغم من ذلك تجاوز اغترابه عن نفسه إلى اختيارها صديقا ومؤنسا ينسيه مرارة الألسنة السليطة،وحقد الأعين المقيتة بين جفون الترقب الماكر يقول:"**أنا ونفسي صديقان منذ أن تعارفنا ونحن منسجمان تماما نمشي معا وننام معا دون أن يفكر أحد منا في مراودة صاحبه عن نفسه في أيام الجمع والأعياد نذهب إلى شاطئ البحر فرارا من الرياء والنفاق والتهاني الزائفة وقبل يهودا**"[1] فقد استمرت رحلة منصور الاغترابية في الجزء الثاني من الرواية إلا أنها كانت مريحة ومضللة نوعا ما نظرا للوعي الروحي(النزعة الصوفية) الذي قد فتّح عينيه أمام واقعه المرير وساعده في التملص من مجريات أحداثه الزمنية المضطربة.

أما الفضول فهو ملمح آخر اقترحه هيدغر ويوحي إلى التبعية، والانقياد إلى الآخر وفقدان الأنا وسْط حشد الأنات الأخرى،ويكمن في كرف منصور لخطايا الناس وترصده الدائم لهم وذلك بمحاولة نفسه"**نسيان ذاتها في الموضوعات اليومية المظهرية من منطلق البحث عن الجديد**"[2] وهذا ما قد تكرر مرارا معه إلى أن صار"**يعيش مشروعه الخاص وهذا ما يؤدي به إلى الحالة الخاصة الثالثة للحياة اليومية**"[3]مطلقا بذلك العنان لوحدته التي قدمت ذاته قربانا لمذبح التشاؤم والتمرّد القائمين على حالات من التمزّق اليومي،والانحلال السلبي والكلي في الآخر من خلال البحث عن النفس في مراياهم لعله يجد آذانا صاغية و إن كان على يقين من ذلك"**أنا على يقين أنهم سوف يفهمونني...سيفهمونني حين أكون لا أفهم نفسي،لنبقى في جدلية فارغة...أدعوهم إلى الحياة وهم موتى،ولما يستجيبون أكون أنا الميت**"[4].فمنصور هنا ليس بصدد التعنيف من حيث فرضُ النمط أو التواصل الشعوري مع غيره من الأفراد ولا يطلب بدوره"**إلى غيره من الموجودات أن تحاكيه وتسير على منواله،بل هو يرديها أن تتخذ طريقها الخاص،وتسير نحو كل ذات بما لها من**

[1] الرواية، ج1،ص40.

[2] أميرة الزهراني،الذات في مواجهة العالم، ص44.

[3] حسن الكحلاني،الفردانية،ص135.

[4] الرواية، ج1،ص264.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حقيقة خاصة"[1] وهذا ما عجز عن تحقيقه في ظل القهر المعاش والغارق في بحر العلاقات الاجتماعية والسياسية وحتى الدينية المألوفة بين الناس.

أما الالتباس فهو محصلة المحددين السابقين لانحطاط البطل وانسياقه أي الثرثرة والفضول ويعنى به"**العجز عن التمييز بين الحالة المشروعة والأخرى اللاّمشروعة،بحيث يفقد الفرد القدرة على معرفة وضعه الحقيقي،ليعيش حالة من التمزق اليومي فلا يمثل ذاته بل يمثل حياة الناس**"[2] فيستحيل على الذات التمييز بين ما هو حقيق وما هو مزيف وبهذا أصبحت الآنية التي يعيشها منصور غير ذاتها بسبب الزيف والتنكر الاجتماعي السائد ليتخبط بين وهم الوجود ومثالية الأنا المفرطة،ويخالف بذات أضحت الأكثر إلغازا واستغلاقا،لأنها مأزومة أمام مجتمع مهترئ بات يمثل أكذوبة ماكرة،ما الفضيلة فيه إلا خدعة كبيرة تسحق أحلامه ونجواه،وها هو ذا يفصح عن منافاته لهم"**يكفي أن تفكر خلاف ما يفكر القطيع،وأن تنطلق عكس وجهته،وأن تشير إلى فضاءات لا يراها العور،وأن يكون صوتك صريحا فصيحا،لا أثر فيه لرطانة القطيع**"[3] إذ أنّ نعت أهل القرية بطائفة من البهائم لخير دليل على رفضه لهم وانسلاخه عنهم جنسا وعقلا وروحا كضرورة عمياء للانغلاق الذي سمّ موطن أسراره كي يتحول إلى آلة تفضح كينونته الفارغة كليةً من كل معنى إنساني لّما كتب منشوراته الفاضحة لأهل القرية فضحا مبينا...ولا بد من الإقرار بأن شخصية البطل قد أغرتنا كرؤية تأملية للعالم بضرورة الكشف عن معالمها وسبر أغوارها،والتوسل بحاستها النقدية لتنير لنا دروبنا المؤسسة للمواقف الاغترابية فتعزو الملمح المتفرد المعبر عمّا هو رائج كانطباع مخالف للمبادئ المتعارف عليها بالرغم من انغماسها في الانحطاط الظاهر في إعلان العزلة والمضمر لما فتحت باب القلب إلى رياح الضغينة ورفض العالم الخارجي.

---

[1] زكريا إبراهيم،دراسات في الفلسفة المعاصرة،دار مصر للطباعة،الفجالة،مصر،ص441.

[2] حسن الكحلاني،الفردانية،135.

[3] الرواية،ج1،ص13.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتبدأ رحلته بمعاناته الاغتراب الوظيفي الذي لازمه منذ أن تخرج من الجامعة،فعانى الانفلات عن الذات"**رغم أنه كان في إمكانه أن يعيش في المدينة كأحسن ما يعيش الموْسورون إذ أن له أما كريمة تنفق عليه بغير حساب،مدفوعة بعاطفة الأمومة والتعويض إلا أنه آثر أن يعيش في هذه القرية في دار أمه القديمة عيشة فيها شظف وعسر**"[1]وما المنفذ الوحيد إلا الاسترزاق من جيوب الآخرين سواء برضاهم أو بمخادعتهم عندما تندس يده خفية كي تجلب قوت اليوم،أو ما كان كرما من عند أبيه الروحي صاحب المقهى عمي صالح وكعادته"**راح يحرك يديه تحت قشابيته،منتقلا من جيب إلى جيب،وأخرج رزمة صالحة من المال ودسّها في يد منصور**"[2] فهو عالة على الآخرين، يفرّ من صنيع ذاته الأصلية يتحرر من قيد هذا النظام الروتيني ورتابته الإلزامية موغلا بها في متاهة الاتكالية والفراغ الوجودي الرّهيب...فالانفصال عن العمل ورفضه تماما دافع وباعث آخر من بواعث الاغتراب في الذات وعنها.وإن كان منصور يعي وللأسف حقيقة الحياة،وأهمية ترك بصمته فيها،ولعمق اغترابه صار يخاطب صورة أبيه المعلقة على الحائط،يفضفض له عما يجول بخاطره ساردا له بذلك كل يومياته البائسة والفارغة،والتي لا مجال لبصيص الأمل بالظهور فيها فيخاطبه قائلا:"**الحياة ليست خطيئة كما يقدمونها للطيبين وليست مغامرة ولعبة حظ لا لزوم لها،الحياة لا تتطلب شيئا كبيرا لتكون جميلة ومريحة،إنما تتطلب أن نتحرك فيها بحجمنا الحقيقي وأن نكون صادقين معها،لتكون صادقة معنا وتعطينا من اللذة بقدر ما نسبغ عليها من صدق**"[3] وهذا الانزعاج من الملوثين الذين يزعجهم أن تكون الحياة صافية،شأن الإرهابيين الذين تتأذى بصائرهم من شعاع زُخات النور الذي أرهق منصورا كدليل على أن ذاته خليط نفيس من المتناقضات فهو يتمنى الموت ومن ثم ضرورة اللاّجدوى للموت لأن الحياة بعيون في رؤوس الآخرين.

---

[1] الرواية،ج1،ص1 .

[2] الرواية،ج2 ،ص324.

[3] المصدر السابق ،ص154.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهو خدوم وكريم مع غيره وطيب، لكن لا يروق له أن يصير ظلاّ بمعناه الفكري والروحي والسياسي لهم"**أريد أن أكون قطعة غيار لهؤلاء وأولئك،أو قناعا يرتدونه حين يريدون ارتياد المناطق الخطيرة**"[1].وانحطاط منصور يكمن في عدم فاعليته كعاطل عن العمل وفي الضغينة الكامنة في نفسه القابعة في حيز الانغلاق لسبب وجيه-حسبه-وهو أنهم ارتادوا النفاق وتمطوا ركب الخديعة،ولبسوا الأقنعة الملونة بألوان الأوطار الدنيئة بدءا بالفقير"ابن الهجالة والزبال وصولا إلى الإمام ورئيس البلدية على الصعيد المحلي وكذا أصحاب المال والجاه.أما انحطاط المجتمع فيكمن في أنه لا"**يسوم الحكمة بضاعة ولا يشربها ماء،ولا يترنم بها نشيدا أو غناء ولا يلبسها لباسا حتى ولو مشى الدهر كله عاريا،مجتمع لا يسمع إلا طنين الطين يوشوش حول القلب والروح كخلية نحل وهي تستعد للرحيل**"[2]ولم يكن أمام منصور إلا خيار الجنون كحيلة تفطن إليها بعد أن"**تعاظم الشعور بالغربة بداخله وبعد أن تعاظمت أسئلة الحياة وأسئلة الواقع،وتعاظم الشعور ببؤس الحياة في انتظار التغيير**"[3]فولدت معالم العبثية كمظهر آخر من مظاهر الشعور بالاستلاب ونمت وترعرعت بين أحضان هذا الجنون المصطنع في ظل الانسحاق السياسي والاجتماعي والديني وحتى التاريخي.لأنه ما من حيلة أخرى أمام هذا التناقض الوجداني الذي لم يعد بوسع حياة منصور،وحياة غيره من الأشخاص أن تستوعبه ويتجلى هذا التناقض في"**تواجد أو تعايش عاطفتي الحب والكراهية في آن واحد إزاء موضوع معين(المحيط)،وهو استعداد فطري كامن في كل فرد،وقد يعود في نهاية المطاف إلى صراع غريزتين دافعيتين إنسانيتين في النّفس الإنسانية**"[4] وقد نشب هذا النزاع بين ثنائيتي العقل والجنون كتلازم مفروض للفعل والانفعال وكذا السلب والإيجاب على المستوى الفردي وهذا ما حدث ليؤكد لنا المدلول الأصلي الأول لكلمة اغتراب اللاتينية الدالة على الاضطراب العقلي وهذا ما أثبته الحس العبثي عبر اللجوء إلى الجنون الذي

---

[1] الرواية،ج2،ص162.

[2] المصدر نفسه،ص347.

[3] مريم جبر فريحات،الحسّ الاغترابي في أعمال روائية لغسّان كنفاني،مجلة جامعة دمشق،سوريا،مج26، ع3،2010م،ص301.

[4] عبد المعطي سويد،التناقض الوجداني في الشخصية العربية،المعاصرة،دار الحوار للنشر والتوزيع، ،سوريا، ط1 ،1992م،ص46.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اختلفت أوجهه ومدلولاته في روايتنا"**فلكثرة المجانين وأشباه المجانين،وما يأتونه من غريب التصرفات..صاروا لا يندهشون ولا يكترثون..وهذا الذي جعل المسافة بين العقل والجنون تضيق في هذه القرية فأحيانا ترى العقل سيفا والجنون غمدا،وأحيانا أخرى ترى العكس**"[1] لتصير له؛أي للجنون مرايا عديدة تقاطبت وتقاطعت فيما بينها معجّلة بذلك في تأزيم الحالة الاغترابية لدى البطل ورمي كيانه التائه في محنتها القاسية.

كما مسّ انحطاط الزمن(الأزمة)وكذا بعض المؤسسات التي تعفنت بسبب مطامعها الكاتمة للأنفاس والقامعة للحريات شخصيات أخرى وتسبب في اغترابها وانحطاطها إلا أننا لم نركز عليها لأنه-الاغتراب-كان قسريا و لم يتجذّر لديها مثلما ألفيناه مع منصور ،فقد كان استلابهم مؤقتا ذهب مع ذهاب الظروف؛وتناسوه لغياب الوعي وانتقاصهم لعنصر الثقافة خاصة السياسية والدينية التي من شأنها أن تزيد من انفصالهم عن الآخر(النظام)،ومن حدة إنكارهم للعالم الخارجي الذي يتواجدون فيه ك"الحاجة" أو "نعناعة" وخليفتها "سميراميس" لما اغتربتا عن مبادئ الدين الإسلامي ببيع المحرمات-الخمر-لذوي القلوب الضعيفة فاحترفتا هذه التجارة لسنين طويلة تحت وطأة الاسم الخادع للأسماع ألا وهو **الحاجّة**،فعادة تلقب بهذا الاسم المرأة العفيفة الطاهرة التي زارت بيت الله،وحجت إليه فلن يخطر على بال أحد بأنها قد مالت مع ريح الانحراف وكسرت شأن اسمها التقي بابتياع الحرام شعارا للحياة،وحتى **الشيخ** والمقصود به إمام المسجد الذي اكتسى ثوب الرياء والنفاق ثوبا يظهر بلسانه عكس ما يضمره موطن أسراره من تقويل وتطاول على أحكام الشرع،وخلق للمحاكمات الشرعية الفارغة والمستهزئة بقداسة الإسلام فجسد الاغتراب الديني أيما تجسيد وسنفصل في هذا النمط عندما نتطرق إلى عنصر النسق الديني اللاحق.ومن جهة أخرى انحطاط الطالبة الجامعية التي اغتربت هي الأخرى عن المبادئ والأخلاق،بسبب انخراط أخويها مع الجماعات الإرهابية المسلحة،فللحفاظ على أهلها وضمان حياتهم أبعدت الشبهات عن نفسها

[1] الرّواية،ج2،ص79.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعائلتها بالرضوخ إلى عالم الرذيلة وسنفصل في هذا الجانب أكثر في الفصل الثالث بتناولنا لعنصر المرأة وتقويض النسق الاجتماعي.

وهناك شخصيات ثانوية أخرى ذكر الراوي لنا قصصها المأساوية وتراجيدية انحطاطها مع الزمن الأليم كعمي عليوة الزوالي الذي قدم أبناءه وللأسف قربانا لظلمة سنوات الأزمة"**أما أبناؤه فقد انصرفوا ذات اليمين وذات الشمال،كما تتفرق الشياه التي لا راعي لها حين يدركها المساء**"[1] بسبب انشغال أبيهم بالحظ المنكود والفقر المطبق؛تشرد هؤلاء الأبناء الأربعة فصار "السبتي" مدمن مخدرات،أما"الرّبعي"فقد صار متاجرا في ما لا يباع ولا يشترى،والجمعي فصار لا يفرغ من صلاة إلا ليتوضأ لأخرى،وأخيرا"بوخميس" أصغرهم فقد اختار سبيلا أنظف على حد تعبير الراوي فانخرط في جماعة إسلامية مسلحة. كان مصير هؤلاء الضياع والتيه في ظل الخراب الذي يتخبط فيه مجتمعهم، فانحطوا على غرار منصور إلا أن اغترابهم الذي جسد هذا الانحطاط قد كان هامشيا لا يستدعي التأمل والتحليل.

2-مرايا الجنون ومحنة الاغتراب:

اقتضى الاغتراب النفسي المنسحب على باقي الأنماط إيضاح الفرق الحاصل بين نوعين من الجنون كترجمة فعلية لاضطرابات نفس شخصية منصور وتموّجاتها الهائجة، إذ أننا ألفيْنا أنفسنا أمام جنون مزدوج من حيث العمقُ ومن حيث الظهورُ وهذا الأخير مادي محسوس عكسته تصرفات البطل الصبيانية الموحية إلى براءة متألقة، تمثل في الجنون العادي المألوف من حيث التمظهرات الخارجية فهو"**مثل كل الغرباء واللامنتمين،كان يمشي وحده في الشارع حافي القدمين،متأبطا خفّه النسوي...شعره منفوش...فكر أكثر من مرة أن يعود إلى سابق عهده وعقله فمن الصعب أن يسبح الأعزل عكس التيار**"[2] يجول في الشوارع ليل نهار ويتلفظ بما يغضب الناس ويبتز

[1] الرّواية، ج2،341.

[2] الرواية، ج1،ص76.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحاسيسهم، وما كان ليرتدي الخف النّسوي لولا أن هذا الجنون الملفق قد أكسبه الجرأة والقدرة على استنطاق الحقيقة العارية بالشعر المنفوش والمشي حافيا، والتغلغل إلى أعماق الحياة بعد أن سكن كيانه العقلي المحاصر والحاضر في الغرفة (الكوكب الخاص) وأمام الأم والأخت دون غيرهما، والغائب في المقهى والقرية والمدينة، وقد انبرى هذا النمط الجنوني بفعل التخوفات الدفينة في النفس فبات على الصعيد الفني"**تطورا فنيا لازدياد حدة القلق والتوتر عند البطل،إما بفعل تأثير عاطفي جماعي فيما يشبه الصدمة وإما بفعل توتر نفسي**"[1] زاد من حدته-التوتر- نمو التفكير العقلي الذي أرهقه فلا يجيد سوى التأمل في الحياة، ومضاعفة الحيرة في أمرها الغريب صارت حياة اللاعقل بل مدفوعة بالغرائز والشهوات وبيع المبادئ القويمة بأبخس الأثمان.

أما الوجه الثاني فقد آثرنا أن نسميه بالجنون الرّوحي والذي اختص به الجزء الثاني من الرواية في محاولة للولوج إلى عالم الروحانيات والغيبيات بدءا بمخاطبة إبليس ومسامرته واستشارته في دقائق الأمور والمعاني، وصولا إلى لقاء الأموات عبر رحلة السفر الروحية،ذات الصّبغة الصوفية المحفوفة بزخرف الأحلام المصوغة صياغة" **تراجيكوميدية**"[2]بتوظيف الأسلوب الساخر ذي الطابع المأساوي الهادف إلى التحسر على تقهقر الأنساق الاجتماعية منها والسياسية والدينية.فحال المحاكاة-محاكاة التراث الإسلامي-هنا حال المعرّي في"رسالة الغفران" وكذا "دانتيه"الإيطالي صاحب "الكوميديا الإلهية" لقصة الإسراء والمعراج المذكورة في ديننا الإسلامي الحنيف.وقد يعتبر هذا الجنون نوعا من الهذيان الانفعالي بسبب ما يجري من فساد في الساحة السياسية والاجتماعية وغيرهما ويرمي هذا الهذيان إلى المطالبة الدائمة،أي الاستفسار عن المنطق والواقع ولكن بتصرفات غريبة هوجاء وهذا الهذيان قد أدهش طب الأمراض العقلية فاعتقدوا بأن"**هنالك أناس يبدو أنهم مجنونون،لكنهم ليسوا كذلك بالفعل،حيث يحتفظون بملكاتهم وبالخصوص ملكة حسن تدبير**

[1] يوسف نوفل،تجليات الخطاب الأدبي،دار الشروق،القاهرة،مصر،ط1،1997م،ص57.

[2] ويقصد بها ذلك الهجاء الكوميدي القائم على السخرية المعتمة بتعاقب الضحك والتحسر،فتتبع منحى ساتيريا هادفا.ينظر:مولوين ميرشنت،كليفورد ليتش،الكوميديا والتراجيديا،تر:علي أحمد محمود،عالم المعرفة،الكويت،1990م،ص55.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثروتهم وممتلكاتهم كهذيان التأويل الانفعالي"[1]ولطالما فكر منصور في مصارحة هؤلاء بأن عقله سليم وأن الجنون الذي صاروا يطربون لسماع ترهاته أو يتشهون لعبقريته أما هو فلا يملك إلا نفسه وجنونه يسلطه على من يشاء إلا على والده أو صورة هذا الأخير إن صح القول فقرر أن يصعد إلى ساحة القرية مناديا بأعلى صوته"**أيها الناس اسمعوني وعوني...أنا لست مجنونا، إنما كنت أمازحكم فقط لأنظر كيف تعملون...وقد أتقنت اللعبة إلى الحد الذي انطلت عليكم وتلبس عليكم الأمر فصدقتم،وها أنا اليوم أشهدكم أني قررت أن أعود إلى عقلي والله على ما أقول شهيد"**[2] إلا أن الناس وبعد سماعهم لهذا القول أجزموا على استغراقه الشديد في الجنون. ولإيمانه هو أيضا بأنهم على يقين من هذا الأمر ارتأى جعل هذا الجنون فردوسه ونعيمه بغية الهروب من الضغوطات النفسية التي يعانيها،كما لجأ إلى استجلاء مساعي الهجاء المبطن لديه بأسلوب عبثي ساخر التجّ وارتجّ بالواقع المرير ليعيش اغترابا أمرّ منه ويصل إلى ذروة الانفلات صار يعيش جنونا لا يضاهي الجنون الهستيري كما عرف في العصر الوسيط بل جنون"**شبيه بانفصام الشخصية(الشيزوفرانيا*)فينعدم فيها الاتصال بالواقع الباطني،ويشتق فيها الفكر على الوجدان"**[3] وهذا الأمر فعّل من توليد فكرة التأسيس إلى وجهة النظر الذاتية والميل إلى تقييم البيئة الخارجية.

وما ساعدنا في حكمنا على شخصية البطل بأنها معقدة وذات عمق سيكولوجي هو المحكي النفسي الموجود في الرواية بالدرجة الأولى وهو كيفية تستخدم لاستظهار الحياة الداخلية والنفسية للشخصية وهذا ما أكّده لنا "جيرار جينات"في ذهابه إلى أن "**إنسان اليوم يعيش وقته كضيق**

---

[1] عبد الحي أزرقان،أحمد العلمي،حوارات في الفلسفة والأدب والتحليل النفسي والسياسة،أفريقيا الشرق،المغرب،ط2،1996م،ص110.

[2] الرواية،ج1،ص172.

*ويقصد بها انفصام الشخصية،وتكمن في احتواء العديد من المتناقضات التي تتنافى ورغباتها هي.

[3] مجدي أحمد محمد عبد الله علم النفس المرضي، دراسة في الشخصية بين السواء والاضطراب،دار المعرفة الجامعية،بيروت،لبنان،2000م،ص5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكانحصار نفسي،داخليته تافهة أو هي في حالة جيشان،مما يجعله ينشد الإحساس بالأمان والاستقرار"[1] أما التوسل بالأسلوب الاستبطاني المعتمد من طرف الروائي فتم بالاستناد إلى تقديم شخصية البطل بطريقة مباشرة عن طريق الوصف الجسدي والنفسي وبأسلوب تقريري من خلال وصف أحوالها ووجدانها وأفكارها بأسلوب حكائي بفضل تصريحاتها أحيانا، ومظاهر الاستبطانية تبرز من خلال"**ولوج الروائي إلى العالم الداخلي للشخصية والمنولوج الداخلي للشخصية**"[2]مما سنح لخطاب اللاشعور بأن يطغى على الساحة الخطابية ويلغي حضور الوعي الفعلي والمحيّن لمصداقية المكبوت المعارض. فغاصت فجائعية الاغتراب إلى غوْر الشعور والعقل ناهيك عن الكوكب الخاص المتمثل في غرفة البطل وتطليق العالم الخارجي لا لشيء سوى لأنه مزيف وغير مرغوب فيه.فمنصور يقوم بجل الوظائف المخصصة وفق المساحة المحددة لها رغم الاستحواذ الجلي على أغلب المقاطع السردية وكذا الحوارية في الرواية،وقد استقل بفلكه الحافل بنجوم اللانتماء،ونيازك الازدراء من لعبة الحياة،وبكواكب اللامبالاة من ضرورة الرضوخ إلى نواميس السائد الثقافي والاجتماعي وغيرهما.وكلما زاد وعيه بالواقع زادت شروره التي أكسبت روحه مزيدا من الانسحابية ودفعته إلى نفض يديه من مواجهة الصعاب الحياتية التي فرضها مناخ الأزمة الذي أشعل في نفسه نيران الانهزام أمام الوجود فما كان عليه إلا أن يطلقه ويضم إليه عقله الذي أحيل إلى عبء أثقل كاهل غيره من الناس لأنه يقظ ومستشعر لكُنْه الفساد الحاصل وبؤس الوضع الراهن.

[1] بدري عثمان،بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط1،1986م،ص124

[2] محمد عزام،شعرية الخطاب السردي،ص20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

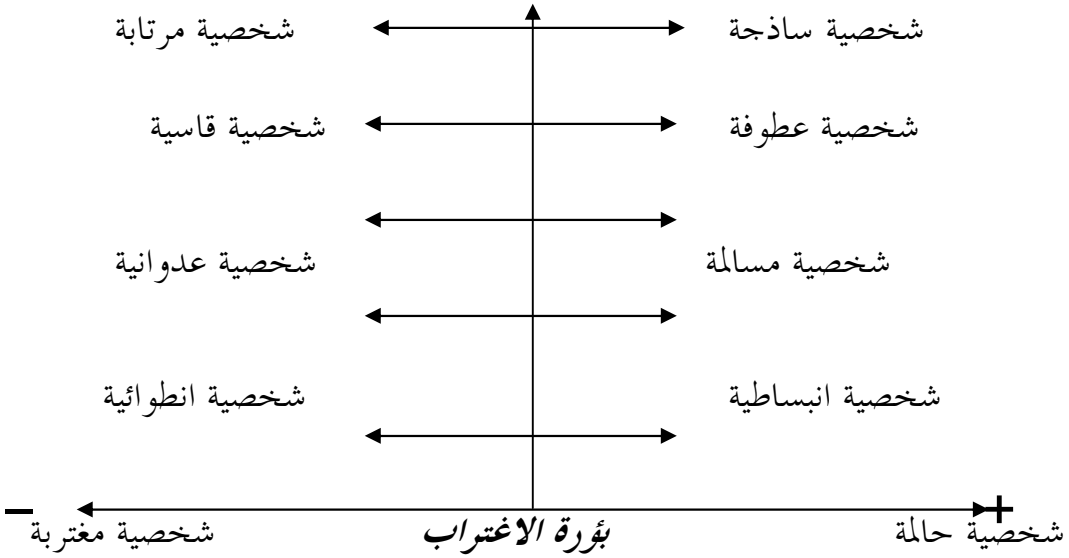

مخطط اعتلال شخصية البطل وسويتها[1]

ونقصد بالاعتلال هنا اغترابه واستلابه واضطراب نفسيته التي نبذت فكرة الاندماج مع الآخر (فرد/مؤسسة)كما برّرت هذه التقاطبات الكامنة في نفس البطل، لجوءه إلى حل العقاب،ومواجهته "**لثنائية التدمير الموجه إما نحو ذاته،وإنما نحو العالم الخارجي وليس عنده أي حظ في الخلاص من هذا الصراع المأساوي**"[2]فدلت(العطوفة،الانبساطية) على قسرية التقبل لديه،أما (المرتابة،العدوانية،القاسية والانطوائية)فعلى التناقضات التي تسببت بدخول أناه في جدل لا حدود له مع الزمن..وهذا مخطط تقريبي لأهم التناقضات المحددة لأنماط ووجوه الشخصيات المتقاطبة في ذات البطل المغترب،عانى الانفصام والتجرد من الهوية والانفصال الجزئي عن بعض الوجوه والكلي في الباقية وعن ذاته الأصيلة ما أكد لنا نظرة النفساني إريك فروم عن الاغتراب في الذات ومنها. ونقصد بالحالم ذاك الطموح بخاصة على الصعيد الروحي الذي انبرى من خلال أحلام اليقظة تارة،ومن خلال السفر الروحي باعتبار نفسه وليا صالحا،جاء ليتبرك به الآخرون وكالمرابط أو الدرويش بشهادة من عمي صالح.

[1] فكرة المخطط مستوحاة من تخطيط أحد باحثين،ينظر: عبد الكريم الصالح، تحليل الشخصيات وفن التعامل معها، 1427م

[2] إريك فروم،أزمة التحليل النفسي،تر:طلال عتريسي،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط1،1988م ص42.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبطل **تجنّبي** ومبالغ في اجتنابه للآخرين يبقى أياما وساعات طوال في غرفته بعيدا عن خلطة الناس وتجنبا للاندماج الاجتماعي فلم ينسجم مع أهل القرية لما رأى منهم من انحرافات صدمته لدرجة نفوره منهم ولو على حساب عقله،وشخصيته **هستيرية** لأنها جاذبة للأنظار سواء بالقول أو الفعل فله من الفصاحة ومن الحكمة أيضا،وذو ثقافة استقطبت احترام أهل القرية فهو من علم أبناءهم حروف وقواعد اللغة الفرنسية،فاستبعدوا أن يكون مجنونا خاصة عمي صالح الذي أقسم وبعد سماعه للشريط الحيواني المسجل إلا أن يكون من إنجاز عقل يعد من نوادر عصره.

وذو شخصية **عدوانية** والعداء هنا واضح وجلّي ضد الدولة و يعتبر الغرفة كوكبه ودولته المستقلة فهنا اغتراب عن الوطن في عقر داره،و أهل القرية وهذه غربة عن البشر وعمل على نشر عيوبهم وخطاياهم و لم يكترث لعواقب فعلته،وبعد كرف أخطاءهم نشرها في منشورات بعنوان"**تتمة المغازي في أخبار المخازي**"فبهذا التصرف بالغ منصور في عدم مراعاة مشاعرهم وفضحهم بكل بساطة وبأسمائهم الشخصية و لم يرأف للنساء اللواتي قد يذبحن بعد أن أعلنهنّ فاجرات ولا لخراب بعض البيوت الذي لن ينجم عنه إلا ضياع الأنفس و تشرد الأولاد.وذاته **مرتابة** كذلك لأن سوء ظنّه بالآخرين هو شعاره في الحياة،وماذا سنتوقع منه وقد كرّس كل وقته لتتبع زلات الناس والعمل على عرضها أمام مرآة النهار المصقولة بالنفاق والمغالاة في التقنع والتصديق محال لأن وجوده غير حقيقي ومجرد كذبة فهو مجنون وهو بعيد كل البعد عن هذا السلوك المجازي الرمزي المزيف.

2-1 المنطلق وغاية السُّخْف المتكلَّف:

ويقصد بالسُّخْف-دون الخروج عن المعنى اللغوي-قلة العقل وضعفه، وبذلك إجهاده بالإنكار والرفض والإذعان إلى بؤس المعاناة، والتّماهي في الترهات الغريبة كإيثار العزلة القاهرة للحرية العقلية المتاحة وتبني الانغلاق الذهني شعارا يلحّ على التخلي الفوري عن الانسجام الكلي مع البيئة الفكرية السائدة فمنصور أبى لنفسه إلا أن يخالف أهل القرية في تفكيرهم القائم على التسليم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والاستسلام ولكنه يجهل تماما حقيقة اغترابه المطابق للمفهوم **الهيغلي** مثلما أشرنا سابقا وهو ذلك الانسلاخ القائم على التسليم الكلي للعقل نظرا لنقده لهؤلاء بتقديم عروق أذهانهم على طبق من ذهب للوضع الحاكم وهو أول من عجز حيث سلم عقله للعجز والفشل بعد أن ذاق حلاوة الجنون الذي سنح له بفرصة تطليق المؤثرات وبمختلف أنماطها...ونظرا لتصدع بنية العقل السائدة انسحب ذلك على بنية العقل الفردية(البطل) التي حرمته بدورها الأمن والحماية ليعاني بذلك الانهيار النفسي إلى حد الجنون أو الانتحار..

(+)

استقرار البناء الاجتماعي←توازن البنية العقلية السائدة←الانتماء العقلي الفردي=استحالة الاغتراب

(-)

وقد أدهشتنا تفاصيل حياة منصور إذ أصبح-في الغالب-إنسانا مجردا من العواطف لا يبالي بالمشاعر والتقاليد المتعارف عليها وأبى لنفسه أن تستقر إلى امرأة صالحة تستر عليه وتقاسمه الحياة لذلك يصدم العرف الاجتماعي بتصرفاته النابعة من جنونه وغربته عن الحياة"**ومتى كان عاقلا حتى يجن؟هل من علامة صحة العقل أن يغلق على نفسه باب داره ما يزيد عن الشهر؟ماذا كان يفعل؟..ماذا كان يأكل؟**"[1] كلها أسئلة تستفسر حقيقة العزلة القاهرة، والمطولة التي دامت الشهر فأكثر وترجمت اغترابا خطيرا منطلقه البطالة المعمقة للفراغ الوجودي الرهيب الذي سبق وأشرنا إليه في الفصل النظري...

ولما فقد منصور كل مقومات الحياة لجأ إلى العبث والسخرية وامتهان بيع العقل للفرار من أعباء المواجهة،فمن غير المنطقي أن يجاري إبليس في كلامه كتنفيث عن أزماته النفسية الحادة"**استلقى على السرير ورفع عينيه نحو الفردة فرأى إبليس يتمتم وعلى وجهه علامات الحيرة المشوبة**

[1] الرواية،ج1،ص 9.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالتعجب...فسأله منصور وهو يداعب شعر لحيته.."[1] فكانت إذن جل حواراته-المتهيّأة-مع هذه الشخصية المصاحبة التي صار لها كيانها الخاص لولا جنون منصور الذي وصل إلى الذروة لضخامة الاغتراب النفسي لديه بالدرجة الأولى"**ولأنه في سابق عهده كان يحتار مع من يجلس لكثرة المنادين،أما اليوم فهو محتار مع من يجلس، لأنه لم يناد عليه أي واحد،رغم كثرة الوجوه التي كانت من شلة الأنس قديما"**[2]و ذلك بسبب التقلبات السياسية(الحزبية/السلطوية) والاجتماعية(النفاق/الرضوخ) والدينية(السلفية المزيفون/أصحاب الجبل الغائمون) كلها بواعث أسهمت في تفاقم الشعور بالوحشة والانفلات من كل مقوم قد يجعل الحياة جميلة بين عينيه.

و قد ضيق عليه هذا السخف حياته وكسر صلابة عقله الذي آل إلى مستودع يحوي عوالم كل ما فيها ملغز ورامز، فتارة يقسم ببولة الشيطان والتي توحي إلى التخلف والانشقاق عن الدين ومن كل النواحي،وتارة يبجل ويجلّل بفردة جندي بالية قد وجدها بعد عودته من رحلته الاغترابية التي دامت عشر سنوات لم وللأسف يعرف مكانها أحد سواه.ومنصور على يقين تام بحقيقة سخفه فيقر قائلا"**ربما أنا برجوازي صغير في جلد كادح،وزنديق في عباءة إمام،ومفسد أخدع الناس ببلاغتي وفصاحتي حين أتكلم عن الإصلاح...وأدرك تفاهة ما أقوم به من تهريج،وأحس بوخز الضمير**"[3]وكلّ هذا ناجم عن ضغط الاغتراب الذي جعل منه رجلا بات يثير حول خطاه غبارا،وحول نظرته غموضا وحول كلامه إبهاما لا لشيء سوى لأن أهل القرية قد باعوا ضمائرهم لباعة المبادئ وأنّ النظام القائم قاعد على الأشلاء حتى يبيد الأبناء الطامحين ويلغي الآباء الراغبين يحتار بين الأوجه السائدة من أصحاب جبل أو سلفية يقولون مالا يفعلون أو أصحاب سهل يضمدون ولا يشفون.

[1] الرواية،ج2 ،ص104.
[2] الرواية،ج1،ص77.
[3] المصدر نفسه،ص ص(148-149).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما المرآة الأخرى وبعد التعريج المبسط على المنطلق أي مجموع البواعث التي تسببت في الانسلاخ، المبرر للضبابية الاغترابية المميزة للبطل أولا وأخيرا، فتتجلى-المرآة-في مصاحبة البطل للكلب نظرا للوحدة الرهيبة التي يقاسيها يأكل دونما أنيس، ويمشي في ضواحي القرية ويجول في أزقتها من غير صديق يضاحكه أو يغادره بعد قضاء اليوم، أو التسامر في الليل إن طال بهما الزّمن إذ إنه لم يألف الجنس البشري عدا"عمي الصالح"صاحب المقهى أو بعضا من أهل القرية الذين أقحمهم فضولهم إلى الحديث معه،فلم يجد نفسه بينهم وإنما أقر بعجزه عن ربطها بهم ماداموا بشرا يقول"**وقل له لست مستعدا مطلقا أن أطرد الكلب،بل إني سوف أستأنس ذئبا،يكون مؤنسا للكلب ورفيقا وسأعلم الذئب كيف ينبح والكلب كيف يعوي،وسأربي الدجاج والقطط البرية في خمّ واحد،وسأجعلها تغير طباعها**"[1].ولكن إيثار منصور لهذا الحيوان على الإنسان لا يتعلق بفقدان وعيه مطلقا أو لقصور حقيقي في قواه العقلية،وإنما لأنه تعمد تعويض وحدته بالبون عن الفهم المرهق والمفضي إلى اللاجدوى،تاركا بذلك لبسا كبيرا في أذهان المحيطين به إلى أن أجزموا بأن هذا الشخص قد طلق عقله بالفعل،وحلق بجناحي الاضطهاد النفسي والسياسي إلى أفق الانسلاخ عن البنية الذهنية العامة.فقد اصطنع هذا الجنون ظنا منه بأنه حل سيؤكد به لنفسه ولغيره إرادته الفردية الخارجة عن نطاقهم المجتمعي(القروي)المألوف،والتي تتضمن الطوباوية والمثالية يسودها الفهم الكلي لمجريات الحياة السياسية أو الدينية المنظمة للوضع السائد،فقد كابد بعقله من جهة وبجنونه من جهة أخرى لإيمانه بالقيم الايجابية حتى يعمل على استغلال الوضع"**بغية تأبيد السائد وإن كلفه الأمر الصعود على أشلاء الضمائر**"[2]مثلما تأكد لنا بعد المنشور الفاضح لخطايا أهل القرية قبل رحلة الهروب التي دامت عشر سنوات و لم يفصح إلا عن سببها وهو الخوف من رد الفعل.

---

[1] الرواية،ج2،ص238.

[2] محمد عزام،البطل الروائي ،الموقف الأدبي،إتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا، ع 346،شباط،2000م،ص52.

*الفردة كلمة عامية ومستوحاة من الثقافة الشعبية والمقصود بها حذاء الجندي وفي ذلك ترميز إلى التعسف السياسي الممارس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن خلال ما تم عرضه سابقا خلصنا إلى التّرسيمة الآتية والمترجمة لأوجه الجنون المتابينة لتباين رؤى المغترب المجنون منصور:

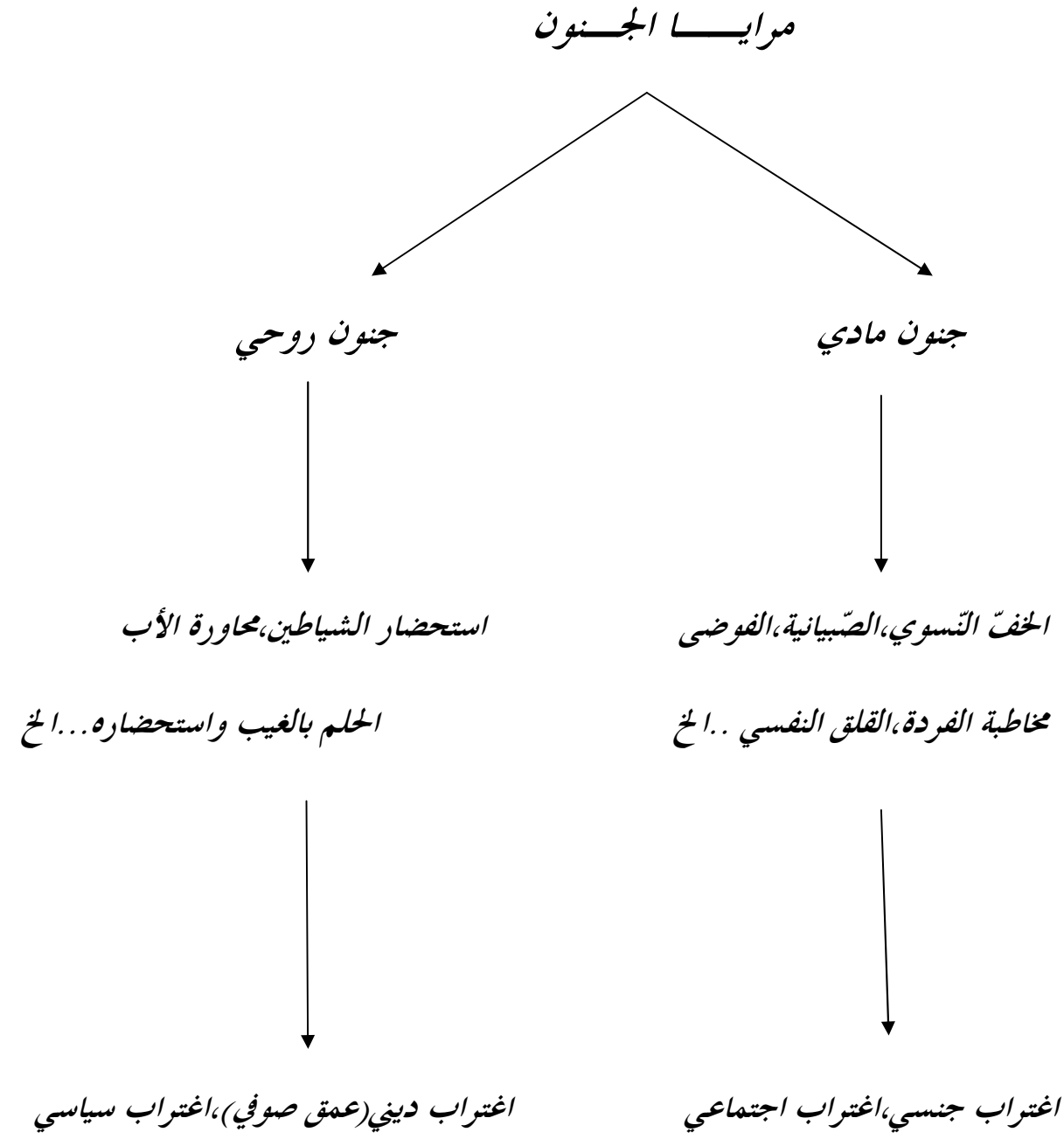

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيـــا/رتابة الحدث وسيرورة الانسلاخ:

لا مناص من أن قضية اقتران الحدث -كمجموعة متسلسلة من الوقائع-بغيره من العناصر السردية قد تجاوزت الجانب الجدلي(أي الجدل بينه وبين باقي العناصر) إلى الإيمان الكلي بأن الحدث معدوم بلا زمن أو مكان فهما لازمان في أي عمل روائي،لكن الاختلاف يكمن حول خضوع أحد هؤلاء إلى الآخر، حتى تتغير بذلك النسبة الروائية بحسب التواتر(الشخصيات) أو التأزم(الأحداث) أو الانجلاء والغياب(الزمن الغائب) الكلي أما المكان فهو حاضر لأنه لا وجود للاّمكان في القاموس السردي، إلا إذا استدعى عنصر الخيال الفانتازي لتحقيقه، ويعد بمثابة مسرح محيّن لمجموع الأحداث فتتعالق العناصر ببعضها لنلفي مثلا بأن"**أزمة الشخصية ملازمة لأزمة هوية الحبكة،وقد تمارس-الشخصية-تأثيرا متبادلا على الحبكة**"[1] أو قد تتداخل الأحداث والشخوص فيما بينها حتى تكوّن لنا لحمة روائية محكمة الحبكة، إذ إن الأول يتنفس بوجود الثاني من خلال التفاعل،وإن استدعى التوازي أو التعارض بين مختلف القوى وعدم الالتقاء مثلما يحدث مع منصور، فعلى الرغم من وجود أحداث خارجية(أهل القرية وفضولهم لمخالطته،صخب المقهى، مجريات الحياة) وأحداث العنف بفعل الإرهاب خاصة إلا أن منصورا قد انفصل عنها بالحضور المغيّب أي بكونه فردا بينهم، ومتفرجا وهو جالس على مقعد لعبة الحياة الغريبة بحسبه على أدوارهم البهلوانية،فالأحداث الرتيبة تبقى مسلمات أمام منصور عليه الإيمان بها بداهة وعدم المساس بسننها طالما أبى لنفسه إلا أن يعيش اغترابا حرمه التواؤم والتفاعل مع الوقائع.

وكما أشرنا فنحن نتعامل مع الحدث بالارتكاز دائما إلى البطل المغترب،من منطلق أن الشخصية "**تقوم برواية الأحداث**"[2]وهذا ما قام به فعلا فمن خلال تبرّمه المستمر من يوميات قريته صار يسردها لوالده المتوفى وهذه علامة دالة على اغترابه عن الحدث وعن غيره من البشر

[1] بول ريكور،الوجود والزمان والسرد،تر:سعيد الغانمي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب،ط1 ،1999م،ص261.

[2] حميد لحمداني،بنية النص السردي ،ص48.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وثوريته"**تمتاز برفض العادات والتقاليد الفاسدة والعقليات المتعجرفة،وهو بذلك شخصية لامنتمية(رمزية)لا تنتمي إلى أي فكرة أو اتجاه معين**"[1] فها هو يخاطب عمي صالح صاحب المقهى واصفا له ارتجاج الحياة في القرية وسيادة العنف وحماقات الملاعين حسبه فيحدثه عن الإرهاب إلا أنه يقف موقف المدافع عنهم هنا"**الإرهاب...ثلاثون سنة وأنتم تعلقون كل إخفاقاتكم على مشجب الاستعمار،وبعدما صار هذا المشجب لا يقوى على حمل كل خطاياكم،صنعتم مشجبا آخر هو الإرهاب...تمسحون فيه كل قذاراتكم، لتبقوا أنتم بكل رجعيتكم...المشوهة ثوارا وإخوانا ورفاقا**"[2]وهذا خير دليل على تضارب الأحداث الكامنة(وكأنها تجري في الخفاء)كالقتل الليلي أثناء العشرية التي قد غاب أو غيّب فيها منصور ورتابتها لدى سكان القرية،لكونهم يبدون الاطمئنان إلى الأحوال الاجتماعية والسياسية خاصة،يضمرون التعاطف مع أصحاب الجبل من جهة،ويظهرون التقدير الزائف لأصحاب السهل من جهة أخرى. فهذا تعفن واضح لم يطقه البطل واستنكره بشدة وذلك عن طريق الاستقلال عن هؤلاء الغفلة بفردانية منطلقها سادية أسّست لتعذيب الأهل بالكرف والكشف،ونرجسية جعلت منه فردا مثاليا لا يؤمن إلا بمبادئه المنافية لما هو سائد.

وكان من المفترض أن يكون"**بعيدا عن التناقض ويكون متفاعلا مع الأحداث ومحتكا مع غيره من الشخوص**"[3]إلا أنه فضل العيش بلا ملامح وإن تحدث فبلغة لا يفهمها إلا المثقفون أمثاله بدلا من العيش مع فئة"**قد اعتبرت نفسها فوق البشر ونصبتها وصية عليهم،ولو أدى الأمر إلى التهديد باستعمال الأسلحة الفتاكة**"[4].والأمر الذي يؤكد انسلاخ منصور عن واقع القرية هو تزايد الأصداء النفسية وتداعياتها الدالة على مله من الحياة وانغماسه في حيز اللامعنى ودوامة

---

[1] بشير بويجرة محمد،الشخصية في الرواية الجزائرية(1970-1983)ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1986م،ص ص(85-101).

[2] الرواية،ج2،ص125.

[3] أحمد شريبط،تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة،منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،1998م،ص33.

[4] محمد بلقاسم خمار،حوار مع الذات،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،2000م،ص129.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللاوجود، فلم يتكلف الراوي في تتبع مسار الأحداث بمنظور الصراع أو الاستفحال في الرواية على الرغم من الغيوم السياسية والاجتماعية المحيطة لذا فقد"**ترصد خط الرتابة النص السردي من جراء الاستمرار في التعبير عن حالات شعورية،وقد تستمر طويلا مع الشخصيات**"[1]وهذا ما حدث فعلا مع البطل فلم نلمس في الرواية كثافة حدثية واضحة الاحتدام، وأضحت حياة البطل وأهل القرية ثابتة لثبات الوقائع في محيطهم ولهدوئها النسبي وهذا ما يقودنا بالضرورة إلى الجزم بأن هؤلاء قد آمنوا بفكرة التسليم (والتي سبق وأن عرفناها مع أب الاغتراب) والتي ترمي إلى الانقياد الكلي بعدم تحقيق الحرية التعبيرية أو الكيان المفروض عليهم اجتماعيا وسياسيا وحتى دينيا...

آثروا إذن وعلى غرار منصور الصّمت الممزوج بالمكر المستكن على ما يجري من خرابات نجمت عن ظلمة قد انبرت منذ أحداث أكتوبر عام1988م وبعدما عرفت البلاد عنفا وتنكيلات ولّدت العديد من الضحايا الذين لا تزال أعينهم إلى غاية نهاية الرواية المشوقة كعادتها بعدم البوح،لازالت تسأل وتتساءل عن مفقوديها هؤلاء الذين اغتربوا عن مبادئ دينهم فسمحوا لأنفسهم بأن يرتكبوا أبشع الجرائم في حق الأبرياء على قمم الجبال يمرحون وأهليهم يجوبون ويندبون، وإما ذويها الذين قد دار عليهم الدور فقتلوا أو اختطفوا لينضموا إلى فئة"أصحاب الجبل"كما يسميهم منصور،هؤلاء قد امتصتهم إغراءات طائشة هوجاء محلاّة بترهيبات تعسفية عمياء، أعمتهم عن دينهم فانسلخوا عنه بالفهم الخاطئ والتبني المسيء.

وقد شهدت الرواية حضورا قويا لظاهرة التكرار-على مستوى الأحداث-التي جسدت فكرة عدم التجاوز أو الانتقال من حالة سردية إلى أخرى أكثر تصدعا منها، أو تأزما قد تكسب الأثر ككل سمات الثورانية السردية،والوصول إلى ذروة الأزمة المحيلة بدورها إلى اللحظة الحاسمة التي تتغير بفضلها حبكة الرواية وإن سبق وأن أحلنا إلى ذلك آنفا في الحديث عن مسألة كشف المستور أي لمّا لجأ منصور إلى وضع كل شخص في الخانة المناسبة،بعد التهور الهادف الذي قام به

[1] محمد ساري،نظرية السرد الحديثة،مجلة السرديات،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،قسنطينة،الجزائر،ع1،جانفي2004م،ص56.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمتمثل في تسجيل حيواني سابق للمنشورات الفاضحة للفئات المستهدفة أو من مقطع مشكّل للمسرود إلى مقطع آخر وإن كان التكرار-كما نعلم-من أبرز الأساليب التعبيرية الدقيقة،إلا أن وصف العديد من الحالات النفسية والحفاظ على نفس الكم الحدثي ظهر في بعض الحالات التأزمية النادرة، كانقلاب حال القرية مثلا بعد نشر الخطايا من طرف منصور،وسجنه،وفراره المجهول الوجهة"**فقد انتابه شعور قاتل بالغربة،برغبة كبيرة في الهجرة والرحيل...لم يبق شيء هنا يعاش معه...إذن لابد أن يسافر ويغترب،فالغربة أقرب السبل إلى التلاشي والضياع والعودة إلى رحم الأبدية من أجل ولادة جديدة**"[1]وقد انتابه هذا الشعور بعد تبرّمه من نمطية الحياة الاجتماعية والسياسية،و لم تعد القرية لديه سوى مرجعيات مكانية غير مصحوبة بذكريات رسخت بفضل ما حدث من وقائع بإمكانها أن تنفّس عن أوجاعه الجافة.وبعد عودته المفتقرة إلى أية مفاجآت أو مفاجعات، أو لقاءاته المتكررة بعمي صالح،أو "بوخالفي"،"البغدادي"،أو الطالبة البائسة،و بائعة الخمر "سميراميس" أو حتى "إبليس" الأنيس،أو الكلب المنحوس...كلها لم تغير من نظرته الثاقبة لأوضاع قريته خاصة وبعد أن تتره هو عن الخطأ وصار وليا من أولياء الله الصالحين.

كما أن الراوي قد قدم لنا مشاهدا جاهزة على مستوى القصة قامت بإخفاء الأحداث وتحويل الخط السردي للشخصية بمختلف سلوكاتها، إلا أنها امتلكت-كتقنية-وظائف درامية أسست للتعبير عن مأساة منصور الاغترابية بمواقف حوارية أفصحت عما يضمره من استنكار إزاء قريته المريضة ولخصت مجمل العوامل التي قد أسهمت في تشكيل شخصية منصور مما غيّب حصول فكرة التشويق عند القارئ، و لم تخف تقنية المشهد سلطة الزمان والمكان بفضل حضورها وكثافتها لأن"**المشهد يعرض الزمان والمكان الحقيقي بدون زيادة أو نقصان،وهو يقع في فترات زمنية محددة،كثيفة مشحونة خاصة..**"[2]والحالة النفسية العليلة بداء بالانفلات والعزلة تليها حالات أشد ضغطا منها"**ولم يعد وجهه إن غاب ولا بالذي يلاحظ ما يتركه من فراغ،حين ينسحب من**

[1]الرواية،ج1،ص271.

[2]سيزا قاسم،بناء الرواية،دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،1984م،ص65.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حياة القرية التي تضطرب في تكرار ممل رتيب،وليست حياته بالتي تنقص أو تزيد عن حياة القرية في الرتابة والملل"[1] فأسهم هذا الفراغ في نفور البطل من الحياة، واتباعه لسبيل الاغتراب الذي ولد الانطواء لديه بفاعلية، وأمان مما أدى بالعوامل الذاتية إلى تحديد مسار سلوكه وقد وجد فيها إشباعا قلص من طاقته النفسية ووجهها نحو ما يعرف بالداخل أو العالم الشخصي وذلك لعمق التفكير ومتاهة الحدس،وإرهاق الإحساس وتهدج الوجدان كلها بواعث عرقلت من انبساطه أو الاهتمام ولو بشق قلب بروعة الحياة المشوهة والمطموسة وللأسف بين عينيه.

فقد ألقى الاغتراب بظلاله على حياة منصور فكريا وأخلاقيا مما جعله يقيس حياته في المجتمع وأي قياس دقيق هذا الذي جعله رجلا خاملا يستيقظ ليقوم بالعمل نفسه وليجلس في المقهى نفسها وليحاور الناس عينهم وليحتال على الوجوه نفسها فلا هو غالب ولا مغلوب بل غير موجود فحسب أمام تكرار مشاهد قولية و فعلية و ميئوس منها والحل الأمثل لهذا اليأس هو معاقبة الغير فهو نبي-لأناه المثالية-وجد ليتوعد لا ليسلم ويسلم منه فأي عقاب اختاره يا ترى؟

1- سياسة العقاب ومتاهة اللاّحل:

بما أن الحدث الأكبر في الرواية كان تحت سيطرة منصور، وارتبط بفعله ارتأينا العودة إلى مشكّل الشخصية، وربطه بالمكوّن السابق-الحدث-فكان دليلا على اغترابه، وتملصه الكلي حيث لجأ إلى سياسة من شأنها أن تسقط الأقنعة، وتكشف لكل ذي وجه وجهه، رسم طريقا اغترابيا وباحتراف بنى من خلاله جدرانا عازلة بينه وبين الناس بعد أن صار يعيش بمفرده لا أنيس له سوى الله،وما عبّد له هذه الطريق هو كرفه للمثالب وتنقيبه الدائم عن العيوب التي قد سادت وعفّنت القرية فدنست القيم والمبادئ ونادت بشعار الحزبية المتطرفة سياسيا ودينيا،وامتطت رحل النفاق والرضوخ لقوة أصحاب السهل نهارا،وأصحاب الجبل ليلا.فسئم منصور من الزمنية المثبطة لفكره ورؤاه وبقي دائما يتوجه إلى شيء آخر موجود في خارجه على وفق الخيارات المتاحة له فلم يعش

[1] الرواية، ج1،ص167.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحياة التي ينبغي رسمها بريشة الأمن أو عزفها بوتر التراهة والنقاء عاش فقط في النص الروائي لأنه وبالفعل قد أتيح له أن يتفوه بأي شيء قد يطرق باب مخيلته مثلما يذهب تودوروف"**فلكي يمكن للشخصيات أن تحيا عليها أن تحكي**"[1] وهذا التلفظ هو الذي يساعد القارئ على تحديد المدلولات الثقافية والمكونات النفسية لهذه الشخصيات عن طريق أقوالها و محكياتها .

وبفكره عاش-البطل-حياة سليمة انجلت معها المثالب، والشوائب المعكرة لنبل الحياة وبمختلف ميادينها،أما تصرفاته أو سلوكه الخارجي فقد كان وبحق نقمة على غيره من الناس لأنه تناسى إنسانيته، وعطفه على الأرامل والأيتام ومشاريعه الخيرية المنتظرة في حال امتلاكه النفوذ المطلوب وفقد توازنه النفسي في أوقات عديدة حتى يسرد الزلات في مؤلَّف مكنته ملكة الكتابة والتأليف لديه من أن ينسجها وبإتقان، وساعدته فكرة تأليه العقل المنغرسة لديه في امتلاك أحقية العقاب لكل من يستحق ذلك، بسادية صرخت بوجوه الآخرين البعيدين عنه اغترب عنهم وسما بنفسه العالية المتعالية،وكذا مازوشيته التي أبت لنفسه أن تعيش في سلام وهناء، واختارت أن تمتطي ركب الهروب إلى الأمام الملغم بطابع اغترابي ابتعد عن الذات ومسّ المكان(أي الغربة المكانية) يقول مخاطبا أباه:"**أنا ساديّ لأني أقتحم حمى الفقهاء وأنفش في رماد الفتن وأشلاء المفتونين، وأقلب أوراق الفتانين و مذكرات الطلقاء...أنا مازوشي أمد أطراف أصابعي مستمتعا بنار أعصابي وهي تحترق،ويأسرني احمرار دمي وهو من شفاه الجرح يندفق،نرجسي أنا لا أعرف من هذي الحياة غير ألبومي القديم والمرايا**..."[2] فقد أرهقه التدبر في أمر الأزمة التي حلت ببلاده وزادته استلابا، لوعيه الكامل بكل المجريات بخاصة تلك المتعلقة بالمتسلطين والمسؤولين عن الفتنة وما زاد من حدة اغترابه يقينه بتسليمه الكلي الذي حددناه سابقا بالمنظور الهيغلي، وتبني اللاّعقلانية في التعامل مع الذات حين اعترف بمازوشيته، والمجتمع بساديته، وهذا خير دليل على اعتلال هذه الشخصية واحتوائها للعديد من المتناقضات على غرار زمنها الذي يمتاز

[1] عمر منيب إدلبي،سرد الذات ،ص67.

[2] الرواية،ج1،ص165.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بهذه الخاصية فقد وُجدت في مجتمع غير سوي مخلخل ومتصدع ومن كل النواحي خاصة الاجتماعية منها والسياسية وهذا المجتمع مريض كذلك"**تعوق مؤسساته وعلاقاته استخدام الثروات المادية والعقلية المتاحة في الوصول إلى الحاجة الفردية**".[1] ومن ثمة التأكيد على فكرة القيم الاجتماعية التي شدد عليها دوركهايم مثلما كما ذكرنا في الفصل الأول.

كل هذه البواعث أدّت به إلى حل العقاب لهؤلاء وما منتهاه إلا اللاّحل المفسد لمسار حياته وقد اضطر إلى مغادرة خشبة المسرح كالجبان في اعتقادهم وكالبطل المؤسس لبوادر العفة والتخليص من ربقة الانقياد للرذائل والملذات في اعتقاده هو،واتجه إلى ما هو أبعد وأعمق بالبحث في إشكالية وجوده وأناه المغتربة"**فكلما فكر أن يوما سوف يأتي يستيقظ فيه أهل القرية على الحقيقة،ويرى فيها العصاة وجوههم الحقيقية وأسماءهم تتصدر نصوص معاصيهم على جدران الأزقة والشوارع،كلما فكر في ذاك اليوم تغزوه قشعريرة باردة يخشع لها كل جسده،لأنه يرى في ذلك بداية الانهيار الذي يعقبه البناء على أسس صحيحة أو التلاشي الأبدي**"[2]لكن هذا الدّوران والانقباض لم يفيدانه بشيء، لأنه اختار لاحلاّ عمّق بدوره من قشعريرته تلك واندس في كومة الغربة كإبرة لا يراه أحد غيره ولا يستشعره إنسان كذلك إلاّه. فصاح بصوت الشر وصحح الشر بالحبر الدامي، والمتقطّر بذنوب البشر وحال إلى شبح يتبنّ القيم السامية ليهدد أمنهم واستقرارهم بخدعة قطّبت حواجب البعض اندهاشا، وغيظا وفتّحت أعين وأفواه البعض الآخر فضولا واستشفاء،أما هو فقد غير الوجهة مخلفا وراءه زوبعة جسدتها مسيرة بحثت عنه في كل مكان علها تمسك به في إحدى مروج القرية حتى تلقنه درسا لن ينساه ما عاش،إلا أن الأوضاع قد جرت بما لم تشته آمالهم"**وعاشت القرية على إيقاع الفوضى المجنونة ثلاثة أيام،كانت خلالها الدكاكين**

[1] سهير عبد السلام،الاغتراب عند هربرت ماركيوز ،71.

[2] الرواية،ج1،ص262.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مغلقة ومصالح الحكومة معطلة،ولم يرفع أذان صلاة...والناس يترصدون بعضهم بعضا،ويهجرون القرية كلما أرخى الليل سدوله"[1].

هكذا إذن عبر البطل عن غربته وجسدها أيما تجسيد،تعرّى في لحظة من ثوب الحميمية المفترض أن تكون بينه وبين هؤلاء الناس واكتسى رداء العقاب كتمرد سلبي ولّدته تيمة التعسف السياسي،والنفاق،والإرهاب الماسخ للحرية والدين وإن كان حله منطقيا تمثل في تطهير القرية من فتن داخلية مستنجدا بالترق و التّيْم بغية التضليل عن حقيقة مضمون وعيه لما يجري تارة و ما يحيط به من أحداث،وحالات هذا الوعي تارة أخرى أي ما تحويه ذاكرته ومختلف انفعالاته.

ثالثا/إقصاء الزمن وإحـــياء الانسياق:

قبل أن نعرج على قضية اغتراب البطل في الزمن داخل الرواية، لابد من توصيف وجيز للمشكّل-الزمن-من جهة، وتحديد الوجهة الزمنية المختارة بعيدين بذلك كل البعد عن التركيز الكلي على المفارقات، وبمختلف أنواعها وإن كانت ستقتضي منها التلميح إلى بعضٍ من كالاستذكار والاستشراف(التنبؤ بالمستقبل) أو جعل هذا الزمن سائلا ولا يقتصر إلا على الزمن الحاضر. ولا يغيب عنا أن أيّ إنسان قد وهب الحياة، فعليه أن يسير وفق نمط حياتي معين، ولكي يتحقق هذا السير الذي يضمن حركية، وصيرورة هذا الكائن الحي فلابد من وجود عنصر الزمن الذي أضحى كل فرد خاضعا له شاء ذلك أم أبى؛ يعاصر المجريات فيعيش مرحلة الحاضر،وعندما يتجاوزها-أو تتجاوزه- يطوي صفحة الأحداث من كتاب الماضي،وبما أن له فكرا قد خصه الله به مرفقا بمشاعر تعتريه ليتحسس بها ما حوله، جعل موقف الأمل والتوقع والاستشراف(ذو البعد الفلسفي/التأملي)أمام نصب عينيه ليطمح إلى المستقبل المغاير لما يعيشه إن كان مزريا،والباقي على حاله إن كان مرضيا.

[1] الرواية، ج1،ص283.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و قد تجرّد نزعة التغيير بعض الأشخاص من زمنهم الخارجي حتى يتجاوزوه، ويصير لهم زمنا ذاتيا يصوغونه ويستسيغونه وفقا لمقتضياتهم الذاتية على حساب المطالب الحياتية فيقتلونه بالرغم من أنه"**ومن المستحيل أن يفلت كائن ما، أو شيء ما أو فعل ما أو تفكير ما أو حركة ما من تسلط الزمنية**"[1]وقد عاش الزمن في الإنسان مثلما عاش الإنسان فيه،يسكنه مع ضرورة الاضطلاع إلى زمن مجهول متخيل يشجعه على الاستبشار بالمستقبل أو التخوف منه.

وقيل بأن الزمن"**هو الدّهر،وهو مظهر من مظاهر الكون بمعناه الفلسفي أي أنه صورة من صور الوجود الإنساني باعتباره شكلا من أشكال الوجدان**"[2] فهذا نوع من أنواع الزمن وهو الزمن الوجودي(الفلسفي) ولعلّ "ملحمة غلغامش"[3] قد برعت في التوغل والتغلغل في أعماق النفس البشرية التي عانت ويلات القهر وتجرعت العذاب الأبدي،فسبرت لنا أغوار الوجود عموما ولقبت بملحمة الصراع،وقد كان الزمن البدائي القديم أسطوريا نوعا ما أرست له الميثولوجيا(علم الأساطير) أبعادا فعّلتها ثلاثية الماضي والحاضر والمستقبل كما ارتبط مدلوله بحالات الوعي والشعور.

وعلى الصعيد السردي يعد-الزمن-جزءا هاما في العمل الروائي"**وهو لحمة الحدث وملح السرد وصنو الحيز،وقوام الشخصية**"[4] فهو داخلي حركته رهينة بحركة الأحداث اللصيقة بالشخصيات التي يتوالى فكرها وأيضا معارفها في هذا الكل الزمني الذي يسمح بتشكيل أوضاع تنطبق على أمكنة معينة،لتسهم في بلورة الحبكة المؤكدة للأسباب المبينة للدلالات المعنوية منها والمادية،والحبكة حسب فلسفة "بول ريكور"ذاك"**المكوّن السردي المركزي،وتأليف إبداعي**

---

[1] عمر منيب إدلبي،سرد الذات ،ص192.

[2] عناد عزوان،أصداء،دراسات أدبية نقدية،منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،2000م،ص64.

[3] ملحمة أسماها كريمر باسم "**أول أيوب**" باعتبارها قصيدة عالجت وبجدارة مسألة عذاب الإنسان وخضوعه،وهي تحكي قصة رجل سومري صالح،جسدت من خلاله ثنائية الخير والشر،والوجود والعدم.

[4] عبد الملك مرتاض،في نظرية الرواية ،ص178.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للزمن،يستخرج من تشعب التجارب العشوائي كلا زمانيا موحدا"[1] فالنص السردي على حد تعبير ريكور يتيح أفقا وتصورا جديدا يستند إلى المعقولية(الزمن) المجملة بغية خدمته داخل حيزه. والزمن لصيق بالحدث والشخصية ولا يمكن دراسته بمعزل عنهما فهو عنصر هام في أي عمل روائي والذي ينفرد بميزة جوهرية مفادها"**أنه من المهم رؤية وتفكير العالم من خلال تنوع المضامين وتزامنها"**[2] فزمنية الرواية تقترن بتضارب الأحداث تطبع بسماتها لنجد الزمن الاجتماعي والأيديولوجي والنفسي...الخ.

وقد نادى تودوروف بإلغاء بعض القيم السوسيونفسية "les valeurs psychologics" والتي قد تتضمنها مختلف البنيات الزمنية، إلا أنه قد أغفل السياق الزمني الخارجي، والذي قد يؤهل لمسك السيولة الزمنية بيد القلم نحو النص،وتناسى أيضا يقينية اقتران الزمن بالإنسان ويندرج ضمن أحد تقسيماته كزمن القراءة مثلا.

1- التواءات الزمن الاغترابية:

ونقصد بالالتواءات هنا تلك المسارات التي يتخذها عنصر الزمن الروائي داخل الرواية فنلفيه مطواعا لسيرورة المعطيات السردية، ولنمط الشخصيات وعوالمها ناهيك عن السياق الخارجي الذي عكسته البنية السردية، لكي ينعطف تحت غطاء الزمن الطبيعي المتعلق بالسنوات والشهور والأيام دائما، ولأننا بصدد استكشاف المحطات الاغترابية في رواية بطل، يمكن نسبها إلى ما يعرف برواية تيار الوعي وهي"**من أكثر أنماط الرواية تعبيرا عن الحالات الشعورية والنفسية للذات النفسية"**[3] والتي احتضن مسرودها عنصر الشخصية، وأهمل باقي العناصر في الفاعلية لا في الوصف،فقد أعطى لمختلف الأمكنة أحقيتها في التشخيص،لكن التأثير كان مشعلا في يد

[1] بول ريكور،الوجود والزمان والسرد ،ص69.

[2] حسن بحراوي،بنية الشكل الروائي ،ص109.

[3] مراد عبد الرحمن مبروك،بناء الزمن في الرواية المعاصرة،رواية تيار الوعي نموذجا،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،1998م،ص159.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشخصية الرئيسة،لذا سنتقصى استلاب منصور في المكان، ولقوقعة هذا الأخير وكونه لصيقا بالزمان يستحيل أن يتوفر–سرديا– أحاديا أو يمتلك الاستقلالية الروائية بل أن الاغتراب قد مسّ الزمن كذلك والطبيعي بخاصة فقد بات"**خيطا وهميا يربط بين الأحداث ببعضها البعض،ويؤسس لعلاقات الشخصيات**"[1] لأن مدونة "كرّاف الخطايا" عبارة عن رواية للشخصية كشفت عن تغيرات نفسية عاشها بطلها ولكن تبعا لزمنه الخاص لأنه وببساطة امتلك سلطة خاصة مكنته من التلاعب بالزمن وفق مراميه وعوالمه النفسية.

وقد غابت الإشارات الزمنية الكبرى في الرواية، وكانت البداية فيها مفتوحة والنهاية كذلك ولأنها تناولت قضية وإشكالية هذا البطل مع عالم شديد التعقيد، فزمن الأثر متزامن مع الوقائع وإن كانت بدايته قد وقعت في الفراغ واستمر على وتيرة واحدة"**وذات ليلة ممطرة شديدة الظلام عميقة الصمت،خرج منتصف الليل،أو هكذا ظن**"[2]وهذه الجملة الأخيرة أكبر دليل على اغتراب هذا البطل في الزمن فلم يعد يحسب لا الأيام ولا الساعات ولا الشهور، تداخلت عليه الأزمنة مثلما تشابكت الأوضاع المحيطة به في ظنه.فاعتزل الزمن الطبيعي والخارجي لعدم جدواه لأن الأيام قد صارت تتشابه والساعات تتثاقل في المضي"**مثل باقي أيامه الماضيات،ها هو جالس إلى طاولته..**"[3] فلا معنى للزمن في القرية لذا صار"**يبحث عن أي شيء يحرق فيه ما تبقى من سويعات النهار ...وقد تأتي ساعات كالومضة تأخذ فيها حجمها الحقيق،لكنها سرعان ما تتقلص لتأخذ شكل عين الأعور**"[4]ولعزلته الرهيبة رغب في الصراخ كلما نظر إلى ساعة معصمه وألفى بأنه لم يمر سوى دقيقتين من الزمن هذا الذي قد تذمر من لحظاته فأبى إلا أن يقوم بتعطيله بإنشاء زمن ذاتي وهو ما يعرف بالزمن النفسي أو الزمن السيكولوجي وهو"**غير خاضع للمعايير**

[1] عبد الملك مرتاض،في نظرية الرواية، ص225.
[2] الرواية،ج1،ص4.
[3] المصدر نفسه ،ص270 .
[4] المصدر نفسه،ص80.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الزمنية الخارجية،وهو بطيء جدا لأنه ممتزج بتصوير الأحاسيس والمشاعر"[1] ولأن منصورا وجد نفسه غير مجبر على أن يطيع الدستور الأخلاقي السائد في مجتمعه،باعد المحيطين به واغترب عن زمنهم واستقل بيوميات يحكيها كل ليلة لوالده،وبعالم خاص له زمنه وسنواته وساعاته عالم الغرفة المحفوفة بالخراب الذي جسد الضغط النفسي المكبوت، ومن ثمة تصدّع الزمن وخلخلة هذه المادة الطبيعية المجردة،فعبر بصدق عن إشكالية الوجود الزمني مثلما كان يعنى به في الأساطير الإغريقية أو حتى في ملحمة غلغامش كما سبق وأن أشرنا.

وقد ساعد المنولوج الداخلي كمنفذ أطل منه البطل إلى العالم الخارجي، حتى يثبت التباعد الحاصل وكذا تداعي الأفكار على تجسيد هذا الزمن النفسي كتقنية متوسل بها في الطريقة الدرامية لأن الرواية تروي مأساة هذا الفرد، الذي عانى بفكره من التصدع السائد والانشقاق الاجتماعي والتفكك الثقافي والتشكيك العقدي ومن ثم سيادة الاغتراب الاجتماعي المهدد لكيانه الإنساني والقامع لروح الزمن لديه،فشل تفكيره فصار الزمن رهينه إذ إنه"**يمكن للحالة الذهنية أو النفسية أن تسارع النبض أو أن تبطئه،ليقاس بتعاقب الوعي"**[2]ويقصد به المناجاة الذهنية فقد أرهق البطل تفكيره وباله حتى شوش بذلك حياته وكان للمنولوج"**كشكل أدبي نسمع من خلاله أصوات الشخصية الداخلية الأكثر حميمية والأكثر قربا من لاوعيها"**[3] الفضل الكبير في إظهار اللاوعي الخاص بالبطل الذي أكثر من محاورة ذاته للغربة التي يعيشها داخل قريته، فاستعمل حيلة الفضفضة مع النفس و الوالد المتوفى و إبليس.

ونظرا للكثافة السيكولوجية التي استفحلت لدى شخصية منصور جعل اللجوء إلى الحوار الداخلي حلا للتنفيس ولإيقاف الزمن كذلك تساميا بالذات من جهة،وتعطيلا للزمن الميئوس منه من جهة أخرى فهو ذاتي، كما يمكن أن"**يكون خاليا من أي وساطة أو وصاية من قبل**

[1] سمر روحي الفيصل،الراية العربية،البناء والرؤيا ،ص131.

[2] مندلاو،الزمن والرواية،تر:بكر عباس،دار صادر،بيروت،لبنان،ط1،1997م،141.

[3] حسن المودن،الرواية والتحليل النصي ،ص153.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الراوي"[1]، وقد طال عمر المنولوج الداخلي لطول الحالات الشعورية ولطول القلق والضيق، فكان شكلا تعبيريا عكس نمط الرواية(التعبيرية) وخصص لنا الشخصية المعالجة، فتمكن البطل بفضل التداعي القصير النفس من الداخل(استنطق ذاته وعبر عن خلجاته دون تدخل مباشر) العميق من أن يغلف البواطن الدفينة بأسلوب زهري مضيء حتى ينير ظلمة المغفلين، ويزيل الغبار عن أذهان المنكوبين فكريا واجتماعيا ودينيا،يقول منصور مخاطبا نفسه"**وما الذي يمنعني بأن أصير ملكا،لي مثل أهل الملك تاج فيه ألف جوهرة...والبحر عندي واسع كقطرة في محبرة**"[2] فحرمانه المادي بسبب الاغتراب الوظيفي(عاطل عن العمل) والسحق الممارس عليه جعلاه يخاطب نفسه بلغة الأمنيات وأحلام اليقظة،للعجز الذي أصابه جراء درجة وعيه كمثقف مهووس بالسياسة والدين.فأراد منصور أن يتجرد من الزمن، ويتحرر من جموده وتحجره فعاش حالات من"**الهوس مع الزمن الذي عكس الاضطراب النفسي الذي أحدثه–الزمن– فيه** "[3] وهوسه هذا سمة مرضية أدت إلى خلق فراغ وجودي تخفى في أقنعة مختلفة لعل أبرزها إرادة اللذة فانتهى به الإحباط إلى التعويض والخروج عن دوامة العزلة واللاستقرار لكن بقتل هذا الزمن بالمعصية حتى يظهر الاغتراب الديني والموحي إلى تخليه عن عبادة الصلاة والتهاون عن أدائها إن صح القول،فعلى حد تعبير "فرانكل" فإن الإنسان"**في صميم كيانه يتوجه دائما إلى شيء آخر يوجد في خارجه**"[4]وبات الماضي مصدر قوته في مواجهة غربة حاضره المرير بأشياء سلبية للغاية حيث جعلت منصورا غير قادر نسبيا على المشاركة الاجتماعية فلم يبق إلا التّغالب كحل نهائي.

وهذا التنافس كان مع الوقت لأنه" **يقتل كل شيء، ولا شيء يقتل الوقت...إنه يقتلنا بأحب السكاكين إلينا وأعزها علينا،وأمضاها فينا**"[5] فالوقت كسيل كليل ومنصور يفكر في كل شيء

---

[1] جيرالد برنس،قاموس السرديات،تر:السيد إمام،ميريت للنشر والمعلومات،القاهرة،مصر،ط1،2003م،ص24.

[2] الرواية،ج2،ص279.

[3] يحي العبد الله،الاغتراب ،ص198.

[4] محمد عباس يوسف،الاغتراب والإبداع الفني ،ص88.

[5] الرواية،ج1،ص80.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى اللاشيء وحتى يقضي على هذا المنافس الشديد(الزمن) ويكسر الرتابة ويقطع التفاهة صار يتجه صوب الحي الجديد ليقصد بيت الحاجّة كي تتكرّم عليه بزجاجة خمر عله ينسى قرون العزلة معها"**فلم يعد يهمه أن تحزن الملائكة أو تفرح الأباليس...يحس أن في كل مسامة من مسامات جسده أصبعا ناعمة تدغدغها،فتدفعه إلى الفرح..إلى الرقص..إلى الهروب حيث يتوقف الزمن على لحظة من فرح وانتشاء**" [1] وإنّ لجوءه إلى فقد الوعي باعثه السخط على وضع بلاده وقريته وليأسه ورفسه من هذا الزمن الهائر الذي يعاصره، وقد أعانه هذا التبرم على الإعلان عن"**زمن دنيوي صريح،يحاصر الأقنعة،وعن زمن مضطرب،يهاجم الزمن الراكد بزمن مغاير غير متوقع**"[2] فلم يكتف بما قدمه له العالم الموضوعي من حمولات ثقافية واجتماعية وأيديولوجية لكي يفهم أبعادها المتباينة،بل أراد لنفسه أن ينحصر في نظام زمني ثابت.

ولأن الشخصية-البطل- في صراع دائم مع حاضرها كان التّعالق بينهما إذن ذا طابع جدلي لما بينهما من تأثير وتأثر قد يعود بانتصار أحدهما على الآخر"**ونتيجة لفقد التوازن النفسي وتشظي الذات تحول زمن السرد إلى أزمنة متقطعة،يحكيها الراوي كالهذيان والكوابيس**"[3]ولأن حاضر منصور لم يكن عاديا واتسم بالخلخلات الفكرية والثقافية واختلاط التوجهات والرؤى لجأ بدوره إلى بعد آخر ومساحة أخرى يرمي عليها عناءه النفسي، وغربته الجنونية بسرد اليوميات لصورة أبيه عبر استذكار الوقائع له كل ليلة والاستبشار بمصير بائس لقريته العليلة.

ويتساوق زمن الخطاب وزمن القصة في مسار تتابعي وذلك من البداية إلى النهاية،دون أن يتعرض"**للخلخلة بفعل غياب الاسترجاعات و الاستباقات إلا نادرا،وتكون قصيرة من حيث السعة**"[4] وقد ارتأينا تعويض الاستباق بالاستشراف لأنه كان على مستوى فكر هذا البطل وكان

---

[1] الرواية،ج1،ص87.

[2] فيصل دراج،الرواية وتأويل التاريخ،نظرية الرواية والرواية العربية،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،المغرب،ط1،2004م،ص360.

[3] مها حسن القصراوي،الزمن في الرواية العربية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،الأردن،ط1،2004م،ص121.

[4] الشريف حبيلة،الرواية والعنف،ص117.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذا مسحة فلسفية تأملية،ترمي إلى نقد هذا الوسط الاجتماعي وإصلاح الفساد الموجود فيه. وبالرغم من التحولات التي طرأت على قرية منصور، إلا أن السارد لم يجهد نفسه في التقصي لها لا زمنيا، ولا كيفا كوفاة أم منصور فلم يذكر متى وأين،وكالغربة التي دامت عشر سنوات لم تذكر لا الوجهة المختارة للهروب ولا التاريخ"**إذن هو أسلم روحه لعشر سنين من الغربة،قد تكون تيهاً،وقد تكون تشردا وضياعا وقد تكون سعيا وراء خرافة كالحقيقة أو حقيقة كالخرافة**"[1] فالراوي جاهل بحقيقة وجغرافية هذه الغربة وبما جرى في زمنها المفتوح المريب.

2-1 الاسترجاع وملامح الاغتراب:

وإن لم يكن زمن الماضي مسيطرا على البنية السردية لأن معظم الوقائع-السلوكية-قد أغرقت في الزمن الحاضر لكننا لا ننكر بأن"**الماضي جزء لا يتجزأ من الحاضر،ولا ينفصل عنه فهو منسوج في ذاكرة الشخصية ومخزون فيها**"[2] فمنصور عاش الأحداث واغترب عنها، ومن ثم آلت إلى ماض غريب صار يهزأ منه أمام والده، لأنه عاشه وهو في حالة انفصام كلي ولأن سياسة الرضوخ ليست من سجيته، وقد أنقذت الأحداث منصورا من سلطة الزمن وسيطرته حيث وجدناها تسير حرة في اللاّزمن بعدم تخصيص تفاوت كرونولوجي بينها ولا وجود لزمن التذكر إلا بعض هذه الاستحضارات من طرف البطل أو عمي صالح صاحب المقهى عندما كان يحكي له عن مصائر بعض من أهل القرية الذين قد اغتالتهم بعض الجماعات الإرهابية(أصحاب الجبل) أو استضافتهم من طرف فرق "أصحاب السهل" إلى بلاطها البارد مثلما حدث مع منصور.

وها هو منصور يحكي ويستحضر لوالده الذي يرمز إلى الماضي وأي ماضٍ هو ماضي الثورة أو المجد لذا فالحنين إلى الوالد حنين إلى القديم، ومادام يطوي لعبة الحياة(الاجتماعية،السياسية ،الدينية)لحدة انسلاخه عنها هاهو يروي يوما من أيامه الفارغة والممتلئة بالملل والسقم الأبديين"**آه**

---

[1] الرواية،ج2،ص 14.

[2] مها حسن القصراوي،الزمن في الرواية العربية،ص103.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لو رأيتني اليوم يا أبي..فقد كنت رائعا...لقد أديت دوري باقتدار...بدأ بعض الأصدقاء يتحاشونني...وبعض الأحباب أذوني بالكراهية...وما علموا أنهم مخدوعون في المقت والكراهية"[1]وقد استرجع فوزه على هؤلاء بالانفصال عنهم وبكونه شيطانا مريدا صار جديرا بهذا الأمر الذي كان في أمس الحاجة إليه وهو النفور منهم والسخرية والتهريج بهم،ويحتار من فراغهم المريب حين يشكوهم إلى قبر أبيه"**لقد صار الناس فارغين بشكل رهيب يا أبي،حتى أنت اعترض عليك أبناؤك،فقد قالت إحدى بناتك:سامح الله أبي،فقد كان أولى به أن يتزوج فرنسية،ليكون شعري أصفرا وعيوني زرقاء ويواصل مخاطبا قبر أمه:إنني أمشي حافيا على البلاط البارد،وتمشي روحي كذلك حافية على جليد الحياة ذي النتوءات الشوكية"**[2] فشكواه لأبيه توحي إلى نفاق أهل القرية وبراغماتيتهم التي قد ضاق بها ذرعا،أما شكواه لأمه فتحيل بالبرد الروحي الذي يعانيه هذا الشخص على غرار المتصوفة لا يشعر بدفء الحياة ولا يستأنس لحميمية الدنيا التي من شأنها أن تردع نزْق هذا الضعيف وطيشه.

أما عمي صالح فها هو يحكي له مثلا عن نهاية"عليوة الزوالي" يقول"**كان ذلك في شهر أفريل1995،وأنت تعرف أن عليوة الزوالي قد شغله السعي وراء لقمة الخبز عن التفكير في تربية أبنائه...فانغلق على نفسه...أما أبناؤه فقد تفرقوا ذات اليمين وذات الشمال...فصار أكبرهم تاجر مخدرات...أما الجمعي فلا يفرغ من صلاة إلا ليتوضأ لأخرى"** [3] فقسوة الزمن الماضي شردت عائلة عليوة وجعلت هذا الأخير يعتزل ويغترب وصار أبناؤه لقمة استساغها الفجّار والإرهابيون الذين تقنعوا خلف أزياء استمالت إلى هاويتهم الموتورين وضعاف النفوس.

2-2 الاستشراف و ملامح الاغتراب:

[1] الرواية،ج1،ص23.
[2] الرواية،ج2،ص ص(164-165).
[3] المصدر نفسه،ص343.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لما كانت الحياة ثقيلة على منصور ثقل الزمن كذلك عليه فقرر أن يمسك بناصية سياسة الهروب إلى الأمام بالانسلاخ عن الماضي، ورفض الحاضر وتعليل واقعه المأساوي وذلك على بعد استشرافي،لا لغرض الإعلان عما سيقع فهذا بعيد عن ميزات الرواية الواقعية أو السياسية وحتى النفسية وإنما بهدف الاحتمال المأمول أو المحذر منه، فحضرت سين التسويف في كلامه في مواضع عديدة، كتصوير مستقبلي لأحداث سردية ستأتي فيما بعد إلا أن ذلك قد كان بأسلوب توعّدي انتهازي للقرف الوجودي الذي آل إليه هو ودولته عموما، وقريته خصوصا فقد دلت نظرته التشاؤمية الاستشرافية على انسحاقه واعتراضه الشديد لكل ما هو سائد"**فقد تم كشف هامش اللاوعي في بنائية النص المطروحة،بالمضارع أو بالزمن الإرهاصي أو المستقبلي بحيث يشكل سيكولوجية الاعتراض والتنافر مع البنية القائمة**"[1] ولم يكن منصور مجرّد مصور لعصره بل شاهدا عليه ناقدا ناقما رافضا ومرفوضا معه،وقد تداخلت الأزمنة المتباينة في ذهن البطل من اجتماعي وثقافي وأيديولوجي لأننا أمام رواية ذات صبغة سياسية وهذا ما سمح بأدلجة الزمن وتسييسه كذلك.

وإلا بظهور أسلوب التحذير-على الصعيد النحوي-ذي البعد الاستشرافي بخاصة بعد سرد منصور لحلم رآه في ليلة من الليالي، ورأى فيه جزاء كل أهل القرية ومصيرهم المنتظر في الآخرة فشوق عمي الصالح بأسلوب ترغيبي من جهة، وبآخر تحذيري يقف فيه موقف النبي الهادي لأمته والمنفرد بالدراية بوقائع المستقبل و ما سيكون كمظهر من مظاهر اغترابه عن الزمن الموضوعي تارة وعن زمرة الخطائين تارة أخرى فهاهو يرغب بلغة المستقبل"..**ورأيت في لهيب الشمس شخصا يأكل الجمر بملء فيه،قلت من هذا؟، فقال:شاعر يمدح شخصا بالذي ما كان فيه...كان في القصر وصيفات جميلات،وفي القصر وصيف...وطيور فوق أغصان سكارى بدفوف**"[2] فحديث

[1] جمال الدين الخضور،زمن النص،دار الحصاد للنشر والتوزيع،دمشق،سوريا،ط1،1995م،ص69.

[2] الرواية،ج2،ص329.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منصور هنا عن الجنة وأوصافها يؤكد لنا اغترابه عن الدنيا وتوقه إلى حياة الطوباوية الأبدية ليتجاوز بذلك زمنه إلى اللاّزمن حيث العالم هو الله بتوقيت غيبه جلا وعلا.

وهنا تداخل بين الزمان والمكان حيث صار المستقبل مكانا يحتمي فيه الهاربون من عدائية الزمن القاهر أمثال البطل الذي تساءل وأجاب عن مصير الأموات وعما ينتظر المنافقين،مما أضفى على اغترابه سحرا أسطوريا يعود بنا إلى الوراء البعيد(أسطورة التكوين والخلق)الذي ينشد المستقبل الأبعد وهو عالم الموتى كما يسميه الفراعنة، أو اللاعودة بحسب السومريين"**وقد تولدت عن الفكر الأسطوري قصص نهاية العالم التي ارتبطت بالموت والزوال**"[1]إلا أن منصورا قد تجاوز العدمية وفكرة التلاشي الأبدي بسبب اغترابه الوجودي الذي دفعه إلى الهروب من الوجود إلى اللاّوجود المأزوم ليستعرض الحياة الأخرى بأسلوب هو الآخر ذو طابع مبشر بالعذاب لهؤلاء تحت غطاء التحذير الساخر للآخر فها هو يحذر كلبه بعبارات غنية بالمكامن الموحية إلى ترفع منصور الواضح عن أهل القرية بجعلهم يتزلون إلى مرتبة هذا الكلب فوكأنه يخاطبه كفرد منهم قائلا:"**حذار أن تتعفف يوما وأنت جائع،وأن تجامل وأنت عطشان..واعلم أن الذي يتكبر عن اللحم يذل أمام العظم،وأن الذي يعاف الماء صافيا زلالا،سوف يستعذبه ملحا أجاجا**"[2] فتكتلت هذه الأزمنة وضغطت على ذهنية منصور تحت لواء الزمن الكلي الكثير الأمواج والذي احتوى العنف والمأساة والحاضر الغائم، وضبابية المستقبل الميئوس منه يتحدث عن الغيب وعن المستقبل المنتظر وبالأخص عن فترة البرزخ الفاصلة"**عالمكم يا أبي بلا ملامح..بلا زمن..بلا رغبة جامحة أو رهبة كابحة..عالم رتيب..رتيب..رتيب..عالم بلا إنسان شيء مفزع أن يظل المرء يعيش قلق الانتظار وفاجعة التوقع**"[3] كما يتكلم بحرف التسويف المستشرف والمؤكد على عمق اغترابه وعن عبثيته في الحياة يعطي لنفسه معطى التصرف في حياة هؤلاء وكأنه ليس من جنسهم

[1] سيزا قاسم،القارئ والنص،العلامة والدلالة،الشركة الدولية للطباعة،القاهرة،مصر،2002م،ص78.

[2] الرواية،ج2،ص226.

[3] الرواية،ج1،ص35.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معصوم عن الخطأ قد يكون زمنه الخاص مليئا بالمعاصي إلا أنه فردوسي مطهر بفعل الوعي بحقيقة المجريات وعدم الانضمام إلى زمرة الإمعة فيتفرد قائلا:"**سأكون أنا الخامل،وأنا الصبي،وأنا الصعلوك الفقير،وأكون أنا الناسك الجليل،وسأوقعهم في الفخ...سأمزق عنهم كل الأقنعة ليعرفوا أنهم ليسوا جديرين بالحياة**"[1]فهو يعتقد بأنه لا شيء يبعث على الحياة ولا شيء يرغّب فيها، ولا شيء قد تنبت منه هذه الحياة،حياة قد أثبتتها أخلاقية الجزائريين ليستشرف المصير الجحيمي لهؤلاء على بعد امتداد عشرية الدم إلى عشريتين"..**تنبئ به أخلاقية الجزائريين خاصة في عشرية الدم،التي ليس مستبعدا أن تمتد لتكون عشريتين،ولولا رحمة الله لكانت النسبة كارثية**".[2] وإن كان منصور يقر بامتلاك الآمال التي لن تتحقق وللأسف إلا بعد أن يصير ذيلا أو قطعة غيار للآخرين (الحاكمين) مما حرمه التفرد بخاصية قراءة كف أو طالع قريته"**ولست قزْما حتى اضطرّ إلى استشراف الحياة من فوق أكتاف الآخرين**"[3] لأن استشرافها سيعني بيع العنفوان الذي يسري في دمه،وإسقاط المثالية التي يطمح إليها ليل نهار.

كان إذن-منصور-يتوعد وينتظر زمن الفضيحة وقد أتى وصفق أهل القرية على المهزلة المرعبة وفرّ هو واغترب إلى مكان مجهول،ثم عاد وليا صالحا ليرى الرؤى الصالحة ويحلم الأحلام المترجمة لترسبات لاوعيه المنهار، فكان المزج واضحا بين الزمن المادي والسيكولوجي بالتوسل بالذاكرة وممارسة التداعي،والمنولوج لأن زمن العنف ولّد زمن الاغتراب وهذا الأخير أوقف الكرونولوجية الطبيعية للزمن حتى يصبح زئبقيا يمكن توزيعه على أي نهج يريده المغترب منصور في زمنه هذا الأخير استغرق في خبرة المغترب وتوحد مع زمنه النفسي مشكلا دوامة لا مثيل لها من القلق والتبرم والتذمر من الوضع السائد مما فعل الانشطار الكلي لزمن السرد "**في ظل التصدع النفسي الذي تعيشه شخصية البطل وتشظي زمن الواقع**"[4] فغادر البطل الزمن وترك معه

---

[1] المصدر نفسه، ص66.

[2] الرواية، ج2،ص366.

[3] الرواية، ج1،ص162.

[4] مها القصراوي،النص الأدبي بين التداخل والتراسل،رواية براري الحمى لإبراهيم نصر الله نموذجا،مجلة الجامعة الإسلامية،مج 18، ع2، جوان 2010م،ص1023.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذكريات الغائمة في أمكنة ترجمت هي الأخرى حالاته الاغترابية وجسمتها لدرجة فراره منها أيضا...

ويمكن إبراز اغتراب البطل في الزمن عبر مخطط تقريبي لمختلف الالتواءات التي شتتت معها هذه المادة المعنوية المجردة-الزمن-وجعلتها بلا ملامح أحيانا، أو سامية شامخة ارتقت عبر تقنية السرد الاستشرافي أحيانا أخرى فيحن البطل إلى الماضي تارة ليقلص من عمر الحاضر في لمح البصر، لأنه قد بات معدما خاليا من نبضة الحياة الحقيقية والتي يستدعيها الاستقرار وتحقيق الوجود،فاغترب عن هذا الأخير واستمسك به حتى يعلو عليه إلى مقابله-اللاوجود- بزمن صوفي أبدي مغلف بالشذى، وروح الامتداد المطلق إلى مستقبل منتظر ومأمول...

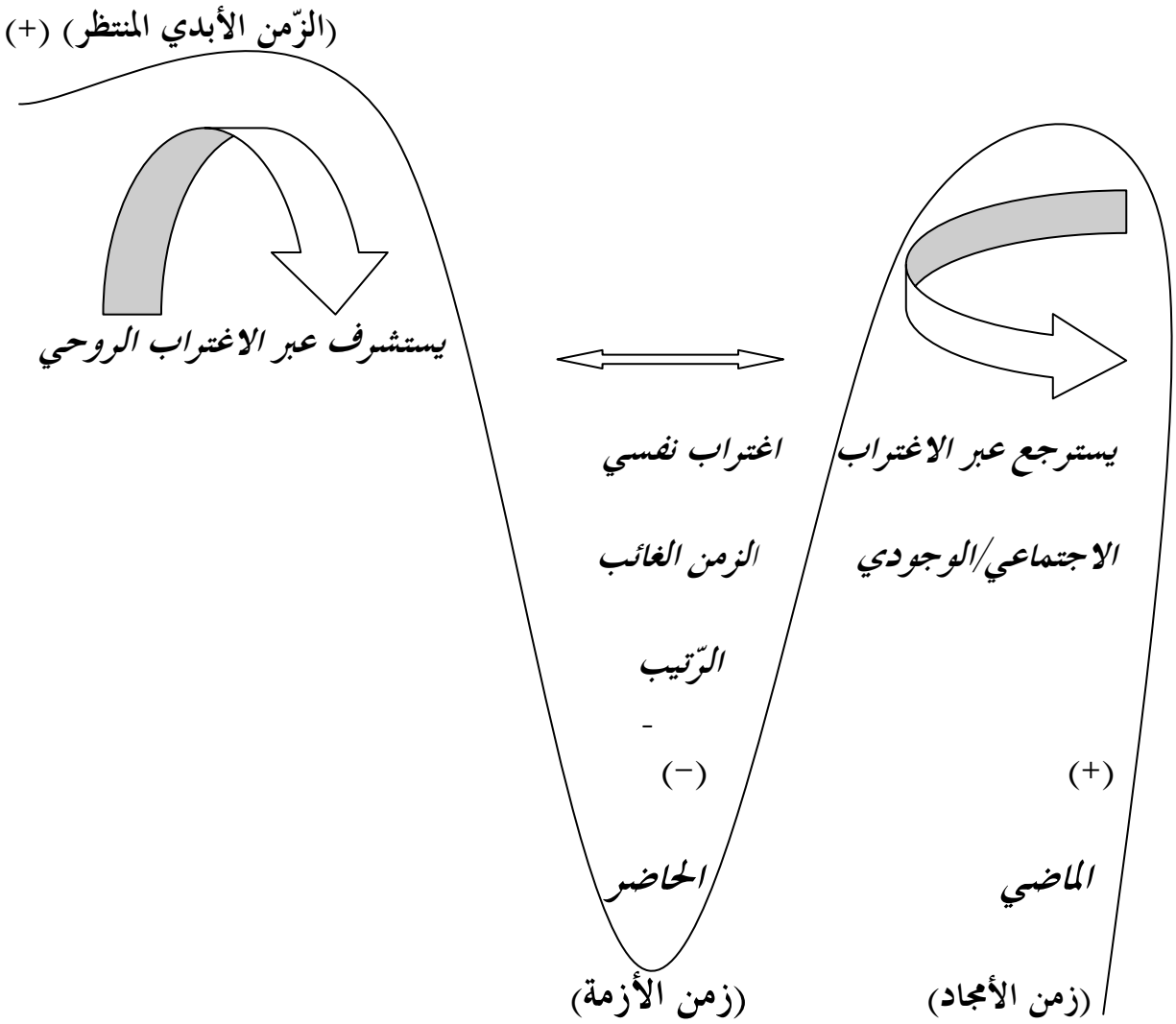

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعـــــــــا/الاغتراب المكـــــاني:

بما أن الزمن هو جوهر الذات الإنسانية لدرجة أنه قد عدّ نفس هذا الإنسان، فإن شخصية هذا الأخير موجودة في المكان أيضا لأنه ومثلما للزمن أحقية في الوصل بين مكونات العمل الروائي نلفي المكان أيضا أو الفضاء بوجه عام همزة وصل بين الذات والعالم الخارجي، وقد تعددت المفاهيم الخاصة بالمكان انطلاقا من مفهومه الجغرافي المتعارف علية منذ الفطرة، إلى المدلولات الأخرى التي تعالقت وإياه، فصار له معنى نفسيا وآخر اجتماعيا وعلى الصعيد الأدبي دلالة سردية فنية في غالب الأحيان.ومثلما ثُمرت البحوث حول الزمان لتعدد الأزمنة، كان لتعدد الأمكنة كذلك الأثر البالغ في توجيه أقلام الباحثين، وبخاصة علماء السرد إلى العناية به، وقد تأججت الدراسات المكانية على يد الفيلسوف الفرنسي "غاستون باشلار"ضمن مؤلفه (**جماليات المكان**) الذي أعطى لهذا العنصر بعدا فنيا سما به بظلال تجاوزت الإطار الجغرافي إلى ما هو أعمق.

ولكي تحيا الشخصيات في الرواية لابد لها من فضاءات وأمكنة تضمن لها هذه الحياة هي وأحداثها والفضاء space"**هو الذي تقدم فيه الوقائع والمواقف،والذي تحدث فيه اللحظة السردية**"[1] ومن ثمة إضفاء لمسة فنية على المكان الطبيعي(الحقيقي) الموجود خارج النص الروائي وله الفضل الواسع في تقديم الطابع الأثنوغرافي لأي مجتمع، وتدوين الأعراف والعادات وكل ما له علاقة بالإنسان هذا في الواقع وفي الخيال.

والمكان حيز"**روائي جوهري،يتخذ أشكالا وتصورات ويتضمن معاني عديدة وفي غالب الأحيان يكون الهدف من الرواية بأكملها**" [2] مما يسمح لهذا الحيز بالظهور بأنماط مختلفة يختص كل واحد منها بوظيفة معينة،قد تكون إيحائية تلميحية،أو تصريحية مباشرة فينتقل بذلك من وضعية السكون والثبات إلى الكينونة المكانية المقترنة بحركة الحدث اللصيقة بالشخصية.

[1] عمر إدلبي،سرد الذات،ص182.

[2] أوريدة عبود ،المكان في القصة الجزائرية الثورية،دراسة بنيوية لنفوس ثائرة،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،2009م،ص34.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد اختلف النقاد والدارسون في ضبط التسمية فمنهم من آثر اسم الحيز، ومنهم من أطلق عليه اسم الموقع، أو واجهه بمصطلح البقعة كذلك، وهناك من أسماه بالفضاء إلا أن هناك اختلاف بين كل من المكان والفضاء، لأن هذا الأخير"**أوسع من المكان،وهو مجموع الأمكنة التي تقوم عليها سيرورة الحكي**"[1]إذن هي علاقة الكل بالجزء فكلاهما شرط أساسي لوجود الإنسان – خارجا- وبالتالي أمر ضروري لتوفر باقي العناصر السردية داخل الرواية بما فيها الزمن والشخصية التي تزاول فيه حركتها وتمارس فيه فعل الحياة ومن هنا تعد"**مكانا للوعي تختزل عبر الوعي الأمكنة كلها،ابتداء من الأمكنة الصغرى والأمكنة الكبرى المألوفة،وانتهاء بالمكان المطلق(الكون)**"[2] فيتداخل المكان ومواقف الشخصية إذ يمكن إسقاط جغرافيته وإكسابه حلة نفسية أو اجتماعية أو أنثروبولوجية وإلا سياسية،أو حتى أركولوجية.والمكان بحسب ما هو شائع في الساحة النقدية نوعان: [3]

أ–مكان مفتوح:وهو حيز مكاني خارجي لا تحده حدود ضيقة،ويشكل فضاء رحبا،وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق.

ب–مكان مغلق:وهو نقيض للأول فيصبح بذلك حيزا داخليا،وتحدّه حدود ضيقة،ويقاس بغيره.

لا خلاف في أن الشخصية لا تسير حرّة طليقة في الرواية بل لها معالمها النفسية والجسدية ويحيط بها عالم له ميزاته المناخية والمادية تنسل منه عوالم مادية صغرى،تهيكل على شكل أمكنة تيسر استنطاق الأهواء والنوازع، فيتحداها الروائي لجعله دعامة يستند إليها بغية صياغة المواقف والأشياء وتنسيقها؛فتارة يلجأ إلى تعددية الأمكنة ليشعب الحالات النفسية والوقائع،وتارة ينتهج الأحادية ليتوسل بحيز واحد تدور فيه جلّ الأحداث.

---

[1] روزو ماري شاهين،قراءات متعددة للشخصية،دراسة تطبيقية على شخصيات نجيب محفوظ،دار ومكتبة الهلال،مصر،ط1،1995م،ص41.

[2] الشريف حبيلة،الرواية والعنف ،ص22.

[3] المرجع نفسه ،ص51.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتلاقي أمر لابد منه بين الشخصية والمكان لأن لهذا الأخير"**دور كبير في تحديد الخصائص الفكرية والنفسية للشخصية،ووظيفته هي إلقاء مزيد من الضوء على الشخصية**"[1]فيصبح للمكان إذن أبعادا فكرية ونفسية، تفعّلها اللغة داخل الرواية بفضل موازاته السردية لعنصر الشخصية،يتراح بذلك معناه المجرد إلى ما هو أدلّ، ويعرف أيضا بأنه"**نظام من العلاقات المكانية المتصف بحدين، الأول يتسم بالملموسية الواضحة وهو وعاء للشخصيات، أما الثاني فيتمثل في كل جهات المكان التي تشكل المستويات من خلال فعالية الشخصيات والأبطال**" [2]أي يتضمن المكان الشخصية على الصعيد الفردي فتستقل بكيانها المكاني،كما يبرز كحلبة صراع وتفاعل لمختلف الشخوص في العمل الواحد.

وفي روايات الشخصية التي أشادت بها فرجينيا وولف وذهبت إلى أن الرواية وجدت لغرض التعبير عن الشخصية نجد بأن البطل غالبا ما يلجأ إلى"**إسقاط الحالة الفكرية أو النفسية على المحيط الذي يوجد فيه،يجعل للمكان–بذلك–دلالة تفوق دوره المألوف كديكور أو وسط يؤطر للأحداث**"[3]فتجاوز بذلك المكان النظرة السابقة والمجحفة في حقه،في اعتباره مجرد خلفية للأحداث والشخصيات والزمن لكن هذا الأخير ينطبق على المكان،حيث يصبح كل منهما وجهين لعملة واحدة (الزمكان)والعلاقة بينهما علاقة تكامل،فالحركة تحدث في مكان والأحداث تقع فيه أيضا،ما سمح له بأن يسترجع سيادته السردية ويحظى بالمرتبة المهمة لدى النقاد لمرونته المعينة والمغدقة على تطويعه لدرجة تبني المتفاعلات الخارج نصية(أيديولوجية،السياق الثقافي..) والتجاجه الشديد بها.

[1] يحي العبد الله،الاغتراب ،ص161.

[2]نعيمة فرطاس،بنية الفضاء السردي في رواية غدا يوم جديد،الملتقى الدولي العاشر للرواية،مديرية الثقافة برج بوعريرج،دار هومة،الجزائر،ص78.

[3]حميد لحمداني،بنية النص السردي، ص71.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و يتجلّى التداخل في الرواية بقوة بين منصور، عبر تغالب كان طرفاه أهوائه ورؤاه من جهة والأماكن المفتوحة منها(القرية،المدينة،البحر) والمغلقة (الغرفة ،المقهى،السجن) ولأن البطل مثقل بهموم بلده السياسية والاجتماعية عانى الضغوطات النفسية وبمختلف تعقيداتها مما أدى ببعض هذه الأمكنة إلى أن"**تقترب بأحاسيس قارة تغمر نفسيته،فكلما كان منفتحا متحررا كانت أحاسيسه السعادة والانعتاق من الحزن، أما إذا كان منغلقا فإن الطاغي على الشخصية هو الإحباط المعنوي**"[1] وعلى هذا الأساس التبست هذه الأمكنة بجلّ التحولات التي طرأت في الواقع.

ولأن حياة منصور لم تكن عادية وتجاوزت حدود الوجود لأجل الأكل والشرب وتعزيز العلاقات بالبيئة أو الأفراد لضمان البقاء كسنّة حياتية سحبها وأسقطها على كل ما يحيط به من بشر وأماكن،لأن انطواءه على نفسه جعله يعتزل الناس،ويدخل في علاقة تنافر إلى درجة العداء مع بعض الأمكنة (القرية،المدينة) وتجاذب لدرجة الخيال المحفوف بالمبالغات باندماج الروح والفكر مع عوالم أخرى (الغرفة،البحر،المقبرة) أو ما بينهما من انجذاب قسري فرضتها عليه حالاته الاغترابية (المقهى).

1 - إيحاءات المكـــــــان الاغترابية:

1-1 إيحاءات الغرفة:

قدّمت الرواية بجزأيها مفارقات سردية جعلت من تحركات منصور تحديا للزمن من جهة وإن ندرت وذلك لأنه ظل قابعا في كوكبه الخاص وعالمه المستقل عن الخارج في غرفته بدار أمه القديمة الواقعة بالقرية والتي لم يفصح الراوي عن اسمها،ذكر فقط بأن أخته تقطن بولاية قسنطينة. والغرفة كما نعلم"**ليست صورة إنسانية معمارية بل هي معان إنسانية ودلالات تاريخية بمواقعها وذكرياتها ووعي الذات بذلك ومقدار الانسجام والتنافر**"[2]وهذا ما أدى بمنصور إلى التعلق بها

[1] روزو ماري شاهين،قراءات متعددة للشخصية، ص44.

[2] المرجع نفسه،ص45.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمكوث فيها ليل نهار دون الاكتراث أحيانا لما يحصل في الخارج إلى أن قرر تطبيق حيلته الجهنمية والتي اقتضت خروجه اليومي عن الغرفة لغرض كرف خطايا أهل القرية.

وقد قام الراوي بوصف الغرفة بكل تفاصيلها ودقائقها بكل عفوية وتلقائية مبرزا البصمات الاغترابية العريضة"**وإن تدخل يوما ما إلى غرفة نومه...فإنك ترى ما يدهشك ويحير لبك ويجعلك نهبا لمشاعر مضطربة، وانفعالات متناقضة، وأول ما يشد نظرك هذه الرفوف المتراصة من الكتب السميكة..وأغلبها روايات وقصص ودواوين شعرية..**"[1] فوجود الكتب علامة على سعة ثقافة هذا الرجل، والثقافة معناها تطوير الفكر وترقيته مما جعله مثقفا عالة على مجتمعه،انسلخ عنه لاستنكاره الشديد لما يجري من تقهقر واضطراب شديدين، وهذا ما يؤكد لنا فكرة "فلاديمير ماكسيمنكو" عن المثقف إذ يعتبره "**الشاهد الوحيد على المجتمعات المزقة**"[2] التي تنتجه،لأنه يستبطن تمزقها بالذات ومنصور أقر بإصابته بداء الثقافة الذي تسبب في عنائه مع الحياة يقول:"**وأنا يا أبي كأني مصاب بداء المثقفين العضال، لا قدرة لي على المواجهة،ولا طاقة لي بالحياة الخشنة...وليس عيبا الجبن في المثقفين**"[3] فشبه نفسه بالمصابين بداء خطير، أملهم ضائع في الحياة بصحة وأمان، صار أنوميا ،مثل هؤلاء الذين اغتربوا لجسامة دائهم والمتمثل في الثقافة، التي عمّقت من جراحهم، ودفعته على غرارهم إلى تمني الموت ومغادرة الحياة وإن كلفهم الأمر رفع الراية البيضاء التي لا يراها أي مغترب عيبا مخزيا.

وقد باتت الغرفة ملجأ الراحة والأمان، وموطن الغربة بالنسبة لمنصور، وإن تسببت في إعطائه حرية من شأنها أن تزيد من معاناته،لأن وحدته دون زوجة ترعاه وتخدمه أو أولاد يبعثون في قلبه روح البراءة المشرحة للصدر،نمّت من انقباضه وأكثرت من معاصيه تجاه الخالق في سكره وتهاونه عن الصلاة أيضا ولاستغلاله للوقت الثمين في الهدف الرخيص. ولكن غرفته لم تكن عادية ألفيناها

---

[1] الرواية،ج1،ص3.

[2] فلاديمير مكسيمنكو،الأنتلجانسيا المغاربية،المثقفون أفكار ونزاعات،تر:عبد العزيز بوباكير،دار الحكمة،الجزائر،ط1،1984م،ص8.

[3] المصدر نفسه،ص 148.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعاني الخراب والفوضى والعفن"**وهذه الفوضى الشاملة توزعت على أرضية الغرفة،من علب مصبّرات فارغة...إلى سجادة صلاة لم تنطبع عليها جبهته منذ أسابيع...وسط هذه الفوضى يعيش،يشرب ويتقيأ ما شرب ويفعل أمورا أخرى لا يحب أن يطلع عليها أحد غير الله..وهذا العبث يمارس حياته،ربما لأنه يجد الانسجام مع ذلك كله،أو لأنه بذلك يريد أن يعكس حقيقة طالما اجتهد أهل القرية في إخفائها خلف المناظر الخادعة التي تغطي بواطن الأدغال**"[1] فإذا ركزنا على بعض المفردات الواردة في وصف السارد للغرفة وقمنا بتحليلها وتأويلها ولكن وفق مدلولاتها النفسية نجد لها تفسيرات مبررة لانغلاق منصور على نفسه ولجدارتها في احتواء الأصوات الاجتماعية والأيديولوجية السائدة:

"**فوضى**" كلمة توحي عادة إلى وجود بلبلة أو اختلال،ولأن الراوي قد ساعدنا بتوضيح بدئي في بداية الرواية،أحال هذه الفوضى إلى اختلال النظم السائدة في الدولة عموما والقرية خاصة وانتشار الفوضوية الموحية إلى تحرر الفرد من أي سلطة سياسية،فقد اختار البطل الفوضى كمرآة تعكس وجه الوضع الحقيقي السائد،آثر الخراب لأنه يجد الانسجام أي أنه يعاني الاغتراب الذاتي،فذاته مضطربة وعاجزة عن الاتصال مع الآخر بدءا بالمرأة المسؤولة عن الرعاية، فلو أنه تزوج لما آل إلى هذا المآل البائس، لكن وبعد عودته من رحلة **الغربة** التي دامت عشر سنوات"**آبت صرخة الفوضى في عينيه إلى صمت وقور،وصار حكيما جنون العبث الذي كان يدغدغ روحه وفكره،ويدفعه إلى غريب أطوار**"[2] أي إلى مغترب.

"**العبث**" توحي إلى اللعب والهزل إذ صارت حياته لعبة بين أيدي الآخرين بغض النظر عن هويتهم سواء أكانوا أفرادا"أصحاب الجبل" وإلا مؤسسات حكومية.وأضحت مهزلة لا وجود للمعنى فيها كل ما فيها عبارة عن ظلال شفافة وإيحاءات كئيبة، فتجسد العبث من منظوره

[1] الرواية،ج1،ص 3.
[2] الرواية،ج2،ص 15.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأخلاقي لا الأنطولوجي، هذا الأخير سلم مفسروه على غرار "سارتر" بأنه راجع إلى أن الأصل في الوجود العبث، والأول"**ناتج عن الصّراع بين الإنسان والعالم وبين المطالب العقلية معقولية العالم**"[1] فما كان يعرف الليل من النهار لأن النافذة مغلقة بإحكام،قتلت الغرفة إذن العالم الخارجي وغيّبت شمس النهار، وزادت ظلمة الليل من عزلته عن الحياة، ولكنها كانت كريمة معه مكنته من الاستئناس بصورة أبيه المتواجدة بالحائط،ليحكي له مغامراته الفارغة من المعنى"**فمنذ أن انتبهت إلى سحر صورتك المعلقة،ونفضت عنها الغبار،صرت أشعر بالدفء و الحميمية والحنان في هذه الغرفة التي كانت من قبل خاوية كالصحراء...مخيفة كالدغل الموحش**"[2] فعلى الرغم من استلطافه للغرفة إلا أنه عاش مغتربا فيها، عزّى نفسه بصورة والده الجوفاء والخالية من يقينية بث الروح أو حقيقة الصوت، صورة رسمهما هو بريشة تهيآته وأوهامه المزيفة.

وكان كلما تصور الغرفة نظيفة مرتبة شعر بالاختناق،والتنظيم حينها سيصبح سببا في القلق والكآبة لأن الانضباط شيء جديد عليه، لم يألفه في قريته المفعمة بالصخب واللاّنضباط"**ولما دخل غرفته تملكه إحساس مفاجئ،وكاد أن يدفعه إلى تنظيف غرفته وتنظيمها..وتخيل نفسه يتحرك في هذا الفضاء المنظم"المنضبط" أحس بأن الموت قد اقترب..فالغرفة–بصورتها الحالية–منسجمة كل الانسجام مع نفسه،وما هذه الفوضى في واقعه إلا شيء قليل قد فاض وانسفح من نفسه**"[3] لدرجة أن أمه قد توسلّته لتقوم بترتيبها مع باقي أرجاء المترل إلا أنه اعترض ورفض فكرتها بشدة"**بعد أن توسل إليها ألا تمس غرفته بأي تغيير**"[4] فواقعه إذن متعفن وهو على وعي كامل بهذا الأمر لذا أسقط هذا الوعي بمكنوناته النفسية على غرفته المعبرة بخرابها عن لاسويته وعن عدم اندماجه مع هذا الواقع،فتواءمت معه ومع قريته.

---

[1] فيصل عباس،الاغتراب ،ص277.

[2] الرواية،ج1،ص 36.

[3] المصدر نفسه، ص73.

[4] المصدر نفسه،ص 54.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فاللجوء إلى وصف الغرفة بخراباتها معناه تحسيس للقارئ بخاصية هذا البطل بعد إعلانها عن الأحداث و لم لا؟...فكان التفصيل هنا عفويا إلا أنه قد زاد من حدة التأزمات الداخلية التي تصارعت داخل منصور.كما نسجت الرواية عالما مكن من تحديد سيكولوجية الأمكنة الاجتماعية(القرية،دار العم،المقهى) والسياسية(السجن) الدينية(المسجد) خاصة الغرفة التي سجلت نفسها وبقوة،وقد أسهمت كحيز منغلق في تكوين الوعي تكوينا احتضنه جحيم اليأس والقنوط ورتابة الزمن المملّ"**الذي بات عدو الإنسان بينما المكان(الغرفة)هو الحصن الذي يحتمي به بذلك أن يمتلك المكان ويعتبره امتدادا له**"[1]وأيضا لحساسية الأفكار الضارة والراجعة إلى أيديولوجية منبعها سؤال الوجود وحيران المصير.كانت الغرفة إذن مشوشّة وإن صح القول لوحة قبيحة وكما يقول مالك بن نبي"**لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل**" [2] وما نستشفه من هذا القبح هو تعفن المحيط الذي يعيشه منصور حيث اندثرت القيم وغابت المعايير المشروعة،ولأنه رفض الانخراط بحث عن البديل والمتمثل في غرفته ليجد فيها كيانه المفقود،ولأنها هي القادرة بشتاتها أن تضمد جراحاته وتمزقاته المعبرة عن توتره الوجودي والمفسرة لجنونه الحكيم.

وبوصفنا للغرفة قمنا بوصف منصور هذا الذي كلما أمعن النظر في مترله المبعثر زاد اغترابه وانكساره القابل للإلمام،فقد احتوت-الغرفة- همومه واستوعبت جنونه،وأمسكت بساعده معبّدة له طرق الاعتزال عن ضوء النهار الذي صار يزعجه،وظلام الليل الذي بات يبتليه،والعلاقة جد وطيدة بين الغرفة ومنصور لدرجة أننا لو قمنا بإحصاء تواترها في الرواية لوجدناها حاضرة بقوة فانبرت هذه الصداقة بينهما وحررت منصورا من أي التزام فلا **يخضع** ولا **ينتمي** لمكان أيديولوجي محدّد وهو مستقل عن كل منهج أو مذهب مؤديا دور الناقد الموضوعي داخل النص الروائي إزاء مجتمعه الغريب عن مبادئه.

[1] سيزا قاسم،القارئ والنص، ص 68.

[2] نور الدين مسعودان،مالك بن نبي بقلم معاصريه،دار النون للطباعة والنشر والتوزيع،ص23.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالغرفة لم تكن عادية لاتسامها بالفوضى والخراب،ومنصور انسجم مع هذه البلبلة لأنها بفعل يده وبرغبة منه،وكنتيجة لذلك كان الانهيار النفسي علامة على ذلك وسببا فيه أيضا،وكل هذه الأسباب أدت إلى تعميق الشعور بالاغتراب لديه.وستوضح الترسيمة الآتية كل هذه المسوغات والتي فسرت اغتراب البطل داخل غرفته التي عدّها شاهدا على مأساته مع العالم الخارجي:

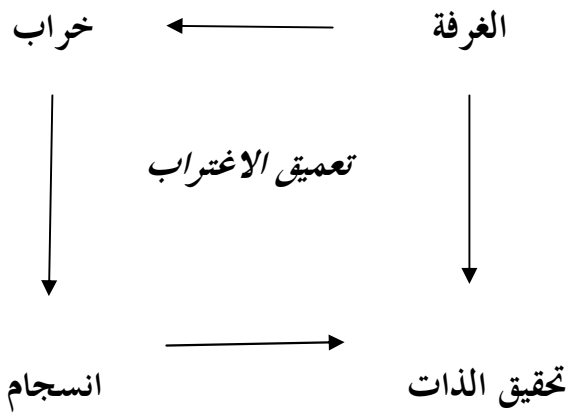

1-2 إيحـــــــاءات القرية:

القرية ذاك الفضاء المفتوح بالنسبة للغرفة لم تنحصر في المحلية فقط،بالرغم من إهمالها نوعا ما في رواية التسعينات التي أعطت الفرصة المكانية للمدينة في الظهور،ولأن دولة منصور هي غرفته وبالتالي فإن ما يجري في القرية صار أبعد من أن يكون مجرد قطرة من بحر بلده الجزائر،فعدت الخلفية التي تقع فيها كل أحداث الدولة،ولجأ الراوي إلى الوصف كما أشرنا"**كأداة فعالة لخلق الجو المناسب الذي ستجري فيه أحداث القصة**"[1]والجو الخاص بقرية منصور غائم ومضطرب لذا كان الوصف عميقا ومتربصا في تقريب الإيغالات النفسية للبطل من جهة،ومفصلا في تبيان انطفاء الزمن وامتلائه بالأزمات والدماء الغريبة بفعل كابوس الإرهاب،وتواطؤ الحكومة وسيادة الزيف والنفاق،والقرية"**مكان شبه مغلق معزول،يفتقر لأبسط المرافق،لذا يكون إيقاع الحياة فيها**

[1] محمد الهادي العامري،القصة التونسية القصيرة،دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع،تونس،1980م،ص 121.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سكونيا نمطيا متكررا"[1] وهذا السكون قد قمع حركية سكانها فلا يعرفون المراكز الكبرى التي قد تمتص بطالتهم،فأحدهم يعمل زبالا ك"عمي سعيد"،وآخر يبيع الكتب ك"بوخالفي"،وإلا يمتلك مخبزة كعمي محمد،أو مقهى مثل "عمي الصالح"،و"عليوة الزوالي" لمهنته المتواضعة وهي بيع الخضار، وإلا قد يخالف المشروعية لبيع المحظورات كالحاجة "نعناعة" ومن ثم خليفتها "سميراميس"...إلخ فالفراغ والرتابة بررت ملامح بعض الشخوص الشاحبة من سأم الحياة فيها فلا شيء يشغلون به أنفسهم سوى الترصد ورمي الوقت بسهم صخب المقهى وعشوائيتها.

فقد كانت القرية في المدونة رمزا وتقليصا للوطن رغم التخلف النسبي إلا أنها حددت المصير باعتبارها صيرورة تاريخية انطبق عليها العنف الحاصل،وكان كل شخص يعيشها يرمز إلى نمط الحياة فيها،فضبابية بعض الأسماء، و التنابز بها توحيان إلى نوع من التشكيك في صرامة الحياة في القرية وإلى القرف الوجودي،كتلقيب عمي صالح لمنصور بابن الكلب، وتسمية أحد الفتيان بابن الهجالة،وآخر بباباي كي جي وأحدهم بعين الكلب..الخ كلها تسميات تحيل إلى أن الأخلاق قد كانت ذميمة وهذا ما رفضه منصور أعقل المجانين،واشمأز منه لينعت سكانها بالأشباح الغرباء البعيدين عن جنسه وأخلاقه، يظهرون على هيئات الآدميين لكن نواياهم حقيرة وكل هذا كاف ليخاف منهم، ويستبعد فكرة العيش بينهم"**الشارع يمتد موحشا قفرا..فيه أشباح من مختلف الأشكال والأحجام تتحرك لكنها جليدية باهتة مما اعتراها من بخار الصقيع الأشهب...الأشباح تندفع نحو الأمام كأنها مضطرة مكرهة،أو كأنها تتحرك بالإيعاز..أحس بالتعب..بل أحس بالقرف..،لا بل أحس بالقرف وسط هذه الأشباح"**[2] أن يحس بالخوف والقرف ليس باليسير عليه فهو غريب بين أهله وإن كان معظم أقربائه يقيمون في المدينة،يرى الناس أشباحا والشبح كما يعرف لغويا هو ظل الشيء،فلا كيان ولا جسد لهؤلاء ولا ظلّ لهم هم بلا هوية مكرهون مضطرون للتنفس والانقياد.

[1] الشريف حبيلة،الرواية والعنف، ص 49.

[2] الرواية،ج1،ص 77.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعندما يهدأ اغتراب منصور وينبسط نوعا ما يستشعر دفء القرية ويراها أضواء وأنوارا متلألئة تحت رحمة الشتاء البارد"**وكان الجو شاعريا بشكل لا يوصف...وعلى إسفلت الطريق تنكسر الأضواء وتنعكس بألوان أخرى...وكانت عل أبصار الناس غشاوة**"[1] وما زاد من بؤس اغتراب منصور هو ضياعه وتيهانه الدائم، هائم على وجهه دائما، متشرد بلا مال يسكن المقهى نهارا، ويجول الشوارع ليلا رغم هواء الذعر الذي يتنفسه فلا أمن ولا أمان في القرية قد يثور أصحاب الجبل لينعموا على أهلها ببعض الاغتيالات أو النهب المتبوع بالاغتصاب و لم لا؟ فنلفيه في كل مكان إلى حيث اللاّمكان"**ورغم أن الناس يتحدثون أنهم صاروا يجدونه في كل مكان،فإنه ما عاد يجد نفسه في أي مكان**"[2] لا أصدقاء يزور منازلهم أو أقاربا يأوي إلى حميمية سهراتهم،أو زوجة يرتمي بين دفء أحضانها يشكو إليها غربته وعناءه مع الدنيا "**فما أحوجه إلى زوجة لطيفة تفزع لفزعه،وتضطرب لاضطرابه وتحزن،وتسأله متلهفة:ما بك يا حبيبي؟**."[3]آه الحب شعور بعيد بآلاف الأميال عن منصور-اغتراب وجداني- ليس لأنه مجرد من العواطف أو غير رومانسي يعي الهدوء والنقاء والوجدان،وإنما لاتساع الهوة بينه وبين القرية بما فيها من أناس ومرافق قد تغرس فيه روح الحب ولو بمثقال حبة خردل.

فإما أن يجول منصور إلى اللاّوجهة "**فلم يعد وجهه بالذي يتفقد إن غاب،ولا بالذي يلاحظ ما يتركه من فراغ حين ينسحب من حياة القرية،التي تضطرب في تكرار ممل رتيب وليست حياته بالتي تنقص أو تزيد عن حياة القرية في الرتابة والملل**"[4]وإما أن يظل عاكفا على القراءة والكتابة رفقة كلبه المتنقل بين المطبخ وغرفته،وإن غادر منصور بيته،ففي الغالب يختار عمي صالح كعادته ليقتل معه الوقت النفيس سيما وأن صاحب المقهى قد شرع يدق أبواب البرزخ يتوكأ

[1] الرواية،ج2،ص 278.
[2] المصدر نفسه، ص 310.
[3] المصدر نفسه ، ص 311.
[4] الرواية ج1،ص 167.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على عصاه،يقسو على منصور تارة(يا ابن الكلب) ويعطف عليه تارة أخري بدسّ بعض الدراهم في جيبه،هو الوحيد إذن الذي تناسى منصور غربته في قريته وإياه رغم الكثيرين الحاقدين أو المحبين القلائل فصارت القرية غريبة عنه بأهلها وهياكلها وصلت هي ومنصور إلى مرحلة الاحتدام والتقنين لجدلية فارغة صمّاء فأضحت في غربته"**مجموعة من الممارسات والعلاقات الإنسانية التي تزلق أحيانا إلى حد الصراعات العنيفة والصدامات اللاّإنسانية الحادة**"[1] وهذا ينطبق على ثنائية ضدية مثّل الشق الأول فيها مكمن الجزء وهو البطل والثاني الكل وهي القرية:

الجزء جدلية الأنا و المجتمع الكل

(منصور) تنافر كلي (القرية/الدولة)

1-3 إيحـــــاءات المقهى:

أشرنا سابقا إلى أن المكان وسيلة من وسائل التعريف بالطابع الأثنوغرافي لأي منطقة كونه يتضمن أبعادا اجتماعية من شأنها أن تعكس عادات وأعراف القاطنين بها، ولعل المقهى من أبرز الأمكنة المحيلة للطابع الشعبي المميز لأي منطقة،وهي من أماكن المواعيد البينية كونها تجمع كفضاء رحب شخصيات غريبة عن بعضها،يتوافد إليها الأغنياء وسوَقةُ الناس لتزجية الوقت والترفيه عن النفس التي قد همشها التاريخ أو غربتها الحياة، وهذا ما حدث لمنصور الذي مافتئ يجد فرصة الكرف وادخار ما مكنته منه أذنه أو عينه للوصول إلى أسرار وخبايا أهل القرية وذلك عن طريق حلوقهم الفاضحة، فحرص أيما حرص على التردد إلى مكان المعاينة هذا-المقهى-وجعله"**كرسيّا لتأمل الشارع وهناك من يرى أنها من الأمكنة التي تمتلك خصوصيات تجعلها مادة مهمة في**

[1] شوقي بدر يوسف،الرواية والروائيون، ص 208.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرواية بشكل عام"[1] فيهجس منصور على غرار سكان القرية بالمكوث بمقهى عمي صالح المكتظة طول النهار لقربها من محطة المسافرين ودار البريد ومصالح حكومية فموقعها استراتيجي ومناسب لطموحات منصور المستقبلية في الترصد لذوي "**الوجوه المنتفخة،والوجوه الشاحبة الصفراء،والوجوه التي ما عادت تعكس شيئا ذا معنى خاصة بعد أن قرر الرئيس اعتماد التعددية الحزبية**"[2] هذا التصنيف من قبل السارد يوحي بترعته العازلة،حيث نزه منصور عن هذا الوصف تماما وكأنه ذو وجه خاص أو انتماء معين؟..

وبفضل سلاسة السرد في الرواية لواقعيتها، ارتأت تقديم التفاصيل اليومية لتحركات البطل وأهم الأماكن التي يقصدها ومن بينها المقهى لا ليختلط بباقي الناس الذين يضاهونه لكونهم عاطلين عن العمل لم يجدوا ما يفعلونه غير القذف والاغتياب وتناقل الأباطيل والتجسس أو التأطير لدسائسهم البغيضة فآلت المقهى إلى"**مكان انتقال خصوصي وتقوم بتأطير لحظات العطالة والممارسة المشبوهة التي تنغمس فيها الشخصيات الروائية كلما وجدت نفسها على هامش الحياة الاجتماعية الهادرة**" [3]وقد تجاوزت المقهى في الرواية ومع غربة البطل تحديدا مجرد كونها ميدانا لشرب القهوة أو التدخين أو الجلوس إلى طاولات النرد والضّامة على عادة العامة من الجزائريين،واغتربت هي الأخرى عن طابعها السلبي ومشاعيتها لغرض تصريف فترات الفراغ إلى"**نسق مرجعي ذا دلالة وخطاب رمزي وأيديولوجي،أو مسرح للثنائيات و التقاطبات التي تختلق التوتر الاعتيادي**"[4] وتمرير هذه الخطابات الرمزية بآنيتها كان بعد أن تهاطل السكان إلى المقهى بغية الاستماع إلى الشريط المتضمن للتسجيل الحيواني الذي قام به منصور وأرسل من خلال صياح الديك المسجل وصوت الدجاجة، ونبيب التيوس ونعيق الغربان ونباح الكلاب رموزا

---

[1] صالح إبراهيم،الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط1،2003م،ص 32.

[2] الرواية،ج1،ص77.

[3] حسن بحراوي،بنية الشكل الروائي، ص 91.

[4] المرجع نفسه، ص 95.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ودلالات لا يفهمها إلا المترهون "**فلا تلم بالمقهى إلا رأيت الناس يشربون قهوتهم على صوت الدجاجة الواهن الضعيف أو النباح الحاد الغليظ..بل إنهم اندمجوا مع الشريط كليا**"[1] فأحيلت المقهى إلى حيز يكرس اغترابات البطل وبمختلف أنماطها من اجتماعية وسياسية،ودينية،وأيديولوجية،وعبّرت عن استنكاره لغيره بالاستهزاء منهم،وتبرمه من زيفهم ونفاقهم،ولنا من التأويل ما يكفي لكشف ظلال وفكّ شيفرات هذا الشريط في فصلنا الأخير في عنصر تقويض الأنساق.

إذن يلجأ منصور إلى المقهى لا للتنفيس أو الترويح، وإنما لغاية في نفسه وهذا الاندماج المصطنع قد جسد حقيقة اغترابه عن الحياة واضطراره إلى المعايشة رغم يقينه بصخبها وعشوائيتها"**وماذا عساه يجد في المقهى غير أطفال يأخذون عن الكبار خوارم المروءة،ويتعلمون عنهم نواقض الرجولة؟**"[2]كلها أجناس تدفعه إلى التّناسي،تناسي الوجود في مسرح يفوح بروائح النفاق المستشرية،فليس أمامه إلا حل فرض الاختلاط لإتقان الدور ولكرف المزيد من المعاصي وتعليق مخازيهم على مشجب الهزيمة النكراء"**يدخل المقهى دون أن يحي أحدا،فهو صار يكرههم لأنهم تخلوا عنه في وقت الشدة، وهم كذلك لم يحيوه، لأنه مجنون، ولأنه متهم ومشبوه**"[3] وهذا الاتهام جعل منه مجرما خطيرا في نظر أهل القرية، مما أدى إلى توسيع الهوة وشق السبيل أمام فكرة الاندماج معهم،فلا خيار أمامه سوى الاغتراب وفقط.

وهناك مقهى أخرى ذكرها الراوي لنا ولكنها من نوع خاص بعثت هي الأخرى في نفس منصور الاشمئزاز والشعور بالخيبة الوجودية لانحلال الأخلاق وتعفن نورانية الشباب في مستنقع ساد ليسوّد الحياة الملائكية البيضاء"**مرّ بمقهى موصولة بـــ"البارابول"،فرأى أمامها حركة غير عادية،شباب واقفون وعلى أكتافهم كراسي..فتذكر أن هذه الفوضى لا تكون إلا عندما**

[1] الرواية،ج1، ص 184.
[2] الرواية،ج1، ص 126.
[3] المصدر نفسه ،ص229.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعرض القنوات الفرنسية فيلما إباحيا..ولا تستغربنّ إذا رأيت الآباء والأبناء والإخوان يتفرجون على مشاهد واحدة ولقطات واحدة"[1] يتحسر منصور بعد مروره على هذا النوع من المقاهي ربما لأنها هي عصرية تمثل الزمن الراهن والراهن المتزامن مع الذهنية الحالية،أو يأسف لانضمام الفئات المنحلة منها(الشباب) والمتدينة(الإخوة) إلى هذا المرتع الذي صبغ بالتوابل المؤدية إلى الخسارة بكل ما في الكلمة من معنى.

1-4 المدينة والبـــــحر:

لأن المواقف الاغترابية قد قلّت في هذين الفضاءين ارتأينا جمعهما تحت عنوان واحد والقرية كفضاء مفتوح في الرواية تفتقر إلى البحر، أما المدينة فقد كان لها الحظ في احتضان اغتراب منصور عن قريته بذراعي البحر الموجود فيها، و لم تغير زياراته المتباعدة إلى المدينة المجاورة لقريته من طباعه، فكان يقصدها لزيارة والدته وإلا عمه، أو بعض من أصدقائه لجلب المزيد من الكتب القديمة القيّمة بغية المطالعة.أما عن المدينة فبمجرد سماع هذه الكلمة نستحضر التحضر والتنوع الثقافي،بالإضافة إلى سمة الجمالية بفعل"**ما نسميه بنيانا مدنيا وحضاريا،وما نسميه حداثة تخص التعبير والفكر والكتابة والإبداع والقيم**"[2]وبعد تتبعنا لحياة منصور داخل القرية ألفيناها مضطربة لانتشار الفساد والزيف فاضطر في كثير من الأحيان إلى الاغتراب عنها نحو المدينة بغية الهروب من سخافة القرية المغمورة بالمزالق المنسوجة من أديم متعفن بجراثيم التخلف والتناقض المسبوك سبكا موافقا للذّل الحقيقي والدّفين لديهم. وكان يجد في المدينة الملاذ المنسي لغربته ولوحشته بحنينه إلى حضن أمه قبل وفاته بعد عودته من رحلته المجهولة والحنين في حد ذاته نوع ولون من ألوان الاغتراب لانفصاله عن واقعه وزمنه في القرية، فيتوق للسفر إلى والدته(اغتراب جغرافي)"**أما هو فقد كان في المدينة حقا..فقد أنعش قلبه بحديث أمه الذي صار يميل إلى الحديث الفارغ،و**

[1] المصدر نفسه،ص 135.

[2] الشريف حبيلة،الرواية والعنف ،ص 58.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسح عن عينيه غبار الأيام بمرأى وجهها اللطيف"[1].وفي القرية حي جديد حاول أن يضاهي المدينة من حيث المنشآت إلا أن منصورا يراه مرتعا آخر لذوي القلوب الميتة وأصحاب الضمائر الراكدة فيتساءل بنغمة ساخرة عن مدى انسجام هؤلاء مع الخراب المادي الحاصل بعد تآكل البنايات والأخلاق وإن سلك طريق هذا الحي فالملاحظ عليه"**كثرة الكراسي فيه،وكثرة الجالسين..الذين لا تفرق بينهم وبين أكياس القمامة مظهرا أو جوهرا..وجوه كساها النفاق صفرة شاحبة**"[2] ويالها من غربة يعيشها منصور كشفت عن حقد أكول ضاق به صدره، لدرجة أنه أصبح يرى سراب الناس مزبلة زلزلت كيانه، ودفعته عشرات المرّات بالتفكير في أن يتجرد من عباءته الحجازية وأن يحلق لحيته ليعرف كيف يفكرون عله يندمج معهم دون عناء. فقد كانت المدينة بالنسبة إليه"**كالنهر لا يمكن أن يدخلها مرتين، فكلما يدخلها يشعر أنه يوغل في المجهول، حيث يتلاشى ويصير صغيرا لا يثير اهتمام أحد..لهذا يموت في المدينة الإنسان..وتجد في المدينة كل شيء إلا الإنسان**"[3] وهنا يحيلنا إلى ضرب اغترابي هام والذي أتى به كارل ماركس، كما سبق وأن أشرنا تعجّ المدينة بصخب التطوّر الذي يمس كل المجالات وبخاصة الاقتصادية منها،حيث أن الإنسان قد آل إلى آلة وتشيّأ،حاله في ذلك حال الجماد الذي لا روح فيه وقد سبق وأن أحلنا إلى فكرة التشيؤ.

وما حبّب إليه المدينة أمران اثنان فقط،الأول يتمثل في أمه قبل أن تنتقل إلى رحمة ربها رغم تبرمه الواضح من زيارتها لكثرة إلحاحها على تزويجه في أقرب وقت ممكن،والثاني بعض من أصدقائه الذين لا يتحدثون إلا عن "الفيلا" و"الدوفيز" أو جمال البحر هذا الذي صار يزوره لعتابه قبل تمتيع ناظره بسحره.

[1] الرواية،ج1،ص 167.
[2] الرواية،ج2،ص 416.
[3] المصدر نفسه،ص 258.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي المدينة وجد فرصة التجول وحده على شاطئ البحر بعد أن قتلته الوحدة بكل وحشية ورمته حائرا يستنطق الأنس في كل مكان"**فحاول أن يجد سحر البحر الذي طالما تحدث عنه أهل الفن والشعراء...لم يجد في البحر غير هدير الموج المزعج ورائحة الطحالب..تفوه بصق على البحر..ماذا عساها أن تضيف بصقته إلى ملوحة البحر أو عفونة شواطئه؟..وماذا عساها أن تزيد في حجم البحر بصقته هو**"[1]ليحرج بهذا التصرف الجنوني أمه أمام العابرين على دارها لأنه لم يكتف بصبّ سخْفه على قريته فقط بل ألحقه بأهل المدينة أيضا.

وإذا كان البحر عادة مصدر الإلهام والراحة والرومانسية فإن منصورا ينظر إليه نظرة المعاتب للعاذل المسؤول عن جل الخرابات الحاصلة من حول البشر، يخاطبه بلغة الفضفضة التهكّمية ويجعله(البحر) شخصا قد آثر العيش بلا كرامة لذا يصب اغترابه فيه كالملح الذي لن يزيد من ملوحة البحر شيئا يعبر عن رفضه للحياة بتسويد شفافيته"**لا شيء في البحر يا غواة...فلا تُنطقوا صمته بما تشاءون..لا شيء في البحر فانصرفوا..إنه قطرة فيكم، وهباءة في فضائكم العميق..تأملوا أنفسكم قليلا وسوف تصابون بالجنون أو الدوار الأبدي**"[2]وقد اغترب البطل في البحر لأنه قد بات مرتعا للمنحرفين أو لمن يتناسون هموم دنياهم بشراب قد نهي عنه كذاك الفتى المخمور الذي صادفه منصور في البحر يشكو هجران محبوبته له،فدّنسوا بسكرهم إذن بريق رمال شاطئه الذهبي وصارت صورة الأمواج لوحة تذكره بصورة الساقطات تارة أو تثير في مخيلته صورا فاحشة غير طاهرة كيوم فقدت ذاكرته عذريتها واغتصبتها قسوة الأيام ومراراتها.فقد كان يلجأ للبحر للتضرّع والمناجاة للوضع المأزوم الذي لازمه،ولنفسيته التي لا تعرف سوى الانهيار والانقباض بسبب سخطه على طريقة عيش المحيطين به،صار لا يرى الجمال ولا يكترث لزرقة البحر وهدوئه واتساعه الذي يشرح الصدر ويريح البال،لا يرى فيه إلا الهيجان وما تحديه وكرهه له إلا تعبير عن منافاته لمنظور الآخرين حول جماله فلم يزر البحر لقهر اغترابه بل لتجسيم سأمه

[1] الرواية،ج1،ص 168.
[2] الرواية،ج2،ص 265.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من تحيّرات الحياة الواقعية فلم يعد الجمال مع منصور أحد"**الوسائل التي يستعيد فيها تناغمه مع العالم**"[1] بل زاد من حدة عزلته التي عُدّت بمثابة نبض الحياة لديه.

1-5 اغتراب السجن:

كان لتهوّرات منصور وجنونه المتدفّق الذي سقى به عقول أهل القرية علّه يحصد آذانا صاغية إلى حكمه النفيسة أن زادت من معاناته وشددت من عزلته الجنونية المحيرة للعقول"**فقد شرّق فشرِق وغرّب فاغترب،وحالف فخالف،وهاجر فهُجر،وآوى فنُبذ،ونصر وناصر فخُذل**"[2] عاش الظلمات في وضح النهار،قاسى ويلات تأنيب الضمير في محالك الليالي التي غُيّب فيها ضوء القمر لا لأنه غير موجود بل لأن اغترابه الشديد قد حتم عليه الحرمان من النور والعيش في سجن الحياة-الغرفة-المطوقة لكبريائه والمسعرة لعذاباته اللاّمنتهية.

وقد أودى به شريطه الحيواني حبيسا في السجن كمجرم سياسي ضرب سياسة البلاد في الأعماق مما جعل الطبقة السياسية تهتم بهذا الشريط اهتماما شديدا"**فجست به نبض الرأي العام جسا خبيثا خفيا..وقد حاولت أن تجعل منه خصما مشتركا..ولكنها طبقة سياسية منافقة**"[3]فلما استثار الدولة كان مصيره السجن الذي لا يغيب عنا بأنه"**مكان مغلق ضيق يتصف بالمحدودية، وإن ذلك سيزيد من التضييق على السجين**"[4] ومن المفترض أن إيحائية السجن تكمن في أنه نقيض لحرية الوجود، إلا أن العكس قد حدث مع المغترب الغريب الذي"**شعر بالزهو والفخر لأنه قد يصبح واحدا من هؤلاء**"[5] بخاصة بعد وصوله للغرفة التي لم يلف فيها سوى سوط كذنب

---

[1] مجاهد عبد المنعم مجاهد،جدل الجمال والاغتراب ،ص83.

[2] الرواية،ج2،ص 46.

[3] الرواية،ج1،ص ص (185-186).

[4] روزو ماري شاهين،قراءات متعددة للشخصية ،ص65.

[5] الرواية،ج1،ص195.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البقر، وصورة معلقة في الجدار للرئيس بمنظره البروتوكولي، تخوف قليلا ومن ثم أراح باله لأن هناك من سيؤازره في شدته غير المنتظرة لأنه على يقين بأن الحرية تزعج الدولة لا محالة.

وبعد جلده من طرف الدّركي لإجاباته المشفّرة والمستفزة أقر له منصور عن الباعث الرئيس لتسجيل الشريط مؤكّدا بذلك عمق اغترابه،وجسامة انسلاخه النفسي والفكري"**يا حضرات...تعرفني أعيش وحدي بلا أنيس،شعرت ذات مرة بغربة قاتلة،بفراغ فظيع يجتاحني،شعرت بمساحة مظلمة في قلبي تتحرك وتكبر،ملأتني بالوساوس والأشباح،فأردت أن أقاوم الخوف والوساوس فكان هذا الشريط**"[1] يجيب منصور بكل حنكة، ودهاء ويبرر اغترابه الأيديولوجي-باعتبار السجن شكلا من أشكال الأيديولوجيا-والسياسي والديني والاجتماعي بغربة اختارها وعيه فارتمت ذاته إلى مرارة حضنها فعلّل مشاكسته للدولة بالعزلة القاهرة التي يعيشها.

ويقرّ منصور للرئيس-ونقصد الصورة-بنوع آخر من السجن،المضاهي للزنزانة التي وضع فيها في التضييق،إلا أن الأول مادي ملموس بجدرانه ومساحته المحدودة،أما الثاني فمعنوي ويقصد به حيطان المعايير الوهمية التي خنقت أنفاس حريته المتنافية مع الآخر(الناس،الدولة،شيخ المسجد) والذي تسبب في نفوره من السائد واغترابه الروحي"**أنا وأنت سجينان،أنا تحاصرني أربعة جدران،وبعض القوانين التي لا تشك أنت شخصيا في تفاهتها**"[2] اغبرّت حياته بزغب الحياة وتلطخت بطينها،وبقي يخاطب صورة الرئيس كالمغترب المجنون يدعوه حينا ويشكوه حينا آخر،ويسافر بخياله إلى مغامرات تمنّاها برفقة رئيسه،أسقط معها الرسميات رثاء لحاله ونعيا لحال الرؤساء أمثاله وتحيينا لاغتراب سياسي لا رجعة فيه. وما زاد من مقته لأهل القرية سخريتهم المتوقعة منه بتقليد أصوات الحيوانات التي قد اعتمد مشافرها ليشفّر الحياة في أعينهم من خلال

[1] الرواية،ج1،ص 199.

[2] المصدر نفسه ،ص 205.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تقويلها والبحث عن رمزيتها،فاستغرب أمر مجتمعه المنافق متسائلا"**أيّ مجتمع هذا الذي قلبه معك وسيفه عليك؟...يذبحك اليوم ويبكيك غدا**"[1].

إذن كان هذا البطل نموذجيا متفردا بالنزعة المثالية التي مكنته من تشييد عالم مأساوي خاص قوامه الاغتراب عن كل الموجودات سواء أكانت أفرادا أم مؤسسات،فاغترب في الزمن(العنف) مؤسسا زمنا خاصا به قعّدت له الكثافة السيكولوجية الخانقة لرغبته في الحياة الطوباوية،واستلب في الأمكنة التي استطاع أن يقوّضها ويقهرها بتحركاته الحسية وكذا الخيالية المجردة"**لأن الإنسان يستطيع أن يقهر المكان لا من خلال الحركة الحسية وحدها، بل من خلال الحركة الفكرية والخيالية التي تعد من أهم خصائصه وأكثرها تميزا**"[2] فمجرد العيش في حيز معين لا يعني مطلقا الاستقلال الفكري والتام عنه، والحضور مقتصر على الجانب الفيزيقي وفقط، بل للأخيلة الجامحة دورها في استنطاق المكامن الشعورية،والتي يمكن إسقاطها على هذا الجماد الذي يمكنه أن يحتوي اغتراب الشخصية الجذع وببساطة.

خامسا/ اغتراب اللغة ولغة الاغتراب:

باعتبار أن اللغة أهم مشكّل سردي يسمح بالربط بين باقي العناصر التي من شأنها أن تتوافق تارة أو تتناظر و تتقاطب تارة أخرى،ارتأينا إدراجها ضمن كل المتعلقات بالبنية السردية من شخصية وحدث وزمان ومكان. فلولاها لما انفعلت الشخصية وعبرت أو استشعرت فتأملت،ولما كان لها كيانها(الورقي)الخاص بها،وكذا الحال بالنسبة للزمن هذا الذي صار على مساس دائم معها باعتمادها كواسطة،فأضحت له بذلك قيمة فكرية وأخرى ما ورائية مثلما رأينا سابقا،وللغة فضل كذلك في استنطاق الوظائف الروحية للمكان والتي تنعكس على نفسية المقيمين به،ومهما بدت

[1] الرواية،ج1، ص 213.

[2] نبيلة إبراهيم،فن القص بين النظرية والتطبيق،دار قباء للطباعة،1986م،ص135.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللغة بسيطة في جزئياتها ومشكلاتها التعبيرية تبدو جزءا من شكل الحضور الإنساني وبالتالي فقد تجاوزت نفسها كنظام من الرموز الصوتية إلى ما هو أبعد من ذلك تماما.

ولأن اللغة مرآة واسعة للفكر الإنساني ابتعدت لخصائص عديدة فيها عن مجرد كونها شكلا تعبيريا ثابتا ومحدودا يصف الحقيقة فقط،بل تعدت ذلك إلى الانسلاخ عن نفسها ذلك"**لأن العقل يعمل من خلال اللغة فيفرض فئات وأشكالا منطقية على أشياء قد لا تكون متأصلة فيها**"[1] لأنها وكما هو معلوم لا تطابق العلامة الخارجية دائما وهذا ما مكنها من الاستحواذ على بعض الجوانب اللصيقة بالبعد الغير محسوس فتجاوزت بذلك فكرة اعتبارها مجرد"**نظام اجتماعي مهمتها الأولى الربط بين العمليات الإنسانية والعمليات الخارجية إلى احتوائها للإشعاعات الفكرية والعاطفية**"[2] فلا يمكن أن نجد قيما اجتماعية متجسدة بعيدا عن اللغة لأن الفضل راجع إلى خصائص هذه الأخيرة في إبراز التأزمات السياسية والاجتماعية وغيرهما.

ولأننا أمام رواية تعاني مشكلة الوجود والافتقار إلى مقومات معنى الحقيقة الإنسانية يمكننا التأسيس للاغتراب اللغوي انطلاقا من توصيف هيدغر للغة وكيفية تعالقها الشديد مع فكرة الوجود"**فهي الوجود،إذ لا وجود خارجها أو بدونها فهي الحقيقة الإنسانية القابلة للإدراك**"[3] والكينونة الإنسانية رهينة تجسد اللغة،وتحقيق الوجود (الفعلي) لا يتم إلا عن طريق هذا النسق(اللغة) لأننا لا نفكر إلا فيه وبفضل العناصر اللفظية المشكلة لبنيته،وإذا اعتبرنا نصنا الروائي متوسلا ومساويا وموازيا للغة ففي هذه الحالة يمكننا أن نبرز وبعملية إسقاطية كيف مارست هذه الـــرواية-على مستوى الخطاب-وظائفها السياسية والاجتماعية والأيديولوجية والسيكولوجية و لم

[1] مندلاو،الزمن والرواية، ص 172.

[2] نبيلة إبراهيم،نقد الرواية،من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة،مكتب غريب،القاهرة،مصر،دط،دت،ص23.

[3] محمد سالم محمد الأمين الطلبة،مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر،دراسة نظرية تطبيقية في سيمانطيقا السرد،مؤسسة الانتشار العربي،بيروت، لبنان،ط1،2008م،ص 16.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا؟..فامتلكت اللغة بذلك مشروعيةً منطلقها حالات استلابية قامعة؛وعبّرت عن الاغتراب بدءا من الشخصية(البطل) وصولا إلى مختلف أنماطه لأحقيتها في التكييف الواسع لهذه الأنواع فانبرت:

أ-**سلطة اللغة السياسية(الأيديولوجية).**

ب-**سلطة اللغة الاجتماعية.**

ج-**سلطة اللغة الدينية(الصّوفية).**

د-سلطة اللغة العجائبية.

وكل هذه السلطات كشفت بدورها عن الأساس اللغوي للذات-منصور- التي تسعى دوما إلى النفي والشك الأعظم والإنكار وكل ما من شأنه أن يضفي مسحة مغايرة على رتابة اللغة في الرواية فلا نجدها عادية من حيث بنيتها وتراكيبها بل مطواعة ومسايرة لكل ما يتواءم مع طبيعة السرد الفكرية والأيديولوجية والنفسية المتعددة لتعدد الأهواء والرؤى التي يتفاعل معها السارد والقارئ على حد سواء وإن كان معجم الغربة حاضرا؛بالتصريح بها لفظا"**بل إن الغربة هي كل ما يجعلك محددا ومميزا،ولا قدرة لك على التجانس مع الذين من حولك ،ولهذا يظل الغرباء أسئلة تتشاكس فيها الأجوبة،ويبقون علامات استفهام كعقدة حبل المشانق**"[1]وإلا بالتلميح إليها عن طريق المرادف،أو الرمز أو بجسر المنظور الأيديولوجي الذي يمكن سحبه على مختلف الأنحاء الاجتماعية والسياسية وغيرهما.

[1]الرواية،ج1،ص271.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- لغة القلق والتـــبرم:

تعرض لنا رواية الشخصية التي بين أيدينا تصرفات هذه الأخيرة والتي تعد نتاجا طبيعيا"**للتمزق الروحي الفظيع الذي تعيشه والذي يدفعها دائما...إلى رفض الحياة جملة وتفصيلا**"[1]وما هذا هذا الرفض إلا انفعال يوحي باغتراب شخصية البطل من جهة ويجسد الوظيفة المعروفة للغة ألا وهي الوظيفة الانفعالية من جهة أخرى"**فتمتزج فيها الدلالة بالانفعال الإنساني وتصبح بمثابة الوعاء الحامل لكل فكر الإنسان وعلمه وثقافته**"[2] وقد احتوت اللغة-كمكون سردي-كل تمزّقات منصور عبّرت عن فعله وانفعاله،وعن قلقه الشديد إزاء ما يجري في قريته من نفاق وانغماس في الرذيلة.وقد استطاع منصور أن يتفرد بلغة خاصة به،مكنته من الإفصاح عن كل ما يرهقه،ويدفعه إلى التذمر والتبرّم من واقعه المرير"**فعبرت عن خصوصيته تعبيرات مختلفة،باستعمال ضمير المتكلم، وصولا إلى وصف المشاعر والتعليقات الداخلية له**"[3] وتواردت وتوالدت الخواطر بعدها، وأصبح كلّم نفسه بنفسه ليعزيها على المآل الكئيب الذي جُرّت إليه دون رغبة منها فصارت تعيش الحسرة وقلق الوجود الذي صار لعبة سجع براقة تبهر فواصلها كل المحيطين وتستجلي روح الهجاء الدفين والنقد المبطن لدى المميزين أمثاله،وها هو يقر بأن"**الله-قد-خلق اللغة لنمارس بها لعبة السجع،وأن كل عنوان غير مسجوع لا ريب فيه**"[4]وقد اضطر منصور إلى التوسل بلغة منافقة ومزيفة، حتى يفهمها أهل قريته الذين صاروا لا يجيدون سوى لغة الكذب والتملص،فطابقت حقائق ذواتهم، وعكست تقلباتهم وتلوناتهم وتناقضاتهم الغريبة"**اللغة زيفتنا لأننا زيفناها،وخدعتنا لأننا خدعناها وألبستنا أقنعة الفصول الأربعة...ما اللغة إلاّكم فلم تكذبون..وكيف تصير اللغة بين أيديهم عجينا يتشكل في ما لا حدّ له من الصور**

---

[1] واسيني الأعرج،إتجاهات الرواية العربية في الجزائر،بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية،المؤسسة الوطنية للكتاب،دط،1986م،ص 437.

[2] يحي العبد الله،الاغتراب ،ص 207.

[3] سمر روحي الفيصل،الرواية العربية ،ص 230.

[4] الرواية،ج1،ص272.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأشكال،فيرى الكلمات وهي تنسلخ من معانيها معنى إثر معنى،كما تنسلخ الحيات من جلودها القديمة"[1]فلم تعد اللغة عندهم اعتباطية أو مألوفة تحمل في طياتها التعابير الألفاظ النبيلة والكلمات المستعذبة بل مسها الانحطاط هي الأخرى وباتت سلاحا للحرب ووسيلة لتنويم العقول وقتل روح اليقظة فيها.

فمنصور يؤكد-إذن-اغترابه عن كل مظاهر الحياة وحتى عن أداة التواصل الفعّالة بينه وبين الناس؛ألا وهي اللغة ليقينه التام بأنها قد صارت رمادا يهمد كي لا تحمله الريح"**وما العربية الفصحى لديه إلا اضرب عنقه يا غلام،اقطع لسانه يا غلام...أرقصي يا جارية"**[2]وبهذا نلمح نوعا آخر من الاغتراب؛ذاك المتعلق باللغة من جهة،كما نلفي أن اللغة مغتربة لأنها قد تجردت من حقيقتها وسارت زائفة وغير أصيلة تراكيبها قاهرة مقهورة،وكلماتها ميتة لموت القلوب وجافة لجفاف العقول،لو أن هذه الأخيرة مثقفة ونيّرة لاستغلت هذا النسق لصالح خدمة السلم والأمن في البلاد لا لحملها شعارا للخداع مثلما يفعل سلفية القرية،أو الإمام الذي صار يحلل الحرام ويحرم ما أحل الله،وحتى التنابز بالألقاب الذي عكس ذهنية الناس المتخلفة،والمخالفة لأحكام الدين"**كي جي باباي،ابن الهجالة،ابن الكلب،عين الكلب**"وها هو منصور يعبر عن قلقه ومله الذي لا أمل في التخلص منه،لّما مس القرية بمن فيها من أفراد وما عليها من مؤسسات"**إنه يقرأ كثيرا ويريد أن يعرف كل شيء ويقلقه جدا أن الأمور لا تمضي كما يجد مسطورا في الكتب،يريد من الناس أن يفعلوا ما يقولون،وأن يقولوا ما يفعلون"**[3]فقد أرهقه القلق الذي قاده بسلاسل الخوف والاضطهاد،إلى الانسلاخ المضاد،وإنكار عالم الحياة بطيّ لعبتها،ومثلما غير هؤلاء البشر أفكارهم ورؤاهم كالقطيع الذي عليه أن يكون وللأسف إمعة،غيروا لغتهم المتداولة كذلك.

---

[1] الرواية،ج1،ص ص(11،104)

[2] المصدر نفسه،ص149.

[3] الرواية،ج1،ص35.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتكلم مغتربنا كعادته بلغة اللاّئم ونبرة الرافض لما هو سائد،لأن اغترابه وفردانيته دفعانه إلى التكلم دائما بلغة الأنا هذه الأخيرة باتت لغزا يحيّر ذاتها ومن ثم عالمها الخارجي(القرية) تستهوي العيش بالغضب وفيه،وفي شلال الدماء الذي أسالته سنوات الأزمة،كما تستلذ التواجد بفضاء المأساة،فضاءٌ تعفنت فيه كل أشواقها؛ذات البطل قلقة إذن وقلقها يكمن في جمعها لخرائب مجتمعها،آلت إلى لامنتمية مستعرضة لتاريخ الأحزان،وذكريات الشقاء،عبر وجه أبيها المغادر للحياة ووجوه سكان القرية المتفسخة،والتي ازداد تفسخها استفحالا بعدما تزلزلت ظروف المجتمع السياسية(تعدد الأحزاب) والاجتماعية(الانحراف والنفاق)والدينية(التجاوز والزيف)وغيرها.فيصف وبلغة منهارة وأخرى محتارة،كلها انفعال وتعبير عن قسوة المعاناة وبؤرة الاغتراب بسبب الوحدة **"في كل يوم أشعر أن داخلي ينهار نافذة إثر باب،بعد مئذنة وجدار،فأنا الآن خرائب وأطلال،تأوي إليها الفئران والحرادين،وتردد عليها الغربان مالها تشاؤمها وعلى جدرانها المتهاوية ترثي اليوم أهلها الراحلين كلما جن الظلام"**[1]...وأي وصف هذا الذي يؤكد لنا جسامة اغترابه المبطن(الفكري/النفسي) والظاهر(العزلة/الجنون) ينعت نفسه بالمزبلة وبمجمّع الحيوانات العفنة التي تشمئز منها النفوس؛إنه قرف الحياة المرهق وتشظي الزمن الهائر،وشلل الضمير لا لشيء سوى لأنه مثقف كرّس بمثاليته تمزق قريته العليلة ليغير أو ليطوي بانسلاخه لعبة الحياة القاسية.

وبفضل اللجوء إلى تقنية الوصف أكسب هذه اللغة الطابع الحزين،وزاد من حدة الاغتراب فيها،كما ميز أسلوب الرواية بالرغم من رتابة المواقف السردية الجلي،إلا أن حضور اللغة الشعرية ذات الملامح الفنّية الساحرة جعلت للجانب السيكولوجي حظّه هو الآخر في الحضور وبقوة،كيف لا وأن الوصف"**كإجراء أسلوبي يسعى إلى تأنيق النسيج اللغوي،فتنهض اللغة فيه بوظيفة جمالية،يتلاشى معها كل شيء خارج حدود اللغة**"[2]فأبدع الكاتب في روايته النفسية بالولوج إلى

[1] الرواية،ج1،ص164.

[2] عبد الملك مرتاض،في نظرية الرواية ،ص245.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عالم التجريب والخروج عن قانون السرد المألوف،وبالتوسل أيضا باللغة الشعرية الموحية أكثر منها في السردية،فاغتربت اللغة-السردية-عن نفسها،ودفعها القلق وكذا التبرم إلى الانسلاخ عن طبيعتها المألوفة،لإبراز جدلية هذا البطل مع واقعه المأزوم"**فاستعار الكاتب من الشعر غائية اللغة ووظفها في نصه،فبرزت قدرته على اختيار الألفاظ الشعرية المعبرة والموحية إلى تجسد معاناة الشخصية في غربتها وفي مواجهتها لذاتها**"[1]فالاغتراب عن لغة السرد في بعض المواضع كفيل بإبراز الوظيفة الانفعالية للغة؛باعتبارها مادة هذا العمل الروائي وبوساطتها تم استجلاء سمفونية العبث ذات النغمة الحزينة والتي تبرزها الشاعرية الواضحة والمستثيرة للنفوس الغافلة عن حقيقة مأساة سجلت نفسها وبقوة،بزمنها الصامت والذي تسبب بدوره في تشظي اللغة السردية وانشطارها إلى مقاطع شعرية اغترابية:

أتمنى-مثل كل الناس-أنني ذو جناح

فأباري في السّما هوج الرياح

وأجر الشمس من حذر الشروق العذب، من خلف الوشاح

مستريحا بين غيمات البخور

وسيوف مغمدات ونحور وصدور[2]

فتجسد القلق والأسف والتصدع الذاتي الذي يكابده منصور فانبرت لغته حزينة وتائهة لتيهان فكره الذي لوثته لعبة الحياة الخائنة،ولم يجد أمامه إلا أن يؤثر العيش بملامح شاحبة تقاذفتها تقاطبات قاهرة لحريته،ولوجوده هو و غيره من الناس الغافلين عن كنه وحقيقة الخراب الباهت

[1] مها حسن يوسف القصراوي،النص الأدبي بين مصطلحي التداخل والتراسل،رواية"براري الحمى"لإبراهيم نصر الله نموذجا،مجلة الجامعة الإسلامية،مج18، ع2،جوان 2010م،ص1024.

[2] الرواية، ج1،ص166.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمريب(**كالقهر/الحرية،الوجود/التشيؤ،الحياة/الموت**)كلها تقابلات أغرقته في بحارها العميقة،فلا يعرف إلا التوتر والهلوسة(الجنون)واللوم واللعنات،والكرف،والعزلة،والحقد)إلى غير ذلك من الصفات التي أيقن في الأخير بأنها نعمة للراحة والهداية،وهذا إقرار من الأستاذ"**حمدان**"الرجل المثقف بعد إنصاته إلى "**سمفونية العبث**"[1]بأن الجنون كنز وميراث لتحصين النفس،وهدايتها في حياة مثقلة بالذئاب البشرية الليلية(أصحاب الجبل)منها والنهارية(أصحاب السهل)يعلق حمدان بنبرة استفزازية مخاطبا الجالسين بالمقهى"**هل رأيتم نعمة الجنون؟..هل رأيتم كيف يهب الروائع التي يبخل بها العقل؟...من منكم يستطيع أن يتبين الشعرة الفاصلة بينهما؟أرأيتم كم يضل العقل وكم يهدي الجنون؟**"[2]ونعته بالمجنون والزّنديق أو الدّرويش ليس بالمهم بالنسبة إليه،لأن عزلته علّمته بأن لكل فرد فرصة التأسيس لكوكب خاص،تصب فيه كل الترسبات التي قد جمعتها بفضل دقائق الأيام الكئيبة،وساعات الأشهر العليلة وتوالت السنوات الدامية،إلا أنه لا يلفي إلا الخطأ والانحراف فقط،فالحياة عارية،وجافة وليس أمامه إلا بلسم الحسرة والقلق الشافيين من قلق أكبر وهو تاريخ الزّيف الذي خيّم على قريته وبلده"**فمن جديد يتدفق هواه وقلقه في الشارع حيث لا جديد،سوى الفوضى...الناس يلهثون دون سمع أو لسان أو عيون**"[3]وبلغة الضياع نطق،وبحروف القلق استنطق وبنقاط السؤم انعتق، فلم يجد إلا حل اللانتماء ليجيب عن سؤال شوارد أفكاره التي خافت من التصدي لنيران النفاق،حيث لا سبيل إلا الهروب من ساحة الحياة وتحقيق ذاته المضطهدة،هذا التوتر أفضى به إلى الاغتراب عن الناس،وإن خالطهم فلكي يبتزهم أو يستدرجهم إلى ما يريده بأسلوب تهكمي وساخر...

---

[1]والمقصود بها التسجيل الحيواني الرامز الذي قام به منصور،مسقطا فيه تطلعاته المتباينة من خلال أصوات بعض الحيوانات (نعيق،نبيب،صياح)فعبر عن تبرمه بمألوف الحياة واختناقه منها.

[2]المصدر نفسه، ص178.

[3]الرواية،ج1،ص233.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- اللغة الاستعارية السّـــاخرة:

إن رواية كراف الخطايا ذات طبيعة جدلية،وهذه الأخيرة قائمة بين جوهر البطل الإشكالي المثالي(منصور) صاحب القيم والمبادئ السامية والدفينة وبين العالم الخارجي المتمثل في الناس(الإمام،أصحاب الجبل،سلفية القرية،أصحاب السهل) وكذا المؤسسات السياسية والاجتماعية بوجه عام، ولأنها رواية نفسية كما سبق وأن أشرنا اهتمت بتحليل كل المتعلقات بجوانب حياة منصور ذي الوعي المتحرر من قيود الواقع واللاّمنتمي فقام الكاتب وبعد التوسل بالسخرية"**بتجاوز وعي–بطله–و هذه المجاوزة(السخرية) ينشأ عنها الإبداع القصصي من الناحية الجمالية**"[1] واللّجوء إلى الأسلوب التهكمي يسنح بإضفاء الجمالية السردية من جهة وبالتغلغل في أعماق الذّات المضطهدة التي صارت ترى العالم مجرد مزحة كاذبة دنّست عفتها أيدي المزيّفين والبائسين تحت مظلة الخضوع والتفسخ المسلي ولا يتم ذلك إلا بلغة البوح والاعتراف المفجّرة للمنظور الأيديولوجي المكبوت.

والسّخرية"**عنصر معادل لفظيا وإيقاعيا لفراغ العالم،وفقدان كل شيء فيه داخل ذهن وشعور وحس وفعل الشخصية**"[2]فانطلاقتنا مضللة نوعا ما لما يراد من التهكم في الرواية المختارة،لذا ربطناها وكرأي دافع للتعريف بالرأي السابق بإنكار الوجود،وغرابة فراغه الكئيب أضحت وعاء لمختلف التناقضات الفكرية والأيديولوجية التي يحملها منصور،والرواية هي الأخرى محفوفة بلغة السخرية الرامزة المتعددة"**في بنيتها تجعل الكلام المولد عنها يمتلك معاني متعددة وهي لغة تحتوي الكثير من الشكوك**"[3]وهي لغة ناقدة مرتكزة في بنيتها إلى مبدأ المفارقة والذي ينصّ على"**أن تتعمد أن تقول شيئا وتعني شيئا آخر كلية،وعندما تثبت حقيقة ثم لا تلبث أن**

---

[1] تودوروف كنت بينيت كلر وآخرون،القصة الرواية المؤلف،دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة،تر:خيري دومة،دار شرقيات للنشر والتوزيع،ط1،1997م،ص111.

[2] بدري عثمان،بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط1،1986م،ص24

[3] منذر عياشي،نقد وحقيقة رولان بارت،مركز النّماء الحضاري،سوريا،ط1،1994م،ص88.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تلغيها"[1]فتطلّع الكاتب-عبر بطله-من خلال تصويره الساخر إلى قوقعة مشاغل الفرد الجزائري وتغليف البواطن الدفينة بأسلوب غير مباشر وأثري سما بالبلاغة حتى يبلغها وليزيل الطلاسم المتدافعة على أذهان المنكوبين فكريا وسياسيا ودينيا...إلخ.

أمّا اللجوء إلى اللغة الاستعارية"**فيسمح للمحكي النفسي بأن ينقل وقائع نفسية لا يمكن لأشكال سردية أخرى أن تترجمها بطريقة مقنعة**"[2] إذ عّمق الأسوب الساخر بذلك من معاناة منصور النفسية، وجعل اغترابه هادفا وذو معنى يستسيغ به لحظات رائعات جعلت وللأسف الأهداف بعيدة والسبل معوجّة، وتتجلى نزعته الساخرة من خلال مسامراته الليلية مع إبليس وكذا الفردة والكلب،إلا أنه قد خاطبهم بما يثير ضحكنا وإعجابنا للتنويه ببراعته في التحقير المصرح به لبعض الأحزاب السياسية أو الأئمة، وكذا الجهاديين الذين يدعون الدين ويتقنعون بالعباءات الحجازية واللحى وهو غير بعيد عن مسلكهم هذا في الحياة"**لأن هذه اللحية والعباءة قناع اقتضته المرحلة،ومن المؤكد أنه سوف يتخلى عنهما عندما تهب رياح أخرى،مازال يحب التسلي باللغة،وما يحدثه من تقديم وتأخير في كلماتها من دلالات وأشباه دلالات...العالم كله يتسلى باللغة**..."[3]ويجدون المكان بجوار البطل الذي نعت نفسه بشيء مجرد وهو رقم الصفر،أما هم فيتنافسون على مجاورته لأنه وبعد عودته وغربته التي دامت عشر سنوات ظن هؤلاء بأنه قد تقلّد أحد المناصب العالية فلقب بالحضرات رجل المخابرات المتمرس كيف لا"**وعشر سنوات من الغربة والاغتراب كفيلة بأن تغير الناس في العمق**"[4] فها هو يتحسر ويهزء بالوضع اللامنطقي السخيف الذي آل إليه هو وقريته"**إيه يا كلبي العزيز...إنني كالصفر في هذه القرية،ولهذا تراهم جميعا يحاولون أن يأخذوا مواقعهم على يساري،إنني دائما أزيد في قيمتهم،فإذا أنا جالست**

[1] محمد سالم الطلبة،مستويات اللغة في السرد العربي،مرجع سابق،ص150.

[2] حسن المودن،الرواية والتحليل النصي ،ص 152.

[3] الرواية،ج2،ص420.

[4] الرواية،ج2 ،ص69.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أصحاب اللحى استشعارا لدفء إيمان...شعروا أنهم مهمون وأنهم مستهدفون"[1]تتجلى سخريته من الحياة في فراغ العالم من حوله ومن البشر بحصرهم في رموز مجرّدة (أرقام) وأي تحقير هذا فاللغة تبدو عادية مباشرة إلا أن ظلالها تستدعي التمعّن أكثر لتبيان قدرتها الاستعارية والقادرة على تجاوز تقريريتها إلى ما هو أعمق لعمق نفسية منصور،ولتشعب خيالاته الجامحة والبعيدة بجلّ أبعادها.

فتوسل الراوي باللغة الساخرة والطريفة غير المباشرة لرسم لوحة الاغتراب الباهتة بريشة الرموز المشعّة فكريا وأيديولوجيا باعتماد اللّغة الفرنسية مثلا"g.i.a-u.g.t.a-f.i.s-p.p.a-b.t.r-ais-f.l.n"أو في قوله: oh mort !vieux capitaine !il est temps !levons l'ancre أو في قوله" couche bébé وكلمة clochard"الدالة على التّذاوت الموجود في الرواية فتماهت الذات الجزائرية في ذات الآخر(الفرنسي) بفعل العامل التاريخي الاستعماري والذي خلف كما نعلم تشتتا لغويا واغترابا ثقافيا،لدى الفرد الجزائري ومنصور يمثل انسلاخهم عن لغة المنشأ والأصل بهذا التلاعب اللغوي الواضح بتداول كلمات وأشعار فرنسية في أحاديثه كما نلفي بعض الأسماء الطريفة"عين الكلب،"ابن الهجالة"،"سميراميس"،"بولحواجب"،وزوجة عمه "شهبونة"،العجوز القوّاد"أو بأسلوب هزلي راجع لخفة روح منصور وطرافته"**فبدا كالبهلوان الذي صار تخونه مفاصله،فما عاد يضحك أحدا:أوغْ..أوغْ..يوغْ..يوغْ..فيغْ..ضيغْ..أوغْ..أوغْ"**[2] ولغتة الخربة هذه توحي إلى الخراب النفسي الذي يعانيه من جهة وإلى سخريته اللاذعة لسكان قريته،كما جعل الأشياء البسيطة الغيبية ذات حضور قوي للتعايش معه"إبليس(الوساوس) والفردة" هذه الأخيرة مبناها من اللغة العامية الجزائرية ويقصد بها فرد الحذاء عموما أما هو فيرمي بها إلى نعل الدركي وهاهو يصفها بتهكم واستقصاد صوفي واضح"**فرآها تأثرت لحال الحلاج في حضر شيخه،رآها قد انكمشت وعلى تجاعيد جلدها رأى مسحة من وقار...فكم ركلت وكم**

[1]الرواية،ج2 ،ص185.

[2]المصدرنفسه ،ص338.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رفست،وكم حطمت وكم داست وكم أخرست من شفاه وكم أطفأت من عيون،وكم شوهت من قامات وأركعت من هامات،وأزهقت من أرواح..."[1]إذن العبارات مصبوغة بدهن الهزل الهادف الذي لم يرد عرضا وبلا معنى بغية الترفيه السردي فقط أو توليدا للسخرية وإنما ليعكس المظاهر الاغترابية للبطل على حد تعبير بول ريكور"**نحن نمتلك لغة مباشرة نقول فيها الغرض والدافع،لكننا نتكلم بوساطة المجازات والاستعارات مثل الاغتراب والضلال والعبء والعبودية**"[2] فالمقصود باللغة الاستعارية السّاخرة إذن تلك التي يلجأ إليها السارد(عندما أقسم هو الآخر ببولة الشيطان أثناء تعليقه على البطل) أو البطل للتعبير عن مضمرات وأفكار دفينة ولكن بأسلوب غير مباشر هو الآخر مبطّن المعالم.فتباينت التمظهرات السياسية"**وكان يتأبط قطعة خبز في الجاهلية الأخيرة...وشهادة الانتماء إلى الحزب وشهادة الاستقالة من الحزب،وشهادة البعث غدا يوم القيامة؟**"[3]وكذا الدينية بقيم وتعاليم معارضة لمبادئ الدين في قوله"**وديننا تفييس وشعرنا تنفيس**"[4] وأخيرا وليس آخرا الاجتماعية فنلفي عمّ منصور يحدثه بنبرة هي الأخرى ساخرة عمقت من اغتراب ابن الأخ عن عائلة أبيه لتتأكد عزلته الأبدية ولأمداء بعيدة فيهزأ قائلا"**عمتك شهبونة لا تشرب إلا"سيفن آب"أما أنا فمشروبي المفضل هو"كوكا"،أما ابن عمك فلا يشرب إلا البيبسي أما ابنة عنك فمشروبها الوحيد هو ميرندا حتى أنها سمت كلبها الصغير ميرندا**"[5] فكثيرة هي الإيحاءات الأسلوبية التهكمية التي تضمنتها لغة الرواية والتي مرّرت عبرها مختلف الإيحاءات الاغترابية التنكيتية تارة والموغلة في كنه الملحمة البطولية التي يعيشها منصور مع عالمه المفتقر لأدنى التداعيات المستقبلية التي من شأنها أن تريح الماضي العليل.وقد عرفت رواية التسعينات بتحررها الجزئي في بداية الأمر من هيمنة ما يعرف بأدلجة الزمن والخطاب إلى القفز بعيدا بأساليب السرد

---

[1] الرواية،ج2 ،ص67.

[2] بول ريكور،الوجود والزمان والسرد ،ص271.

[3] الرواية،ج2،ص285.

[4] المصدر نفسه،ص284.

[5] الرواية،ج2،ص47.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التقليدية إلى نوع من التجريب الخاص هذا الذي حرّر اللغة الروائية من الكبت الفارغ،والنمطية المعتادة في المباشرة والثبات إلى لغة شعرية رامزة وإن استدعى الأمر اعتماد المجاز بكل طاقاته لإعلان حالات الاضطهاد النفسية والجسدية كمتاهة الاغتراب بالدرجة الأولى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث:الاغتراب... بين حقيقة الوعي والمسرى الرّوحي

أولا:تقويـــض النسق وقلق المصير

1- النّسق السياسي:

1-1 دواعي التسجيل السياسية

2 -النّسق الاجـــتماعي:

2-1 بؤس المرأة واغترابها

3 –النّسق الاقتصادي:

3-1 العولمة والاغتراب

4- النسق الثقـــــــــــافي:

4-1 غربة البطل المثقـــــف

4-2 التّماهي السيري (تطابق الاغتراب)

ثانيا/واقع الدين والمســـــرى الروحي للاغتراب:

1 – النّسق الـــــــديني:

1-1 حلم الشقاء الإنساني

1-2 تصوف الولي الصالح:

1-2-1 التصوف والاغتراب

1-2-2 العرج والاغتراب الروحي

1-2-3 الاغتراب ولغة الغيب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

توطـــــــئة:

اقتضت الرواية المدروسة تجاوز الحدود السردية إلى أبعاد المعطى الخارجي، واستنطاق بعض المضامين الواقعية بغية تحليل المواقف الاغترابية ومن ثم تأويلها، لأن قلم الكاتب قد وُجّه بفعل المجريات التي طرأت على مجتمعه من تطورات سياسية واجتماعية وأخرى دينية، استدعت منه الرؤية الثاقبة والنقد الموضوعي الممزوج بالذّوقية أو الحضور الذّاتي المحيّن للأيديولوجيا الخاصة، وإن كانت واقعية كنوع من التّماهي السيري إلا أن هذا الذوبان لن يفقد الرواية نزاهتها، أو يحرمها حق الانتساب إلى حقل تيار الوعي، كبنية سردية محللة للواقع الراهن بعين الحق والعدل وبتفكير المثقف الشاهد على التقهقر الحاصل، وذلك لخصوصيته المتمثلة في امتلاك رؤية تكاملية شاملة، ومستقبلية حول واقعه.

وقد انعطفنا بعد اعتماد إجراءات المنهج البنيوي إلى الانفتاح على سميوطيقا السرد، التي تضمنت في إجراءاتها الاتجاه التوسيعي الذي يتجاوز البنية الداخلية للرواية إلى ربطها بالسياقات المختلفة ذلك أن سرديات النص قد رفضت التقيد بالمستوى الداخلي للنص، بل وشددت على فكرة التجاوز إلى استيعاب أكبر قدر ممكن من الاحتمالات الممكنة للأفعال داخل العالم السردي للنصوص الأدبية، وذلك بما أفادته من اللسانيات الحديثة، وبما ربطت به النص السردي من نظريات التواصل والتلقي. والتي تعنى بتداول النصوص الأدبية وكيفية تلقيها وإعادة إنتاج دلالتها ضمن سياقات ثقافية حاضنة لها، معتبرة التلقي إنتاجا وكتابة لاحقة تأخذ شرعيتها من سابق هو البنية النصية وما يستتبعها من سياقات إنتاج تنسب إليها وتفهم وتؤول عبرها.

وقد عانى منصور من الانسلاخ نظرا لإنكاره الشديد للمناشير السائدة، ومعظم نواميسها من زيف ونفاق وقتل وطمس للحريات، كما انفرد باغترابه في المكان واللغة لأنه وفقط حامل مشعل الكتل الوصفية(إذا اعتبرنا الوصف انعكاسا أسلوبيا يجسد اللغة،وكذا ابنها على حد تعبير الدكتور عبد الملك مرتاض) وكذا السردي للحضور الطاغي لأناه المتكلّمة، إلا أنه لا بأس من التوجّه إلى توزيع بعض المطارحات أو الصفوات النّظرية التي قمنا بالتعريج عليها في فصلنا النظري وتبيان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسببات الخارجية للاستلاب الذي تخبط فيه البطل؛ فترجمها لفظ التقويض الذي يعني الهدم والزعزعة أو التضييق، ويستتبع ذلك النفور وعدم التوافق واتساع الهوة، وهذا التقويض مسّ النسق كلفظ ثانٍ انتقيناه للإحالة إلى الأشكال الاغترابية التي قد أشرنا إليها آنفا. فنستشف مثلا من النسق الديني الاغتراب الديني وهكذا دواليك.وقد تم هذا التقويض الذي صرّح عن أنماط اغترابية بين حدين اثنين قد افترضتهما المدوّنة من جهة وتأويلنا المبني على الاستكشاف والاستنطاق عبر المخزون الحدثي المودع بعد عملية القراءة؛ أما الحدّ الأول فأسميناه لو تأملنا الشق الثاني لعنوان الفصل الثالث بحقيقة الوعي أي انطلاقا من الواقع المعيش وطبيعة الأزمة السائدة، والمحمول التّاريخي الذي من شأنه أن يحيل إلى مكنونات فكرية واجتماعية وأخرى ثقافية، أسّست لحالة الاغتراب النّاجمة عن طول نظر في الحياة، وعمق تجارب قد كان السبب المباشر في اعتمالها إيثار العزلة بالمطالعة مثلا أو خلق جو ثقافي علّ البطل يعزّي به النفس المنهارة، بفعل الظروف القاسية. أمّا المسرى الروحي فنقصد به أهم المحطات الدالة على الاغتراب الروحي والتي قد سمت بروح البطل المثالي، ليدل الحلم بالآخرة وبمصير البشر وأهل القرية على وجه التحديد على الروح المغيبّة من الواقع الآسن والاغتراب الرّوحي الذي ينازعه في مناماته ليلا، ويرافقه في يقظته نهارا؛ ومن جهة أخرى تضمّن المسرى-الروحي-السفر الروحي ذي الطّابع الصوفي المعبر عن استلاب الولي الصالح منصور كيف لا وهو الذي يعتبر نفسه مخلوقا نموذجيا ومن طينة عجيبة لم تخطر على بال أحد!

أما عن النّسق فقد ارتأينا تعريفه من حيث مدلولُه اللّغوي والاصطلاحي، وذلك لإزالة اللّبس الذي قد ينعطف بفكر المتلقي إلى الفهم الخاطئ لفصلنا الأخير وعن مدى تعالقه بالدّلالة المعرفية للاغتراب كموضوعة رئيسة لدراستنا التطبيقية. والنسق كما هو معروف من الفعل "**نسق نسْقًا ونسق الدرّ ونحوه: نظمه ونسق الكلام عطف بعضه على بعض ورتّبه**"[1] وهذا ما يؤكّده المعجم الوسيط الذي يقدم النسق على أنه "**ما كان على نظام واحد من كل شيء فنقول اتسقت**

[1] المنجد في اللغة والأعلام،دار الشروق،بيروت، لبنان،ط40،2003م،ص 806.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأشياء بانتظام بعضها إلى بعض"[1] أمّا المعنى الاصطلاحي فلا يختلف عن سابقه اللغوي حيث وجدناه يوحي بالتكامل والانتظام والاتساق، فكانت انطلاقته لسانية مع اللغوي السويسري "فرديناند دي سوسور" الذي ربط مفهومه بمبدأ العلائق، والذّي تخضع له قيم الدلائل اللسانية (دال+مدلول) أو ما يعرف بالدّليل اللغوي، إذ إن دراسة هذه العناصر باستقلالية تامة عن بعضها البعض أمر مستحيل التحقق لدى الجماعة اللسانية أو حتى البنيوية كمنهج قائم بذاته فتتشكل بذلك المحصلة النهائية تحت تسمية النسق اللّغوي الذي يستجمع مختلف البنى الصوتية والدلالية والتركيبية...الخ

إلا أن المصطلح-النّسق-قد سما إلى ما هو أبعد من ذلك تماما مكتسيا طابعا فلسفيا تأمليا ولكنه ليس بالبعيد عن أصله اللغوي وكذا اللساني، وما النسق في الحقل الاجتماعي إلا النظام الاجتماعي وفي السياسي إلا النّظام السياسي كل حسب السياق الخارجي المفروض كما يعرف بأنه "**جملة الآراء والنظريات الفلسفية أو العلمية المترابطة اللازم بعضها عن بعض...ففي كل نسق معارف مرتب بعضها على بعض"**[2] فشرط التلاحم أمر لابد منه لتوليد النسق واقتضاء كليته.

وقد تمّ استقاء فكرة الأنساق، من نسقية العمل الأدبي ومن ثمة ارتأينا تفريعها إلى نسق سياسي واجتماعي واقتصادي وآخر ديني فهو يعتبر "**العمل الأدبي نسقا من العلاقات المتلاحمة داخليا ولا يفهم على أنه مطلق أو مكتف بذاته"**[3] ولأن "كراف الخطايا" بجزأيها مفعمة بالخطابات السياسية والاجتماعية والدّينية المسرودة بلغة سيكولوجية تراجو-كوميدية، فرضتها المحكيات النفسية وحالات القهر بالإضافة إلى زمن العنف السائد، فمكنتنا هذه المعطيات من حصرها في عدة أنساق، حتى ننوّه بالانتظام المفترض أن يكون حتى يقهر الاغتراب الذي تخبّط فيه البطل وبعض الشخوص، وهذه الأخيرة كان انسلاخها قسرّيا بفعل العوامل الخارجية فقط. أما منصور فقد نبع

[1] المعجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية،مصر،ط4،2004م،ص918.

[2] محمود يعقوبي،معجم الفلسفة،مطبعة البعث،قسنطينة،الجزائر،ط1،1979م،ص225.

[3] جابر عصفور،نظريات معاصرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،1998م،ص123.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من ذاته العليلة غير العادية إذا اعتبرناها مجموعة "**أبنية تتولد من التعارض تسعى الذات بها إلى حل مشكلها وخلق توازن جديد يمكّنها من الاستمرار في العالم**"[1] وهذا الاستمرار لا يتحقق إلا باستقرار الأنساق التي يشتمل عليها هذا العالم فعليها أن تعمل على تنمية وجود متميز، ومتجاوز متطلع إلى المستقبل لتميز هذه الأنظمة لرقيها ولاحتوائها أنماطا فكرية متوائمة مع الذات كالفكر التقدمي والدّوجمائي والاستشرافي بالإضافة إلى الفكر العلمي، والفكر المؤسِّس للتنشئات السياسية والاجتماعية والدينية الناجحة، وإذا فشل النسق عموما في تحقيق الطبيعة الجوهرية للإنسان تقوّض بالدرجة الأولى، وقوّض معه السمات البشرية بكل خصوصياتها وسينجم عن فعل الهدم بالضرورة تشتيت للهوية وبتر للأفق وتعميق للاغتراب عن المجتمع المتضمن لهذه الأنساق.

فكيف قدمت الرواية الأنساق السائدة في المجتمع الجزائري؟ وما علاقة سلبية المحمولات السياسية و الاجتماعية والدينية بالبون الشاسع(الاغتراب)بين الفرد والواقع؟ وهل أفاد البطل من الحلول ذات الطابع الروحي لقهر اغترابه؟ وما مدى تماهي ذات الكاتب لحيلح مع سيرة منصور السردية؟

أوّلا/تقويـــض النّـــــسق وقلق المصـــــير:

1-النســـق السّياسي:

تعرّج الرواية السياسية التي بين أيدينا على أهم فكرة اقتضاها المنظور الأيديولوجي المفروض فأبرزت من خلال بطلها حقيقة الصراع السياسي الحاصل ذلك"**أن الرواية السياسية هي التي تفضي إلى معالجة الجوانب السياسية للقضية ضمن توجهات ومحاور مختلفة مستوعبة للمراحل المختلفة**"[2]. وقد اضطر منصور إلى الاحتماء بذاتيته في ظل القهر السياسي الممارس عليه وذلك لافتقاره إلى أبسط الحقوق المجسدة للحرية الفردية أوّلا، ومن ثم الحرية العامة والمتمثلة في حرية المشاركة أو الانخراط في الأحزاب السياسية في الوطن والمؤدية إلى تقلد منصب هام في السلطة.

[1] جابر عصفور،نظريات معاصرة ،ص 122.

[2] أحمد أبو مطر،الرواية في الأدب الفلسطيني،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،لبنان،ط1،1980م،ص104.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أشرنا آنفا إلى كنه الاغتراب السياسي وبينا كيف أنه راجع في طبيعته وكذا استفحاله إلى حقيقة العلاقة القائمة على مبدأ الجدلية بين الدولة والمجتمع، وقد عانى منصور وبعض الشخصيات التي أثبتت فاعليتها الاجتماعية في الرواية من هذا النمط الاغترابي بفعل تسيّسهم الفطري إذا سلمنا بمقولة "أرسطو"المبررة للتروع السلطوي المبطن لدى كل إنسان يقول"**إن الإنسان حيوان سياسي وكل الناس منذ الأزل لم ينفكوا عن الكشف بأن الإنسان سياسي بطبعه**"[1] فالإنسان يسعى دائما إلى إيجاد الوسائل والإجراءات المساعدة على تفعيل اتخاذ القرار وحتى يصبح صانعا له.لكن هذا الأمر لن يتحقق إلا في دولة مستقرة اجتماعيا بالدرجة الأولى، فلا وجود للديمقراطية السياسية بدون ديمقراطية اجتماعية؛ ومن ثمة إتاحة إمكانية المشاركة السياسية الفعالة وإن حدث العكس؛ أي إذا غيّب الأمن بنوعيه المادي والمعنوي تعمق بذلك الإحساس بالعجز في الحياة الاجتماعية والسياسية، وقد يعزو إلى استبداد السلطة–السياسية–القائمة بسبب"**شدة العصبيات واختلاف الآراء والأهواء،وأن وراء كل رأي منها وهوى عصبية تمانع دونها،فيكثر الانتفاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت**"[2]وهذا ما حدث مع منصور المغترب سياسيا، لخروجه عن نواميس مجتمعه وبمختلف أنواعها، وقد تعمق الاغتراب السياسي لديه، وبقوة عارض بفكره وجنونه النظام السياسي القائم على الصعيدين المحلي(القرية) والوطني(البلد)، وهو يرى بأن السلطة قد"**انحرفت عن واجبها كحارس أمين ووكيل شريف وطرف في عقد حر يستمد شرعية وجوده من حسن أدائه وحرصه على اجبه**"[3] كما كشف البطل عن هذا التقصير في حقه وحق غيره معلنا بلغة صارخة عن اللاّأمن، ووحشة الظلام(الحرب)التي عايشها، وهول الليل الثقيل على الناس المكشر بأنياب العنف المريع فـــ"**في الشارع المظلم الموحش لا شيء يتحرك إلا الكلاب تتهارش أيها يكون نصيبها أوفر من القمامة والفضلات...إنها لا تختلف عن الكلاب الآدمية،وهي تتهارش**

[1] أحمد بن الداية،الفلسفة السياسية عند العرب،تحقيق:عمر المالكي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1980م،ص19.

[2] حليم بركات،الاغتراب في الثقافة العربية ،ص98.

[3] أميرة علي الزّهراني،الذات في مواجهة العالم، ص110.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من أجل نصيب أوفر من قمامة من طراز آخر ونوع أرقى"[1] فهذا التصدع واللاّستقرار في مجال الأمن سيؤرق البطل وغيره من سكان القرية نفسيا واجتماعيا، بعدم المشاركة السياسية بعد أن انشطر الحزب الواحد كالبرامسيوم-على حد تعبير السارد- إلى عدة أحزاب.

وبدأ اغتراب منصور السياسي لما أحس بعمق المعاناة التي تخبطت فيها كل مؤسسات وطنه ونظرا لسعة ثقافته تمكن من استيعاب الخلفيات والمعطيات التي قدمتها سنوات دامية، وهو أعلم الناس بأحداث أكتوبر 1988م وتبعاتها، وكيف آل الوضع من أحادية حزبية إلى تعددية حزبية أضحت السياسة بذلك كالمواسم في تقلّباتها وتعاقباتها وفق ترتيب براغماتي معين، عمّ الفساد وانبرى العنف السياسي"**لسوء استخدام السلطة أو النفوذ العام بهدف الانحراف عن غايته،وذلك لتحقيق المصالح الخاصة أو الذاتية بطريقة غير شرعية ودون وجه حق"**[2]وهو ما أكده الراوي والبطل بتقفّي أثر الشخصيات الممثلة لهذا الفساد، بدءا من السلطة العليا والحاكمة إلى الدنيا والمحكومة(رئيس البلدية، مسؤول الأمن، مدير سوق الفلاح،الأحزاب)، وإن كان منصور يقرّ بجهله النسبي للسياسية ومضامينها، أما ما يفقهه فهو جزء يسير يساعده على تأويل رموز الفساد وحل شفرات العنف السياسي الحاصل بلغة الجنون، أو تعرية الحقيقة العمياء والجوفاء لنفسه ولغيره بحيلة التهريج الرمزي(التسجيل الحيواني،الفردة،الجنون)...

وتنشئته السياسية ركيكة ومشوشة للخراب السياسي السائد زهاء الأزمة وبعدها، لأن حدسه واستشرافه لمستقبلها قد مدّدا لعشريتين اثنين أو أكثر، ولأن التفاعل-لاستفحال عزلته-بين البنى الاجتماعية والسياسية هائر هو الآخر، طغى الاغتراب السياسي بسبب الاضطهاد الذي عاشه المجتمع والعنف الذي انسحب عليه هو الآخر كبنية كبرى"**لاستخدام القوة المادية أو التهديد لتحقيق أهداف سياسية قد يكون موجها من النظام إلى المواطنين،أو بعض أجنحة النخبة**

[1] الرواية،ج1،ص 36.

[2] الشريف حبيلة،الرواية والعنف ،ص166.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحاكمة بغية ضمان الاستمرار وتقلي دور القوى المعارضة"[1] وهذه الأخيرة لطالما خيّرت بين نمطين من المعارضة كذات ضديدة للنظام القائم؛ إما بتبني الحوار والسلم شعارا للتعبير عن القمع وإلا بحمل السلاح واعتماد الترهيب والشغب لإسماع الصوت تحت غطاء الإرهاب"**كعمل رمزي موجه للآخرين لإحداث أثر نفسي سلبي، يتمثل في حالة من الخوف والقلق والرعب والتوتر لدى المستهدفين"**[2] مما أدّى إلى خلخلة الاستقرار بشتى أشكاله، وتحجيم الحريات وفق قالب الرغبات الفردية وتغليب المصلحة الذاتية، وفقدان الأمن والأمان اللاّزمين.

وهذا الصراع السياسي بين الأيديولوجية الحاكمة وبعض القوى المعارضة قد يخنق حرية الفرد أولا وأخيرا بخاصة إذا كان مثقفا وشاهدا على هذا التمزق السياسي، كمنصور المغترب عن نفسه أولا، ومن ثم عن النسق السياسي لعجزه عن ممارسة أي فعل دون أدنى رقابة فعلية؛ وهذا راجع لعدم اجتماعيته بالدرجة الأولى، ولقمع إرادته المثالية فثبطت في ذهن الآخر(فرد،مؤسسة)فكرة الاعتماد عليه بسبب شعار الجنون الذي استشرف به آمالا وطموحات زادت من حدة انغلاقه واغترابه.

وبلغة سياسية مستشعرة للغربة المطلقة لدى منصور، ومزعزعة بدورها شاعرية اللغة السردية-إن لم تكن غالبة-عبرت الرواية عن وعي البطل السياسي المبتدئ بفكرة التغيير، وقلب الوضع الروتيني القاهر بسبب الممارسات القهرية للسلطة، فلجأ إلى الاحتماء وسط اللاوجود والسخرية من الحياة عبر الجنون المتكلف، والتصوف الروحاني،والحلم المريب حتى يحلل بعين المثقف الناقد مآل وأخلاقيات قريته والأيديولوجية الحاكمة في البلاد. وها هو يجيب الدّركي بعدما استوضح منه هذا الأخير مفهومه الخاص للسياسة، وطلب رأيه حول الأحزاب السياسية فأجابه: **"أنا لست سياسيا ولا أحب أن أكون سياسيا لامتصاص البطالة وإثراء حديث المقاهي، وتكوين**

[1] حسنين توفيق إبراهيم،ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،لبنان،ط2،1999م،ص49.

[2] المرجع نفسه،ص53.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الممثلين وشغل الناس عن السياسة"[1] هذا رأيه في الأحزاب، وإثباتٌ لعجزه عن ولوج العالم السياسي بحجة كرهه لها، ومقته لغاياتها الدنيئة المتمثلة في تجسيد ذاتها وصولا إلى إلغائها معلنا اغترابه المنادي بشعار"الحق،العدل،والحرية".

وينعت منصور مصرّحا"لعبد الناصر"أحد جلسائه القدامى وهو من اليسار الإسلامي قريته بالمحمّية السياسية"**إذ أن فيها أصنافا شتى من حيوانات سياسية توشك أن تنقرض في مناطق أخرى من العالم...بفعل الحرائق الأيديولوجية، والرطوبة السياسية، والأوبئة الفكرية، التلوث التصوري،وعوامل التعرية المعرفية"**[2] كعادته وبسخرية رامزة يبدع دائما في تلميع وجه انسلاخه وإكسابه حلة فنية جديدة تزيده رونقا وتأنقا، تتصاعد لتزايد الخرابات والمفارقات التي دفعته هو وأهل القرية إلى حافة الحياة مكرهين ومرغمين؛ ولا حل أمامهم سوى التبطّل والتنافس على مقاعد المقهى بهدف تسييس الدين، أو التهريج بالسياسة الدينية لاغترابهم هم كذلك عنها وجهلهم الواضح بها"**فإن أهل قريتنا لا يحسنون الحديث في أي موضوع إلا في السياسة والدين وكرة القدم وأعراض بعضهم بعضا،وهذا الذي جعل تدينهم بدعا وأحقادا وسياستهم تهريجا وإفسادا"**[3] فهم فارغون لفراغ الحياة من حولهم، ولعجزهم عن الخوض في صخبها، وقعوا في هوة التفكك وبوجه ضباب الشهوات الذي أعمى بصيرتهم وعمّق من استلابهم أيضا.كما عبّر البطل عن غربته السياسية بعدة طرق لعل أبرزها فكرة التسجيل الحيواني، أو مخاطبة الفردة من باب الازدراء باعتبارها رمزا سياسيا للنظام القائم(الدرك).

1-1 دواعي التّسجيل السياسية:

لقد أبرزت السمة التنازعية الجليّة في الرواية طبيعة الجدل القائم بين العديد من الثنائيات(الفرد/المجتمع)،(السلطة/الشعب)،(أصحاب الجبل/أصحاب السهل)،(الحاضر/المستقبل)

---

[1] الرواية،ج1،ص198.

[2] الرواية،ج2،ص 82.

[3] المصدر نفسه،ص100.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبدورها أحاطت بالتمزّق الكئيب الذي مسّ بطل الرواية، فلم يبق مكتوف الأيدي تجاهها بل ضاعف من فردانيته بغية تعزيز أسئلة ذاته، الطامحة إلى التغيير بأيديولوجيات سارت على وتيرة واحدة وإن كانت مجهولة في عمقها، لما غيّب الراوي بعض الوقائع بعد بتر الزمن، وقطعه عن المسار السابق مما أدى إلى تفريغ عشر سنوات من أحداثها، كانت فترة حاسمة من الضياع والشرود الوجودي، والهروب من الموت المحتم بفعل الأيديولوجيا الجهادية المغلّفة بالإسلاماوية فيما بعد على يد جماعات إرهابية وإن كان الجهاد في اللغة"**يعني المبالغة في الشيء واستفراغ الوسع والطاقة في الحرب أو اللسان أو غيرهما وفي الشّرع يعني قتال الكفار**"[1]والقتال للكافر وللمؤمن ولا يختص بأحدهما دون الآخر، ولا خلاف في أن التيارات الإسلامية التي قصدتها الرواية ذات توجه سياسي مصبوغ بصبغة دينية انشقت عن الحزب الواحد، وخرجت عن الناموس الغالب إلى تعددية فرضتها الديمقراطية السياسية الرائجة آنذاك.

وقد حيّن المعطى السابق(التعددية)ما يعرف بديناميكية الأيديولوجيا لكونها حاضرة في كل المجالات من سياسية واجتماعية ودينية وثقافية ولعل السيرورة أمر لابد منه، فحيثما تميل الأوضاع تنحاز إما عن قناعة اختيارية قد تتوسل بالسلم، أو بالمعارضة المتجاوزة لمفهوم التراضي الفكري في التأسيس لسلطة البلاد؛ بتبني وسيلتي العنف والسلاح الناجمين عن التعصّب والانغلاق والاغتراب.

وقد كان حلّ الشريط الحيواني كحيلة استكشافية لمكامن التوتر السياسي السائد السبيل الأنجع لبلورة أيديولوجيا البطل، والأيديولوجيات السياسية الأخرى على حد سواء، فكان ذا طابع سياسي مؤدلج وقد ارتبطت"**الأدلوجات السياسية بمصالح الفئات التي تتصارع لتصل إلى السلطة السياسية**"[2] فقابل منصور كل فئة سياسية بصوت حيواني مشابه،واهتدى إلى هذه الفكرة الجهنّمية وهو يتأمل صغارا يتمارحون في حديقة تناغمت وللأسف بالوجوه المصفرة المغبرة من جراء دخان

[1] محمد الرّحموني،الدين والأيديولوجيا،جدلية الديني والسياسي في الإسلام وفي الماركسية،تقديم:رضوان السيد،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،ط1،2005م،ص29.

[2] عبد الله العروي،مفهوم الأيديولوجيا،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب، ط7،2003م،ص46.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السجائر، والألسنة التي اسودت من نقد السلطات ومضغ أعراض الناس؛ كان يترقب بعض الحيوانات المستهدفة بعد طول تخطيط حتى تنطق، ليخرج مسجلته ويقوم بحفظ أصواتها من نهيق للحمير، ونقيق للضفادع ونعيق للغربان ونبيب للتيوس، ونباح للكلاب وصياح الديك وأصوات الدجاج، وزقزقات للعصافير فقط"**لأنها تعبر وبكلمة واحدة عن كل الحالات والتناقضات،هي هذا النقيق الرتيب...بلا معالم،بلا حدود،لغة زئبقية تعني كل شيء ولا تعني أي شيء تصلح للخديعة والنفاق**"[1] ولّما فرغ من تسجيلها بدت له لعبة فنية ورمزية من شأنها أن تضفي لمسات جمالية للنسق السياسي المرير، وأن تمرّر مختلف الخطابات الموحية إلى التعقل الذي يقلق الدولة ويربك هدوءها وهي-اللعبة-خير دليل على تجذّر الاغتراب السياسي عنده، ومجازية جنونه الذي لم ولن يفهموه لأنه"**سلوك مجازي يخالف مألوف الناس ومعايير العقل الجمعي في شكله التاريخي،أو هو لغة مجازية رمزية،لا يفهمها إلا عندا يقع ما يترجمها إلى لغتهم من أحداث ووقائع**"[2]وبأصوات دالة برع في إيهام الناس الواعين الحالمين بحقيقة المغزى السياسي، والذي فجّرته حماقته المشاغبة لسياسة الوطن، والرافضة لمبدأ سحب الظلام عن الناس والبقاء في بقعة الضوء فاحتمى وسط هذا التّحدي(الشريط) الذي أودى به مغلولا بين سلاسل السجن فقط لأنه"**يحدثنا عن القهر والحرية والوجود والتشيؤ،والحياة والموت،والطموح والنكسة،إنه يتدفق حركة وانطلاقا**"[3]...

فرمز إلى الحمقى بنهيق الحمير،الذين لا يفهمون شيئا سوى عدم التفاعل لأنهم مغتربون عن الحياة شكلا مضمونا، أما صياح الديك"**فهو نداء النخبة الثورية طليعة المجتمع إلى التغيير الواعية بشروط الفعل الثوري،التي ترفض الرداءة والنمطية،أما صوت التيوس فهو رمز للبرجوازية المتعفنة المنتفخة بالأوضاع،أما العصافير فأصواتها رمز للمستقبل...أما النباح فرمز للثورة**

[1] الرواية، ج1،ص113.
[2] المصدرنفسه،ص133.
[3] المصدر نفسه،ص176.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المضادة...أما النعيق فيرمز للموت والخراب"[1] فجعل كل طبقة سياسية رأسا للحيوان الذي يليق بأوطارها ومطامعها النبيلة أو الخسيسة، فعكس هذا الشريط الإيقاعات المتناقضة التي تضطرب فيها البلاد سياسيا، أيديولوجيا واجتماعيا وحتى اقتصاديا كلها تنطوي تحت لواء الاضطهاد المحسوب للدين الراديكالي، ولأن بعض الإسلاميين لا يجدون بأسا من ممارسة السياسة مادامت ستمكنهم من المازوشية السياسية على حد تعبير الراوي.

وقد اتفق غالبية سكان القرية بعد اجتماعهم الطارئ في المقهى على أن العصافير رمز للمستقبل(الشباب)،والحمير للفشل الأيديولوجي(القائد الإمعة)،والنعيق للإرهاب والموت(أصحاب الجبل)،والنقيق للمجتمع النمطي(أصحاب السهل)،والدجاجة للجبن والوهن والاستسلام(الرجولة المخنثة)،والديك للحق والحرية(فدائيو الوطن)،والنباح للثورة المضادة(الذات الضديدة)،والنبيب للبرجوازيين(المصلحيون)...

وقد ارتأينا تخطيط وجدولة هذه التأويلات ومقابلتها من حيث منطلقُها السياسي بالنمط الاغترابي الذي يكتنزه البطل تجاه كل فئة وإن صلح إسقاطه على البعض من سكان القرية:

[1] الرواية،ج1، ص176.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محتوى الشريط	الفئة المستهدفة	الدّلالة السياسية	نمط الاغتراب
نهيـــق الحمير	الحمقى السياسيون	التواطؤ (–)	اغتراب سياســـي
نعيـــق الغربان	الظلامـــيون	الإرهاب (–)	اغتراب ديني/أمني
نقيق الضفادع	النّمطـــيون	الـــولاء (–)	اغتراب اجتماعي
نبيب التيوس	البرجوازيون	البراغماتية (–)	اغتراب اقتصادي
نباح الكلاب	الذات الضديدة	المعارضـــة (–)	اغتراب أيديولوجي
صوت الدجاج	المستضعفون	التّماهي (–)	اغتراب وجودي
صياح الديك	النخبة الثورية	العـــدل (+)	————
زقزقة العصافير	الشباب الحالم(المثقف)	المستقبل (+)	————

وكل هذه الاغترابات تشتمل بدورها على الاغتراب السياسي باعتباره الكل الشامل، والمؤسس وما هي إلا انبثاقات عكست اغتراب البطل من جهة، واغتراب الفئات السياسية والاجتماعية المقصودة بالنقد من جهة أخرى.وبناء عليه فقد استوعب الشريط مختلف التقلبات السياسية وكرّس التعددية الحزبية والأيديولوجية، وتجلى ببعد رمزي مفعم بروح الاغتراب الأيديولوجي والسياسي والدّيني والاقتصادي وخاصة الاجتماعي العنف الممارس، والتعسف السياسي المقنّع بأيديولوجية سلطوية ومنصور يرى بأن التضارب حاصل بين طرفين اثنين أولهما السلطة السياسية"**ولها المصلحة الأولى في أن يبقى المجتمع دون مستندات وتوازنات حتى تبقى هي مركز التوازن الوحيد فيه**"[1]

[1] برهان غليون ، الحركات الإسلامية والديمقراطية،دراسات في الفكر والممارسة،سلسلة كتب المستقبل،مركز دراسات الوحدة العربية،الجزائر،ط1،1999م،ص173.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمّا الطرف الثاني فقد جمع بين عدة أطراف؛ الناس المستضعفون بالدرجة الأولى وأصحاب التيار الإسلامي(السلفية،الإخوة،أصحاب الجبل)ومؤسّسو الأحزاب السياسية، وقد ظنّ بأنه في حيز ديمقراطي آمن سيسلم عبر سياجه من بطش الطبقة السياسية(سلك الأمن)، إلاّ أن ما لا يحمد عقباه قد حلّ لأن الدولة ليست بغافلة ولا بالمغفّلة حتى لا تتقن فكّ شفرات هذه الألغاز الملغّمة والتي كانت بطل المسرحية الأول والأخير"**فقد اهتمت الطبقة السياسية في القرية بهذا الشريط اهتماما لم يكن يتوقعه أحد وجست به نبض الرأي العام جسا خبيثا...ولهذا فقد عقدت المكاتب البلدية لمختلف الأحزاب اجتماعات سرية مضيّقة**"[1] وأدركت هذه الطبقة لانتماء هذا الرّجل، واغترابه الشديد عن عالمهم السياسي وكيف أنه يلهث وراء الحقيقة معلنا صراخه المزعج بأيديولوجية منافية لنسق سياسي مبتور مشوش وفاسد.تعطش إلى العدل عبر عصافير البراءة، وترنّم بصوت الديك حتى يؤسس للثورة والعمل التغييري، وندى جبينه عرقا لنبيب بعض التيوس العفنة وتحسر لإمّعة الحاكم كالحمار ينهق بالجهل والحمق، وفزع وجفّ ريق الأمل من بلعوم صناع الحياة لنعيق الغربان الذي اغتصب بصيص حريتهم وحرية غيرهم...

وما أعلن عن حالة التأزم الاغترابية ذات الطابع السياسي لديه طرافته الهادفة في محاورة له مع ابن عمي الصالح أثناء جنازة أبيه–عمي الصالح–التي تسيّست هي الأخرى كغيرها من المحافل أو المؤسسات المتنوعة، وتجلّى الصراع السياسي الذي أطفأ طموح الولوج للساحة السياسية من طرف منصور وغيره، وبعد أن سأله الابن عن الخصام الذي جرى في المقهى حول المأتم، وتشييع جثمان أبيه أجابه البطل السياسي"**فأصحاب الأفلان يقسمون بالله ودم الشهداء أن عمي صالح ما مات حتى قال"أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"جبهة التحرير أعطيناك عهدا...أما أصحاب الفيس فيقسمون بالله ودم الشهداء أن عمي صالح ما مات حتى قال"أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"عليها نحيا وعليها نموت،وفي سبيلها نجاهد**

[1] الرواية، ج2،ص185.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعليها نلقى الله"[1] فلم يكف هؤلاء أن الرّجل قد غادر ومات على ملّة الإسلام، بل حاصروا روحه وسيّسوها رغما عن أنفه"**فالمواطن يموت وأصحاب الجبل يغسّلون ويكفنون،والدولة تلقنه الشهادة، والشعب حفّار قبور"**[2] ولم يضعوا في حسبانهم بأن الصّالح قد طمح إلى جبهة القوى الاشتراكية، فاستحضر منصور رأي ابن خلدون حول العرب وأقرّ بأن غلظتهم وأنفتهم لا تدفعانهم إلا إلى المنافسة في الرئاسة وبصبغة دينية براقة، وكأن الدين(الشريعة) قد صار سلاحا سياسيا للتصدي أو قضاء المصالح الفردية**!**ويواصل انتقاده لسياسة البلد"**واعلموا أن السياسيين عندما يصفونكم بالشعب،فإنهم يقصدون العظمة في البؤس والانخداع والحمق...إنهم دائما يحبون أن يحشوكم بالقشّ وينفخوكم بالهواء،لتكونوا كالنواطير في حقول الزارعين تفزعون الطير وهوام الليل ولا تستطيعون أن تأكلوا شيئا من غلالها"**[3] فهو يصوّر الشعب قطيعا يعيش أكذوبة العظمة التي كانت طعم السياسيين الفعّال، والموصل إلى تحقيق الأطماع بالصّعود على أشلاء الناس وأكتافهم.

فالتناقض الانتسابي واضح والتنافس السياسي جليّ أيضا بين الحزبين كأنموذج دال على ذلك وإن كان الفرد الواحد عبارة عن فسيفساء سياسي مهجن يميل حيث تميل الريح، والمصير المنتظر هو الانكسار. وها هو عمي الصالح-قبل وفاته-يتخبط بين مدّ الانتماء إلى حزب دون آخر وجزر الرضوخ إلى تغليب المصلحة الفردية دون الاكتراث بمصالح الوطن أو استقراره"**أنا الذي وقفت مع"الحاج مصالي"ضد فرنسا ووقفت مع "fln" ضد "الحاج مصالي" ووقفت مع "fis" ضد السلطة ولو أجد حزبا ضد"fis"**[4] **لكنت أول المنخرطين فيه"**[5] والتقايض واضح راجع إلى ديناميكية الأيديولوجيا(كنمط تفكيري) لدى عمي الصالح،فتارة يعلن اشتراكيته وتارة يتطاول

---

[1] الرواية، ج2،ص355.

[2] المصدر نفسه،ص357.

[3] المصدر نفسه،ص390.

[4] الجبهة الإسلامية للإنقاذ fis:frond Islamic de salut/جبهة التحرير الوطني fln:frond liberté national

[5] الرواية، ج2 ،ص 125.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بليبراليته على غرار البعض، لأن واقع التعددية في الجزائر قد جعل الرّياح تهب من كل الجهات وتُوجع معها رقبة الذي لا يجيد خوض غمار الحرب السياسية، وما عليه إلا أن يغترب كمنصور الذي آثر أن يزيل غبار الوصولية والسلطة عن تفكيره...

وهذا عبد الناصر من اليسار الإسلامي، ومنهم من انخرط في الحرب كعائلة أطروش حارس المقبرة"**فكل واحد منهم اختار سبيلا،واختار للسبل قناعا أو أقنعة يختصر به الطريق والجهد إلى الوجاهة والغنى،فهذا انخرط في صفوف المسلحين غير مضطر ولا مكره...وذلك تخلّى عن إسلامية مزيفة ودخل في صفوف الحزب الحاكم ليكون آمنا،فكان أمينا ولائيا للحزب**"[1] أتى لمنصور أن يقرأ كتاب سياسة البلد، ويتقن لعبتها دون الاستناد إلى التّقاطبات المعينة على استظهار القلق المبطن، والجازم على اغترابه السياسي بدءا بهزله من السياسة، والسلطة وصولا إلى زفراته الانسلاخية، تلك التي انبرت بعد كتم النفس ولفترة طويلة، وبهذا لا تتحقق رؤيته لهذا العالم السياسي"**خارج الأفراد، فإنها ليست من صنع الفرد الواحد أو المتوحد،إنها من صنع المجموعة،لأن الفرد لا يتحرك إلا على أساس من علاقته بغيره**"[2] فاستطاع منصور أن ينقد بعقل المثقف التّحركات السياسية بتقنية الكرف الماكرة، ويرصد التقلبات الغريبة بحنكة ودهاء عبر اللجوء إلى اللغة الساحرة الساخرة (رمز/نكت) جاعلا هذه التحركات فضاءات شاسعة للخطاب الروائي بميزة التخييل السردي، والرمز الحاد غير الجاد للتعبير عن روح الأزمة والعشرية السوداء فقد أقر الراوي بضرورة إبداع المواقف الغريبة لكسر الملل، واللاّمعقولية والتخلّص من ربقة الفراغ السياسي الذي انسحب على مجتمع البطل، وشغل حيزا كبيرا وجوهريا"**فمنصور بارع كل البراعة في تصور المواقف الظريفة الطريفة وإبداع المشاهد الغريبة...وإلا بماذا يقطع حياة**

[1] الرواية، ج2،ص259.

[2] جابر عصفور،نظريات معاصرة ،ص114.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اجتماعية فارغة من أي معنى يلتهم أطرافها النمطيّ والعادي كما يلتهم الصدأ أطراف الحديد"[1]...

2- النسق الاجتمـــــاعي:

لا يغيب عنا بأن المجتمع عبارة عن نسق، وهذا الأخير قائم على مبادئ وأسس تسعى إلى توفير الأمن والاستقرار والتفاعل المتبادل بينه كمؤسسة كبرى وبين الفرد كعنصر يتشارك مع غيره من الأفراد لتكوين بنية اجتماعية قائمة بذاتها"**كأوسع تجمع من الناس يشتركون في مجموعة من العادات والأفكار والاتجاهات"**[2] فإن كان هذا الاشتراك كاملا وإيجابيا عرف هذا النّسق التطور والرّقي،أما إذا حدث العكس فسيزعزع أمنه واستقراره، ولأننا ألفينا تقويضا ملاحظا وبشكل كبير في النسق السياسي سيمس بدوره هذا النظام لأنّ "**وجود السلطة السياسية أمر ضروري باعتبارها القوة القادرة بالفعل على تحقيق الانسجام الاجتماعي داخل المجتمع والتأكيد لاستمراره"**[3] والخلخلة بدت جلية هي بفعل عجزه عن التعايش وفق كينونة متبادلة برّر هذا الموقف اغترابه الاجتماعي؛ لأن العلاقة بينه وبين المجتمع والأفراد جدلية وبعيدة عن مبدأ الجوهرية على حد تعبير الفيلسوف هيجل.

وقد سبق وأن أوضحنا نوعين من الصّراع الاجتماعي في فصلنا النظري،الأول داخلي أما الآخر فخارجي وبيّنا كيف أن من شأنهما أن يعمّقا من الاستلاب لدى الفرد، مع إضعاف الحسّ المدني عموما، وهذا ما حدث مع منصور لأنه وُجد في بيئة متعفنة سياسيا وأمنيا واجتماعيا لّما ساد الصراع الداخلي والمتمثل في الإرهاب كوجه من أوجه الفتن الداخلية، أو ما يعرف بالحرب الأهلية التي شهدها مجتمع منصور(الجزائر) لسنوات عديدة. مما استحال على الفرد تخيّل بنية اجتماعية موحّدة كيف لا، وهي تتأرجح بين نيران القمع واسئصال الحريات الأيديولوجية وبين

---

[1] الرواية، ج2،ص106.

[2] حسين رشوان،الأدب والمجتمع ،ص59.

[3] أحمد وهبان،الماوردي رائد الفكر السياسي، ص34.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رعب الظلاميين (الإرهاب) واضطهاد الطامحين(المثقف/الشباب)، وبنظرة تشاؤمية يرى اللاّجدوى من استمرار الحياة في كنف هذا المجتمع-القرية-المريض الذي تخبط في دوامة الصراع السياسي الذي صارت له انعكاساته الاجتماعية"**لأنه يعني السيطرة على مقاليد الحكم والسلطة كما يعني إتاحة حقوق كثيرة من خلالها يمكن للمتقلدين تحقيق أغراض ذاتية أيديولوجية ومادية ذات انعكاسات اجتماعية قد تكون إيجابية أو سلبية**"[1]...

وقد اختار منصور حلّ العزلة والاحتكاك المزّيف حتى يعمّقها وبسبل عديدة، تفرد بأيديولوجية اجتماعية سلّم عبرها بضرورة التّحسيس بفحواها، وإن كلّفه الأمر تبني نوعا آخر من المواجهة التي تجلّت فيما يعرف بالتمردية أو الانقلابية، ولكن على نواميس وعادات هذا المجتمع وبالتالي بلورة روح المغترب الحقيقي أداتيا وعقائديا"**أنا انقلابيٌّ إذن أنا موجود..وقوة الأيديولوجيا الانقلابية لا تبرز في عناصرها العلمية الموضوعية بل في قدرتها على إعطاء معنى للحياة**"[2]وإن كانت انقلابية البطل سلمية الأهداف عبّرت عن حرمانه من معظم الحريات المفترض بها أن ترافقه في مواجهة أعباء الحياة المفتقرة للاّمعيارية أو المعنى(حرية العمل،حرية الارتباط،حرية الوجود الآمن) إلا أن لغته في التعبير أمست فارغة ومجرّدة من المقومات الفعلية لإمكانية الانسجام أو الأمل في التوافق الكلي.

فأي مجتمع هذا الذي آل إلى شيء مكبّل بأغلال اللاأمن واللاستقرار بفعل الأزمة، يحسّ الفرد فيه بأن أنفاسه قد تحوّلت إلى وجبة شهية تسيل لعاب الآخرين"**فالظروف الأمنية لا تسمح أن ينام المرء خلف باب بلا قفل ولا مفتاح...وإن الناس في هذه القرية لينامون غير مطمئنين وراء أبواب ونوافذ من حديد**"[3] وهذا ما أطال ليليتهم إلى ثلاث أو سبع أو أسبوع و لم لا؟ فهم غرباء في وطنهم، أعداء لإخوانهم ووليمة لمن احترفوا القتل وأدمنوا لعق الدماء. وهذا الفزع قد دفع

[1] نادية عيشور،الصراع الاجتماعي بين النظرية والممارسة ،ص81.

[2] عبد الله العروي،مفهوم الأيديولوجيا،ص121.

[3] الرواية،ج2،ص30.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالكثيرين إلى الاغتراب المكاني نحو مناطق تشعّ بالأمن النسبي، والأمان مثلما حدث مع عمّ منصور الذي هاجر واغترب عن قريته هو وعائلته إلى المدينة خوفا من الأرواح الشريرة ومن بطشها.

وقد اغترب منصور عن مجتمعه لتعفنه من الناحية الأمنية والخلقية، كما ضاق ذرعا من تلوّناتهم ونفاقهم وانحرافهم عن دينهم، وها هو كما أَلِف يترّه نفسه عن الانضمام إلى زمرتهم مخاطبا عمي الصالح"**أنت وهؤلاء المشوهون تضيقون بالحق لأنه يضيق عليكم معاطن الباطل،وتتبرمون بالحكمة لأنها تكشف عن المستنقع الراكد الذي تسبحون فيه، وعن المستنقع الآخر الذي يسبح فيكم أما أنا فلست مثلكم، أنا مستعد أن أتعلم الحكمة حتى ولو قالتها الخنازير والأباليس**"[1] فنبرته الاغترابية الساخطة على مجتمعه دفعته إلى تقديس كلبه وتحظيته بمكانة جعلت منه سلطانا عليه وعلى غيره من الناس، بسبب العزلة الاجتماعية التي أرغمته على مصاحبة هذا الحيوان الذي أتلف أعصابه بفوضى النباح لحماية سيده وهذا الحق بعينه بحسب البطل.أما هم فلا إخلاص ولا فداء، لأن الغرور شعارهم في الحياة وهذا ما جعلهم يلعنون السيد منصور وكلبه فزاد من غربته عن مجتمعه الذي صنفه تحت منزلة الكلب فهذا الأخير"حاشاه"**!**

وعن النفاق السّائد يتحدث منصور مخاطبا روح أمه، يبرّر لها الفراغ الوجودي الذي يعيشه والذي يعد من أبرز بواعث اغترابه الاجتماعي"**وما أكثر المنافقين في قريتنا يا أمي،لقد صار كل واحد منا يتأبط حزمة من الأقنعة مختلفة الأشكال والألوان،فقد تضطرك جلسة واحدة في مقهى أن تستعمل خمسة أقنعة...لقد صرنا جميعا مهرجين**"[2] وأي تناقض هذا الذي يدفعه إلى الانضمام إلى هؤلاء المزيفين والإخلاص في الانصهار بلا قيود لغاية الكرف، هذا من جهة ومن جهة أخرى يتسامى عنهم حتى يؤكّد ابتعاده الكلي عنهم، يذمّهم ويمقتهم ويرأف لحال البسطاء الذين كانوا مرتعا لأخطر الآفات الاجتماعية، من تعفن خلقي ورياء وتسول مطموس بالخديعة والتآمر على الفئات الغنية من المجتمع، ليدخلوا في صراع طبقي فيتحسّرون على مآلهم ويحسدون

[1] الرواية،ج2،ص 126.

[2] المصدر نفسه،ص 166.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غيرهم من النبلاء والمترفين، إلا أن الدولة لم تتوارى عن نشر الأكاذيب المتماشية مع أهدافها وتوجيه أصبع الاتهام إلى هذا النوع من البشر الضعيف حتى يزداد الزمان عليهم جورا وثقلا.

2-1 بـــــؤس المرأة واغترابها:

للمرأة حقوق على غرار الرّجل، وهي تسعى دوما لإثبات وجودها وتحقيق ذاتها في شتى الميادين واللمعان بقيمها الروحية السامية لا الجسدية أو الجنسية المجردة من المبادئ، والقيم والمكرسة لدونيتها في مجتمعها، إلا أن المرأة قد تصطدم وللأسف بقهر يفرضه عليها الآخر سواء كان مؤسسة دينية أو اجتماعية وإلا سياسية، فتتحول إلى ضحية مغلوبة على أمرها لوهنها الفطري أو العقلي لأن العاطفة الذاتية، ورقّة الأنوثة عوامل قد تعرقل من احتمالية تسلطها كفرد متعجرف عنيف يلجأ إلى أقوى الوسائل والطرق حتى يسترد الكرامة المفترضة، تفاديا لأي قمع قد يقزّمه أو ينتقص من كفاءاته الاجتماعية الموفورة"**والمرأة لا تنفصل همومها الموضوعية عن همومها الذاتية أو الفردية ولذا يصبح للزمن تأثير حاسم في حياة المرأة من حيث تقديم حلول مجدية كانت تنتظرها،أو السقوط بها إلى نهاية تراجيدية تحمل معنى الوحدة والانعزال والقلق**"[1]كما حدث مع الفتاة الطالبة الجامعية المثقفة التي زارت منصورا في إحدى الليالي للاحتماء من بطش الدهر المخيف الذي علّمها هي وغيرها من البشر بأن الموت أرحم لهم من التواجد في زمن الأزمة المفزع ملؤه الخوف والتقتيل، وفي بلد يفتقر إلى الانتماء الوطني الرّاجع إلى خلل في البنية الاجتماعية بالدّرجة الأولى، وتصدع في معاييره الكبرى ففقد هذا الانتماء"**أهميته وفعاليته وأصبح لدى الكثيرين مجرد عاطفة شكلية ومشروع طوباوي، مثالي ديماغوجي غير مجدي ماديا**"[2] زارته والدّم في وجهها متوسّلة كالمتسولة، فتاة ساقها القدر من أعزّ ما تملك إلى حياة القذارة والاغتراب عن القيم والمبادئ الشريفة التي ينبغي أن تتحلّى بها فتاة القرية من خلق ودين، والتزام باللباس الشرعي إلا

[1] سوسن ناجي،المرأة في المرأة،دراسة نقدية للرواية النسوية في مصر(1888-1985م)العربي للنشر والتوزيع،مصر،ط1،ص159.

[2] قاسم حجاج،التنشئة السياسية في الجزائر في ظل العولمة،بعض أعراض الأزمة ومستلزمات الانفراج،مجلة الباحث،الجزائر،ع2،2003م،ص87.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أننا سنتقيد في تأويلنا لهذا النمط الاغترابي وفق النسق الاجتماعي بإرجاع انسلاخها عن الأعراف السائدة إلى المشاكل الاجتماعية التي عانتها عائلتها بسبب الاضطهاد السياسي الذي كرّس أيديولوجية العنف القامعة للحريات بتسلّطه الواضح . سردت للبطل قصة اغترابها عن أخلاقيات قريتها وعن دينها وحتى أهلها بالمفهوم الجغرافي للمصطلح فأخبرته بأن أصحاب السهل(جهاز الأمن) قد ترصّدت لكل الأفراد بتهمة الانتماء، أو التمويل للإرهابيين المتواجدين بالجبل. فشرعوا بقتل أبيها لاعتقادهم أنه المحرّض على التحاق أخيها بالـــ" fis" فما كان على الفتاة، وبالتماس من أمّها إلا الخروج من جلدها والدّخول في جلد آخر حتى تفكّ أزمة أسرتها، إلا أن الأيديولوجية المعارضة(أصحاب الجبل)"gia" قد قتلت أخاها الإرهابي الثاني، وما الحلّ إلا الانسلاخ عن الحجاب كلية، والتنصّل من الانتماء الإسلامي فخرجت من الحجاب وتوابع الحجاب، وانحشرت في ثوب ضيق باح بكل أسرارها، وصارت أنموذجا متحركا لهزيمة مشروع كامل**"وهذا ما أراح أصحاب السهل الذين كلما مرّت عليهم سخروا منها بعبارة"عليها نحيا وعليها نموت"**[1] أو بتلقيبها بأخت الطّيب وأسامة، وقد زاد هذا الازدراء من طرف هذه الفئة السياسية من اغترابها وجرّها إلى الانضمام إلى الشبكة الاجتماعية-كما أسمتها هي-لاستقبال المغتربين عن الخلق والدين والزانين، والتخلص من بطالة الحياة تسهيلا للاسترزاق بأنذل السبل(الزنا) وأبخس الأثمان...رق قلب منصور لحال هذه الفتاة الذي فجّرته الاختلالات، وهي حالة من بين مئات الحالات التي عاشتها الفتيات الجزائريات من جراء الفتن الدّاخلية والاضطرابات السيكولوجية التي يتخبّط فيها أي فرد يعاني القلق والذّعر من الأوضاع المعقدة المستفحلة للكآبة والتمرّد الديني والانفصال عن الذات أوّلا وعن البشر ثانيا فيصبح بذلك أنوميا غريبا ومريبا في الآن نفسه.

وكمحكي اجتماعي آخر تبرز قصة الأرملة البائسة زعزعة هذا النسق أيضا، فحكت هي الأخرى مأساتها للحضرات منصور على إثر اختطاف الدّولة لزوجها بحجة الانتماء إلى حزب سياسي. أما منصور فقد أجابها بمبلغ مالي علّه يعزّيها ويقنعها بتقبل الوضع رغم سخطها وما الحل

[1] الرواية، ج2،ص249.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا أن تكابد هذه الأرملة مفارقات الحياة والزمن الجائر لوحدها غريبة في وطنها مغتربة عن زوجها الذي تجهل مصيره، تعيش مرارة الحياة بحرقة الشوق المصبوغ ببصيص الأمل الذي لا أمل فيه وللأسف؟..

وإن كان الرّاوي قد صنّف هذا الجنس اللطيف ضمن خانة المنحرفين والمتظاهرين بالدين والالتزام الشرعي، لما جعل شخصية "الحاجة نعناعة" ومن ثم "سميرة" بلا قيم شغلها الشاغل هو بيع الخمر للعاصين كمنصور مثلا الذي يتردّد أحيانا على منزل الحاجة(وقد سبق وأن أشرنا إلى الغاية من هذه الكنية)لاقتناء قنينة شراب علّها تنسيه خطوب المعطى الخارجي الرّهيب، والمنشور الاجتماعي المزري إبّان سنوات الأزمة القاسية.

ولم تسلم المرأة هي الأخرى من قساوة المجتمع الذي قُوّض ليهدم بدوره طموحاتها وشرفها فدفعها إلى المعاناة رغما عن أنفها، مرغمة مكسورة الجناح فأيّ بنية اجتماعية/سياسية هذه التي يقاومها فرد بكل ما امتلك من قوة، ولكن الهزيمة النّكراء تلحق به دائما في حال رفع الراية البيضاء أو الاستسلام كمأساة الشيخ الذي فقد ولده لأنه مدين لأحد المسلحين، وأُلصقت به أيضا تهمة التعاون مع الإرهابيين...إلى غير ذلك من القصص الحزينة، والمريبة التي أثّرت بدورها على البطل الذي تحول إلى محلّل اجتماعي لاعتقاد سكان القرية بأن سنوات اغترابه تلك قد منحته وسام الاشتغال لحساب الدولة، وآل إلى حضرات، أهلٌ للتقليل من نسبة الأشرار المتزايدة ولكن على حساب الخيّرين أمثال الفتاة والأرملة والشيخ، لأنهم عاجزون عن الثورة أو التمرد على هذا السائد الأليم، وإن اقتضى الأمر تأسيس حزب انعكاسي مناهض ركيزته أناس بسطاء ماديا وليسوا ذا مكانة مرموقة في المجتمع"**وهكذا فقط بالثورة تنجح الموجودات الإنسانية في أن تقضي على الأيديولوجيا**"[1] لكن بشرط أن تكون سلمية محايدة غير قائمة على مرجعيات خسيسة وذات خلفيات قد تعود بالضرر على الفرد والمجتمع معا.

[1] جورج لارين،الأيديولوجيا والهوية الثقافية،الحداثة وحضور العالم الثالث،تر:فريال حسن خليفة،مكتبة مدبولي،القاهرة،مصر،ط1،2002م،167.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- النّسق الاقتصادي:

لم تتعمق الرواية في تبيان الخلخلة التي تعرض إليها هذا النسق، بقدر تركيزها على السياسي والاجتماعي بالرغم من أن استفحال التقويض في كل منهما راجع بدوره إلى تشتيت الكينونة الإنسانية، والدعوة إلى تجاوز الذات والانفصال عن بعض المؤسسات الاقتصادية، وعن المثل السامية التي نشأت عليها في الغالب. إلا أنه قد تم التلميح إلى بعض جوانب هذا النظام كيف لا والمجتمع يصنع الاقتصاد، وهذا الأخير قد يصنعه وقد يهدمه؛ فيرفع من قيمه إذا كان مستقرا، وإذا كان العكس سيؤدي إلى تكريس العجز لدى فئة الشباب خاصة أصحاب الآمال والطموح وتوسيع فجوة الفراغ لديهم، وتصعيب فكرة التقبل لأبعاد المعطى الواقعي، هذا الفراغ سيولّد لديهم حالات نفسية تعكس انكسارهم وتبرّمهم من تكاليف الحياة، وكذا تضجّرهم من فكرة المستقبل والعمل وبالتالي الوقوع في حالة من الاغتراب الوظيفي.

وقد تمت الإشارة في الفصل الأول إلى وجود نوعين رئيسيين من الاغتراب الاقتصادي وجدنا المادّي الذي يؤمن بالمادة كمعيار لتصنيف الفئات البشرية اجتماعيا، فتسود الطبقية والتمايز بعد ذلك، وتتهاوى معه قيمة الإنسان كمسؤول أوّل وأخير عن هذا التطور الاقتصادي الذي أسهم في رقي الحضارة والمجتمع، ويؤول إلى شيء مجرد من المشاعر في عالم اللاّإنسان والجماد؛ حيث تُستهلك قيمته وفضله على محيطه ويسلخ من ذاته ليغترب عنها، ومن ثم عن العمل إذا كان عاملا وعن المجتمع واقتصاده إذا كان عاطلا عن العمل.

وتتجلى المأساة المادية مع البطل أولا حين يستهلّ الراوي روايته بالتقديم لوضعه المادي وأقر بالضيق والشظف اللذين يعانيهما،رغم تخرجه من أعرق الجامعات الفرنسية(السّربون)إلا أن البطالة قد كانت في انتظاره وإذا فكّر في العمل فلا يضع إلا أمل الاستعاضة به عن أستاذة تفرغت للوضع، ولكن منصورا قد اختار لنفسه هذا العسر المادي، متخذا الاتكالية شعارا للحياة لوعيه التام بأن مجتمعه لا يتقن لعبة امتصاص البطالة دائما، آثر مخادعة جيوب الآخرين حتى يضمن لقمة العيش، والتخبط في القرية(كبيئة متردية الخدمات) وبخاصة دار أمه القديمة، وفي غرفة أقدم منها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كل ما فيها يوحي إلى الإهمال المادي إن لم نكن قاسين (بدلا من التوسل بلفظة الفقر) لافتقارها لبعض المستلزمات التي يستوجبها أي مكان مفروض للعيش عدا الثلاجة والمذياع "**أما السرير فخشبي قديم تحدث مفاصله صريرا حين يضطجع عليه، وحين يقوم وحين يتقلب عليه أثناء النوم**"[1] هي حالة مأزومة رسمها منصور بريشة العزلة والانغلاق المادي، لّما فضّل الانغماس فيها لحلاوتها، ولرجعيتها كيف لا وملامح الحنين إلى العصر الجاهلي بدت واضحة لديه، بعد تشبيهه للناس والعصر الذي يعيش فيه بالبدائيين والجاهليين.

هي بسيطة(الحالة) إذن ولا تدعو إلى المغالاة في التفكير المادي الاستهلاكي للتكيف مع الوسط الاجتماعي الذي صار لا يؤمن إلا بالمادة بابا للرقي والازدهار، وإن كلفهم الأمر المتاجرة في الحرام(المخدرات،الخمر)كأبناء عليوة الزوالي، والحاجة وسميرة أو الولوج إلى عالم الإجرام(الصعود إلى الجبل،الإرهاب)كبوخميس، وأيضا السبتي الذي هاجر إلى أفغانستان"**بعدما أقنعه أحد الأئمة أن الجماعات الجهادية تدفع مبالغ مغرية..بينما جعلت منه إشاعة ثالثة ثريا من أثرياء الحرب بعدما باع واشترى كل الممنوعات**"[2] وهذا كله راجع إلى التأزم الاقتصادي الذي ضيق الخناق عليهم بخاصة، وهم يعيشون في قرية لا حول لهم فيها ولا قوة، تفتقر لأدنى المنشآت الاقتصادية والصناعية التي من شأنها أن تقلص من حجم البطالة فيها، عدا ما ذكره الراوي من دار البلدية والبريد المجاورتين للمقهى هذه الأخيرة كانت الملجأ الوحيد لهؤلاء الفارغين، يصف حالهم في المقهى "**وعندما يمر وقت معتبر،ولا تمر امرأة يبدأ بعضهم يحوقل،وبعضهم يبسمل،وآخرون يستغفرون،ليس خوفا من الله بل قتلا للسأم،وقطعا للوقت الفارغ الذي صار ثقيلا،إذ لا شيء أثقل في الدنيا من وقت فارغ**"[3] فأحاط بالجالسين كابوس البطالة من كل جهة، و لم يدغدغ هذا الواقع المرير وللأسف نخوتهم للنّهوض بوضعهم الاقتصادي المتردّي.

---

[1] الرواية، ج1،ص3.

[2] الرواية، ج2،ص 342.

[3] المصدر نفسه،ص 417.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي المقابل تكشف الرواية عن ظاهرة التشيؤ الاقتصادي،وذلك بعد زيارة منصور للمدينة"**وهي أنك تجد في المدينة كل شيء إلا الإنسان،فخطاه مضبوطة وفق خطوط وإشارات وضعها الآخرون،وملأوها بالقهر والقمع،وزمنه مضبوط وفق توقيت مصالح الآخرين...أيّ آخرين !**"[1] فصار الإنسان غريبا في المدينة يجد كل شيء إلا ذاته ورغباته،عالم اللاّمعنى واللاّبشرية؛لأن الأولوية فيه للسوق، والسلع والجاه على حساب الكرامة الإنسانية يبيع البائع سلعا مستوردة لم يسهم حتى في تصنيعها هو غريب عنها لم يستوعب حتى كيفية استعمالها، بخاصة في القرية كيف لا وقد انسحبت الدولة رفقة أجهزتها-التجارية-منها منذ عشر سنين"**ولكل الناس الحق في أن يعرضوا ما لديهم من بضاعة ماداموا يدفعون مكسًا،...ولا أحد في السوق يملك السلطة في أن يمنع المتسوقين أن يشتروا من هذا أو لا يشتروا من ذلك**"[2] فقد عمّ الفساد سوق القرية وآلت إلى مرتع يبيح كل المحظورات خوفا من الكساد ومخافة استفحال البطالة، إلا أن ذلك لم يمنع من نيل الجزاء حيث ضاقت السجون بالراشين والمرتشين، وأصحاب الممارسات المشينة من كل الأعمار نظرا للفراغ الوجودي وغياب الفاعلية في العامل الاقتصادي الذي زحزح غالبية الشباب إلى الانحراف والاغتراب عن القيم والدين، وكذا للإجرام الذي زاد من اشتعال نيران الأزمة وأطال عمرها بتمديدها إلى عشرية ثانية،فأضحوا أفرادا عاجزين كل العجز عن صنع التاريخ، والنهوض بالثقافة عبر الإنتاج الفكري أو الأدبي عدا منصور الشاعر الكاتب المثقف الناقد لمجتمعه والهاضم لتناقضاته، إلا أنه لم يسلم من الاغتراب الاقتصادي(الاستهلاكي) ولكن كانت العاقبة بمشيئته هو!.

3-1 الاغتراب والعولمة:

أشار منصور بفضل ثقافته الواسعة إلى مفهوم آخر قد تسبب في تشيؤ الإنسان، فأكد لعمي الصالح وبنبرة اقتصادية خالصة بأن الهوية قد وجدت حرّة جميلة، إلا أن القرية الصغيرة قد أفقدت

[1] الرواية،ج2، ص258.

[2] المصدر نفسه،ص389

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لهذه الذات سحرها وجمالها الوجودي الذي آل إلى قرف وفراغ. ولما كان للأحادية القطبية(العولمة) الأثر في التأسيس لتمزّقات البشر أدّت إلى ظهور حالة الاغتراب لإغراقها في تكديس قيم الإنسان الروحية، وإحالته إلى آلة تنتج دون توقف،كيف لا والهوية قد مسخت بحجة السياقات العولماتية كإشكالية ذات وجوه متقاربة، والعولمة على حد تعبيره"**قائمة على مسخ الهويات، خاصة في ظل النيوبيرالية المتطرفة،التي تعتبر الإنسان شيئا بين قوسين من مستلزمات الآلة ولواحقها،وكلمة شيء هنا تفهم في سياق التشيؤ حسب ما حدده جورج لوكاتش**"[1] فمنصور يبرهن على قضية التشيؤ الماركسية بوجهة نظر لوكاتشية مفادها أن زمن العولمة هو زمن تسليع القيم والمبادئ وحشرها في خانة اللاّمستحقات لتطور أي مجتمع والنهوض بحضارته.

وهذه البرهنة أكدت على فكرة أن العولمة قد فرضت نفسها على جلّ الأوساط الثقافية منها والفكرية؛ لأنها قد تغذّت من مختلف الأنظمة وأباحت كل التجاوزات التي قد تنفي حياة الهوية المخرومة والمتحولة إلى وجه بلا ملامح وجودية، فتجزم على اغترابها الذي لن يقهر لدى منصور إلا بتقوية الهوية وذلك"**في عولمتها الثقافية وممارستها لإمبرياليتها بمجاوزة مآزقها وإنتاجها لخوارقها من صناعات ومواهب أو رموز ومكاسب تعمل على تعميمها ونشرها**"[2] إلا أن منصورا قد فشل في قهر اغترابه هو وغيره من الذين تشيؤوا وأبوا إلاّ أن ينغمسوا في زمن العولمة الذي قارب بين الأقطار الذي فعّل من اختراق التناهي الوجودي وتحقيق الكينونة اللتين يطمح كل موجود بشري أن يبلغهما بأي ثمن كان.

4-النّسق الثقافي:

قد يتجاوز الإنسان فكرة اعتباره مجرد كائن حي خلق ليستقر فيزيقيا ونفسيا، إلى البحث والتنقيب وتشكيل رؤية خاصة بالكون الذي يعيش فيه، فيحاول أن يرتقي بفكره ويلجأ إلى التجديد في ثقافة بلده لأنه يشكل جزءا أساسيا من مكوناتها الأصلية، ولا يغيب عنا أن

[1] الرواية،ج2،ص153.

[2] محمد شوقي الزين،إزاحات فكرية،مقاربات في الحداثة والمثقف،منشورات الاختلاف،الجزائر،2008م،ص69.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثقافة"**مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة**"[1] لذا فالتأثير والتأثر أمر مفترض بين الطرفين واستقرار هذا النسق ينعكس بدوره على طبيعة ثقافة الفرد الذي يسعى دائما إلى توسيع ثقافته وفق ما يقتضيه المنشور السائد. إلا أن هذا التوسع قد يعود بالضرر عليه،لا لشيء سوى لأن ثقافة المجتمع ترتكز في أصلها على تناقضات قيمية لا تخدم العامة بل تسعى إلى تغليب المصلحة الفردية وبهذا"**لا يصبح المثقف أو المنتج في حقول الفكر والثقافة والسياسة عقلا فعالا ذا هيبة تبجيلية..وإنما مجرد مبدع يمارس حيويته الفكرية**"[2] في إطار ضيّق ومحدود جدا اقتضته حالة التقويض التي تعانيها ثقافة بلاده، ومن المفترض أن تكون-الثقافة-الباعث الأساس"**في صناعة المجتمع ورسم ملامح نوعية تميزه عن غيره،وتؤهله لتقرير مصيره**"[3] وعلى صعيد الالتزام كان على المثقّف أن ينقاد إلى العادات والتقاليد الرائجة من باب التعايش، والحفاظ على الذاكرة الثقافية العامة وعدم تكدير صفو سيرورتها، إلا أن مثقفنا منصور قد عجز عن الذوبان في استراتيجيات لا تنفك تبتعد آلاف الأميال عن طموحاته المثالية، ووعيه الفكري المُبصّر للمنظور الاجتماعي الذي أنساه عقلانيته وأسهم في ترديها.

4-1 غربة البطل المثقـــــف:

كان لمنصور الحظ الوافر من العلم والمعرفة، علم أخرجه إلى النور بنيله لشهادة من أعرق الجامعات(السّربون)أما المعرفة فمن جرّاء المطالعة، وميله إلى النهل من الأدب والسياسة والاقتصاد والفكر والفلسفة والدين كلها عوالم أسست لسعة ثقافته ونخبويته، كيف لا وهو يتخبط في مجتمع يستدعي الإمعان ومن ثم التثمين الممزوج بالنقد القائم على مبدأ التأويل في أغلب الأحيان.

---

[1] نور الدين مسعودان،مالك بن نبي بقلم معاصريه ،ص 21.

[2] المرجع نفسه،ص47.

[3] نادية عيشور،الصراع الاجتماعي ،ص76.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجد منصور نفسه في مجتمع يحتاج إلى إصلاح ثقافي يعيد هيكلة الثقافة من جديد، ولما ألفيناه يسعى إلى اعتماد سياسة التغيير ناهيك عن التقويم السياسي الذي ينشده بدافع الاغتراب وجدناه يرفض عادات وتقاليد، تأسّف عليها لما آل إليها أفراد المجتمع الجزائري، وأهل قريته على وجه التحديد من نبذ للقيم وسحق للمبادئ الدينية خاصة، لذا استلب ثقافيا بحكم الاغتراب الاجتماعي المفترض. وهناك من يعد الاغتراب الثقافي لونا من ألوان الاغتراب الاجتماعي"**حيث إن الانفصال حدث بين المثقف أو المفكر أو الفنان من جهة،والمجتمع الذي ينتمي إليه من جهة أخرى**"[1] والبطل بصفته مثقفا انتبذ واعتزل، ورفض فكرة الاندماج مع مجتمعه، أسقط مؤشر الفاعلية من القاموس الثقافي الذي ينبغي أن يكون، فأعفى ذاته من ممارسة أي نشاط تربوي أو سياسي، أو صانع بالمفهومين التقليدي(المهني) والأيديولوجي، فاغترب عن جلّ الأنظمة واستقل بعقله وفكره مما زاد من فكرة الاغتراب لديه والتي جعلت منه فردا مثقفا ثابتا يحن إلى ماضي الأمجاد،ويستنكر للحاضر العنيف،ويستشرف مستقبلا وإن كان ذا طابع تفاؤلي إلا أنه قد برهن على استلابه الوجودي.

ولتواطآت عرفية وأخرى أخلاقية وجد منصور نفسه تسبح في زيف الزمن، وتتسلل خائفة بين طيّات الأزمة التي فرضت عليه عشر سنوات هو الآخر من الغربة والاغتراب،صار ينفرد في غرفته بعيدا عن الناس حتى يسرد لذاته المقهورة أو لصورة أبيه مرارة العيش في مجتمع لا يعطي للعلم ذرة اهتمام، وحتى يسجل أحداث تاريخ ثقافي مرير اختزل القيم وقمع المثقفين الذين أصبحوا"**أكثر عرضة لتصدع الذات والغربة وانعدام مشاعر القدرة وفقدان الإحساس بالأمن والسكينة**"[2] وهذا ما فقده البطل حين لم يجد لفكره كأديب موقعا في مجتمعه، وإن فكر في التأليف فلضرورة يرومها، وتكمن في إسقاط الأقنعة وتعرية الحقائق المخزية، فألف منشوره "تتمة المخازي"بعد طول تأمل في التمزّقات الحاصلة بنسيج الحياة الثقافية، وأشبع فضوله كمثقف واع بالدرجة الأولى

[1] أميرة علي الزهراني،الذات في مواجهة العالم ،ص149.

[2] عز الدين جلاوجي،سلطان النص، ص337.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكفرد بسيط يعيش بينهم من جهة أخرى"**ولكونه مثقفا فاعلا كان يملك رؤية للعالم،ووجد نفسه وسط مجتمع لا يصنع مصائره،أوجد لنفسه حيزا في شريط زمنه الغارق في الصمت الكاذب**"[1] ونقصد بالفاعلية هنا قدرة البطل على صياغة وبلورة نقد قائم على مقاييس صارمة أعلنتها شخصيته الثائرة على الخلخلة العميقة في البلاد.

ومنصور يقرّ بنفسه إصابته بداء المثقفين الذي سبّبه الهدم الذي ولّده الجدل الدائر بين أقطاب المجتمع الجزائري، و لم يعد بمقدوره إلا أن يطمس هويته الثقافية في وسط قد فرض عليه ذلك،وقد أثبت الفعل السردي كيف أن اللاّنتماء للبنية الثقافية العامة، قد يسهم في ارتهانها على المستوى الفردي بعد رفض العادات والتقاليد وإيثار الاغتراب كحل أوحد يسمح بإسقاط المتناقضات الخارجية على الداخلية منها"**وأنا يا أبي كأني مصاب بداء المثقفين العضال،لا قدرة لي على المواجهة، ولا طاقة لي بالحياة الخشنة،ويا كم أخاف أن أراني أتفيّأ ظلال مشنقة يوما ما،أو أؤنس وحشة زنزانة رطبة،أو أرى دمي على إسفلت الطريق...ربما أنا جبان وليس عيبا الجبن في "المثقفين"**[2] يرى نفسه جبانا ويزداد عمق الجبن لديه بعد وقوفه مكتوف الأيدي أمام السوداوية التي اقتضتها فوضى النواميس، وخراب الأنساق التي جمّدت حرية التقدم بالحريات الثقافية ووسعت من دائرة الاغتراب الثقافي لدى الشخصيات المتمردة والمداومة على جعل القلم خدوما لمبادئ الحق ونصرة المصلحة العامة، ولن يلفظ هذا القلم أنفاسه الأخيرة إلا بعد تقويم الاعوجاج الثقافي الجامع لمفاهيم كل من العادات والتقاليد والأطر الإثنوغرافية المحيلة إلى الطابع العام.

وتتفاقم مأساة منصور الثقافية حين يشلّ الخارج الثقافي جهوده الفكرية ويوجهها إلى المنعطفات السلبية بدءا بالتأليف الذي خدم اغترابه، وعكس عداءه للمزيّفين وصولا إلى إيثاره لبعض النماذج الإبداعية المستفحلة هي الأخرى لفكرة العزلة وعدم الاندماج مع الآخر ككتب الحلاّج وغيره"**سعيا من خلال جهده الفكري إلى تجاوز حالة الفوضى والخواء الروحي،وتخليص**

[1] الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص 142.

[2] الرواية،ج1،ص148.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثقافة من تناقضاتها القيمية والتصورية"[1] وهذا الأمر يستدعي عقلنة واسعة، وأي عقل ينتظر منه وقد أرغمته الأوضاع الثقافية من تردٍّ للقيم وانحدار في الجانب الجوّاني(الأخلاقي) على إتقان دور المجنون المغفل على خشبة مسرحها الملغم بالذئاب البشرية،الساعية إلى طمس الثقافة وقهر المغلوبين فهو يعيش زمنا عُجن بطينة الجهّال المغرضين، مجتمع تسوده التداخلات السياسية والدينية المعرقلة لسير الأنساق الثقافية بعد وضع التعصّب حليفا لحل المشكلات. فكابد المثقف منصور هذا الانحطاط بالعزلة والانطواء واختلاق الجنون وارتداء الخف النّسوي المعبر عن الاغتراب الجنسي والرّكود الذي مسّ مبدأي الأصالة والمعاصرة اللذين أبرزا وبوضوح التمايز الثقافي الحاصل في الجزائر لا لشيء سوى لأن زمن الرجال والأبطال قد ولّى.

4-2 التّماهي السيري (تطابق الاغتراب):

بما أن الاغتراب قد هيمن بفعل المفارقات المتباينة(الفتن،القتل،العنف،الزيف،الاضطهاد..) على أغلب الأنسجة الثقافية والاجتماعية وغيرهما، سلب بدوره مقومات الإنسانية، وجعل تجربة هذه الأخيرة مأساوية تفتقر إلى أدنى السبل المؤدية للسمو بالذات إلى ما تستحقه من طوباوية ورغد.ولأن الرواية حل للخروج بالدّفقات الشعورية إلى سياقات جد معقدة(كالسيكولوجية مثلا) غدت الوعاء المبرهن على الواقع التراجيدي الذي يعيشه الفرد/المثقف الجزائري،لأن الأزمة وبمخلفاتها قد ترسّخت في وعي المثقفين، وتجاوزت ذلك إلى سلخ هذا الوعي وتقزيمه وقهره واغترابه،إمّا بفعل الأيديولوجيا الحاكمة أو بفعل الذّوات المضادة الرافضة للمجريات السياسية منها أو الاجتماعية.

والرواية كما يعتبرها غولدمان تجسيد آلي لوعي الكاتب فنلفي ذاته حاضرة إلا أن هذا الحضور يختلف من رواية لأخرى،كل حسب تماهيه في البطل أو في شخصية منتقاة لغرض التقنع بغية نقد المجتمع وتأسيس رؤية خاصة قائمة على أصول النظر والتمعن القويم"**فتأخذ الرواية طابع كاتبها**

[1] أحمد موصللي،لؤي صافي،جذور أزمة المثقف في الوطن العربي،دار الفكر،دمشق،سوريا،ط1،2002م،ص129.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بكل تكويناته وخصائصه،كما تأخذ من المتلقي خصائص أخرى"[1] و قد تحدث رواية التسعينات في الجزائر الواقع بسلاحه، لّما مرّرت عن طريق الأزمة خطابات متباينة لتباين كتابها،فكتب المثقف الصحفي بنمط العنف الإعلامي،والمثقف العسكري بلغة العنف المسلح أو بالاستناد إلى العمليات الإحصائية المعاينة لعواقب الأزمة الفعلية، أما الطالب الجامعي والأستاذ الكاتب بخاصة فقد استند إلى حيثيات ذات طابع أكاديمي فعّال، امتهن الحرفة وابتعد عن قمة الاستهلاك كما يرجعها بعض النقاد، وإن كانوا محقين في ذلك إذ إن بعض الروائيين قد استقصدوا ولوج الساحة الأدبية/الروائية بتقنية الاستغلال، بغرض تغليب المصلحة الفردية المنافية لمبدأ النزاهة الأدبية الذي يتطلب الغاية التقويمية من هذه المغامرة الكتابية، ومن ثم الفنية الجمالية كوطر مرجو.

أما الكاتب عبد الله عيسى لحيلح فقد كتب بدافع الاغتراب الحقيقي الذي عاشه، لم يسلم هو الآخر من أنياب وبراثن الأزمة بجل أوضاعها، وبصفته مثقفا مزج ذاته بقلمه وسمح للمروي بأن يفصح عن صرخات أناه المغتربة هي الأخرى، فالروائي الكاتب والأستاذ الجامعي يتقاطع والبطل منصور المتيّم بترجمة سمفونية الصّراع، والجدل القائم بين الفرد والمجتمع في مخطوطاته التي تسردها خواطره الليلية؛ فقد عاش الروائي فترة التسعينات وبرع في تحسيس القارئ بقفْر الواقع المأساوي لأنها قضية تعني كل الجزائريين، وإن كان يضاهيه-البطل-على المستوى الفيزيقي كاللحية واحمرارها"**مثل كل الغرباء واللاّمنتمين...شعره منفوش،شعر ذقنه الأشقر صار يبدو وكأنه لحية،أما فحْصته فقد مال لونها إلى السواد"**[2] ويتقاربان في السن والفارق بين الجزأين الأول والثاني هو عشر سنوات أي أن الحاصل هو سن الأربعينيات، ولا يغيب عنا أن لحيلح من مواليد 1963م، فعمره ثمانية وأربعون سنة. ويتقاطعان في هواية المطالعة والتأليف وهذا التّضاهي ليس من باب الصدفة.إلا أن ما يهمنا هو درجة التّماهي الفكري بين البطل والكاتب، فلما ألفينا بأن هذا الأخير قد جسّد شخصيته المثقلة بالهم الثقافي ثم السياسي،كان للأزمة والظروف التي مر بها

[1] الشريف حبيلة، الرواية والعنف ،ص 3.

[2] الرّواية،ج1،ص76.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفضل الكبير في تشكيل منظومته الفكرية والثقافية وتوجيهها أيضا، مما ساعد على رسم شخصية البطل بجماليات معرفية وأيديولوجية معمّقة بينت مدى التأثر والتأثير الحاصل في المتلقي الذي وجد ذاته و أناه في هذا المروي لا لشيء سوى لجزائريته.

وباطّلاعنا على بعض المحاورات التي أقيمت مع الكاتب لحيلح، مع محاورتنا له هاتفيا كذلك استطعنا أن نؤكد فكرة التطابق أو التّماهي التي عكستها ظلال الرواية، فقد أقر الكاتب بأن هنالك تقاطع مباشر بينه وبين البطل في توحد الرؤية للعالم وتحديد الأفق، وتفضيل العزلة والهروب من الواقع لأسباب قد تتعلق بقضية نقض، وخنق للحريات أو لدوافع ذاتية نابعة من غيرة المثقف على المشروع الأعظم الذي يأمله على غرار الكتاب-المثقفين-القوميين، ألا وهو مصير النهضة في المجتمع الجزائري وهذا ما يؤكد على أن لاغتراب المثقف-عموما-بواعث عديدة لعل أهمّها كحوصلة لما سبق:[1]

1-يتعلق السبب الأول بقضية الحرية وما يتعلق بها من مداخلات السلطة السياسية والاجتماعية.

2- أما السبب الثاني فيتعلق بصدمة المثقف بفعل تعثر المشروع النّهضوي والقومي.

فلرهافة حسّ الكاتب وحساسيته نجده أشدّ الناس تأثرا بالمجريات السياسية والاجتماعية والأوضاع الثقافية، ولا يقف مكبّل الأيدي بل يسعى دائما إلى تأطيرها وصياغتها وفق"**الإطار العام للإنسان الذي يفكر،ويتأمل ذاته،ويغوص داخلها بغرض جعل الدّنيا موضع سؤال**"[2] ليعيش اغتراب الوجود، وقلق المصير بسبب جهل حقيقة المآل النّاجم عن التخوف من فكرة تعاقب العثرات الواقفة أمام طريق التنمية الثقافية خاصة.

ونزعة التشويق بادية في الجزء الأول من الرواية إذْ إن الكاتب قد أحيا الفعل السردي عن طريق الإمساك بالنهاية في الجزء الأول، وجعل كلاّ من مكان وزمان هروب البطل مجهولا وغير مقرّر بعد أن كشف المستور وعلق المنشورات التي تسببت في الفوضى العارمة التي لم تشهد القرية مثلها

[1] محمد راضي جعفر،الاغتراب في الشعر العراقي ،ص (bمن المقدمة).

[2] عمر منيب إدلبي،سرد الذات ،ص65.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من قبل"**ورغم أن الناس قد اختلفوا في شأنه،فمن قائل:إنه فرّ ليلا،إلى ثان يجزم أن الأمن السري قد ألقى عليه القبض..إلى ثالث يجزم أنه قتل**"[1] لكنه لم يقتل بل عاد من رحلة اغترابه تلك سالما غانما وهذا ما أقره الجزء الثاني، حين أمسك فيه بالبداية مبينا أن سنوات الغياب المقدرة بعشرة أعوام قد سيّبت معها فكرة الغربة المكانية، والاغتراب الروحي والثقافي إلى الأذهان لكن دون تحديد للتفاصيل الزمكانية، هذا من جهة ومن جهة أخرى مكنّنا التنقيب في الخلفيات السابقة للرّواية من استنطاق التشكيل البيئي والنفسي للكاتب الذي عاش الاغتراب حقيقة، وابتعد عن المدينة آثر الوحدة بين ظلمات الجبال العالية ليتفرغ للتأليف الذي أثرته مخالطاته للجماعات الإسلامية المسلحة ونأيا عن التحقيق في البواعث والحقائق اكتفينا بالشهادة التي تركها الكاتب في آخر صفحة من الجزء الأول"**بدأت كتابتها في جبال بني عافر بتاريخ5-4-1998م وأنهيت كتابتها في جبال سدات بتاريخ 28-10-1998م**"[2] وأي دافع غير الافتقار إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمية يؤدي بأستاذ جامعي ذي ثقافة واسعة إلى الفرار من الضوضاء السياسية والاجتماعية إلى جبل يجد ذاته فيه رغم المخاطر الأمنية فقد اغترب إلى وجهة الاغتراب،ابتعد عن الناس بما فيهم الأهل والأحباب ليعيش تجربة الطبيعة القاسية.

ولمأساة لحيلح حيز في رواية أب الرواية الجزائرية الكاتب-رحمه الله-الطاهر وطار في عمله"**الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي**" الملحمة ذات الطابع الأسطوري كما يقر كاتبها متوسلا بالرسالة من حيث الشكل والمضمون،للتعبير عن المضامين السردية المختلفة. يستلم الولي الطاهر ظرفا يضم بطاقة تهنئة صغيرة، ويحوي أيضا رسالة باعثها هذا الذي صار محطّ أنظار الجميع، المجرم الخطير المدعو عيسى لحيلح-على حد تعبير الراوي-وقد انتقينا ما يخدم برهنتنا على اغتراب الكاتب فاقتطفنا قوله"**أي نعم سيدي...من الجبل أكتب إليك،بعدما قرروا قتلي وقررت أن أعيش،وصادق الله على قراري،فنجاني من القوم الظالمين،لو تدري كم تصير الحياة شهية**

[1] الرواية،ج1،ص285.

[2] المصدر نفسه،ص 286.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومقدسة تحت جحيم القصف وزخّات الرّصاص؟"[1] فيفصح الكاتب بلغة الواقع والسرد في الآن نفسه لبطل الرواية"الولي الطاهر"عن سوداوية الحياة وتهديد الظلاميين بوضع حد لحياته، وهذا دليل على حالات الهلع والفزع التي زرعها الجبل في الروائي، لما اختار الاغتراب المكاني بتغيير الوجهة من قرف المدينة والمجتمع عموما، وغرر بنفسه إلى حيْن الاغتراب الأمني والنفسي وغيرهما، فلم تبق حياته كما كانت عليه في السابق، إلا أن لتجربة الجبل الفضل الكبير في جعل الكاتب يمحي بعض الأفكار والرؤى الخاطئة التي دفعت به إلى عشق التسامح كمبدأ نبيل لأنه"**لا يقدر فضيلة التسامح إلا من كان ضحية الحقد، ولا يعرف قدسية الحياة إلا من أفلت بين أظافر الموت، ولا يعرف قيمة الآخر، إلا من يقضي الليل البارد خلف شجرة بلوط يتربص بهذا الآخر ليقتله وهو يعلم علم اليقين،أن هذا الآخر يتربص به هو كذلك ...ليرد له الجميل كم يبدو الأمر عبثيا"**[2].

يقرّ لحيلح للولي بأن سنوات الأزمة قد مرّت عليه قرونا، لأنه تجاوز فكرة الفرد الجبان المغترب أمنيا، إلى الفرد المغترب سياسيا إذ إنه لا يفرق بين السياسي والساحر يرى الحياة في الجزائر عبثا وقد قاتل وحمل السلاح ضد الآخر الذي تجنب الإفصاح عنه، لأن القمع قد استنطق فيه رمزيات العنف المبطنة في اغتراب أيديولوجي، يسعى من خلال لواء الدين إلى توجيه رسالة نقدية تحتكم إلى معايير الإسلام السياسي، ولكن حلّ الجبل خارج عن إرادة الكاتب المغترب"**فقد أجبر على هجر مدرج الدراسة بجامعة قسنطينة، ترك طلبته وطالباته والقلم والقرطاس وجاء يعظ ويرشد ويقتل...يمتلئ شعرا يمتلئ وجدا،يمتلئ حبا يمتلئ كراهية.."**[3] كلها أمارات دلت على استلابه وإنكاره الكلي للعالم الذي يتخبط فيه، والهجر ملمح من ملامح الاغتراب لأن حلّ الفرار تجسيد فعلي للفجوة الكبيرة بين البنية الداخلية للأنا المثقفة وبين البنية الاجتماعية الخارجية.

---

[1] الطّاهر وطار،الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزّكي،مطبعة النجاح الجديدة،الدّار البيضاء،المغرب،مارس 2000م،ص117.

[2] المصدر نفسه،ص120.

[3] المصدر نفسه،ص121.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالاغتراب السياسي بدا واضحا في الرسالة الموجهة بحقائق يعلمها كل الناس، مما جعل تمظهراته طاغية هي الأخرى، وموجهة لباقي الاغترابات التي توسلت بالغربة عن الدين وأحكامه بالفهم الخاطئ للإسلام. أما التقاطع بين غربة الكاتب وغربة البطل منصور جلي هو الآخر بدءا بتشابه ثقافة كل منهما، وصولا إلى بعض القناعات التي عدت بمثابة رؤى خاصة للعالم الخارجي والمترجمة للاغتراب الفعلي الذي عاشه كل منهما، وأبرزها إيمان منصور بأن عصر الجاهلية قد ولى للانحدار الطاغي عل جل المجالات فهذا الكاتب يقرّ بأن"**الجاهلية ليست فترة زمنية سابقة عن الإسلام بل هي وضع اجتماعي تكون خلاله الجماعة البشرية تعيش بغير معالم، أو هي تلك الوضعية المتشكلة من كوكتيل الأيديولوجيات والأفكار والآراء**"[1] وقد سبق وأن أشرنا إلى أن منصور يعتقد بأن كل الرّجال غلمانه وكل النساء جواريه، و الإنسان الجاهل هو ذاك الطيب الذي صار يتكلم بلغة جافة الأوصال، المؤمن بزيف الديمقراطية المؤقتة لأغراض قوامها الوصولية"**ستكون طيبا وجاهلا،يعني مواطنا صالحا إذا صدقت ذلك..إنها استدراج سلطة ليتميز الناس فتسهل التصفية**"[2] فكل من الكاتب والبطل يرجعان اغتراب الزمان ومنه الإنسان عن مفهوم العصرية أو المعاصرة الحية باستنهاض الهمم للسير قدما نحو الرقي المرجو، إلى تفشي الجهل وعودة العصر الجاهلي القديم نظرا لتدهور الوضع الاجتماعي، كما ربطاه بانقياد الفرد واستحماره من طرف الهيئات العليا. وقد عبّر الروائي كذلك بالمصطلح السابق-الاستحمار-عن اغتراب اقتصادي آخر ذو بعد ثقافي أفسد على الإنسان حق الاستمتاع بالقيمة في الحياة، وحوّله إلى شيء مجرد، هذا ما ألفيناه لدى منصور حين أرجع تشيؤ الفرد إلى طغيان العولمة، وامتصاص الحريات وهاهو الكاتب يوافقه في رأيه، ويماثله في اغترابه"**إن العولمة تستهدف استحمار الشعوب من خلال نشر نمط ثقافي استهلاكي والعمل على استخفاف الإنسان وتشييئه،وتفريغه من خصائص وخصوصياته**

[1] زهية منصر، حوار مع الروائي عبد الله عيسى لحيلح ،الشروق،24 أوت 2008م.

[2] الرواية،ج1،ص148.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي تصنعه الثقافة"[1] وهذا وجه من أوجه التّماهي المبرهن على حالات اغترابية تخبّط فيها كاتبنا، وبحقائق ليست بالعسيرة على كل قارئ لبحثنا أن يحصل عليها باعتباره أستاذا بجامعة جيجل يتيح فرصة التقرب لكل مثقف يسعى لخدمة العلم والبحث في مجال الأدب بوطننا الحبيب، فقد أولانا اهتماما لجميع انشغالاتنا واتصالاتنا المتعلقة بأثره الأدبي. وكثيرة هي الدلالات الرامزة والموحية إلى وحدة الهدف، وتطابق الرؤية المرفقة بالنزعة التأملية، وبروز الشاعرية فمنصور الرومانسي المغترب الهارب من الطبيعة يتوسل بالشعر في أحايين كثيرة حتى يستبشر أو يحذر أو يسخر وإلا يستشرف فهو شاعر، والشاعر لحيلح أيضا عبّر عن معاناته مع الحياة، والبشر وانسلاخه من جلد الحرية بالترصد للآخر، والابتعاد عن الأقارب والأحباب لسنوات طويلة حتى يتجاوز عبر شعره فكرة حصر هذا الشق الأدبي-الشعر- في عده مجرّد قصائد تحوي أعذب الكلمات التي تترنم لها الآذان، وتجيش لها العواطف إلى"**انفعال وفعل ونوع من الوعي ولذلك فهو بالضرورة نوع من الفكر**"[2]

فيقول الشاعر لحيلح:

أبكي الغيوم ، وكالإسفنج أعصرهـــا فينـــتـــشي رحم الأطـلال بالـبـــرد
واستنفر المطر الموسمي دمنـتـهـا واعشوشب القحط في مرعى " بني أسد "
لا تفطميني ...فثدي الخوف يرضعني إنـي أخـــاف... أخـــاف الليـل في بلدي
لا تتركيني لناي الصمت يـعزفنـــي أنت اللّحون ، فدوسي الصمت في جسدي[3]

ففي قول الشاعر"**أخاف الليل في بلدي**" تصريح واضح بالاغتراب النفسي والأمني اللذين يعانيهما الكاتب في بلده بفعل الظروف السياسية المتقهقرة، و لم ينجم هذا الخوف عن العدم بل لحساسيته المفرطة كروائي وشاعر أخرج تداعياته إلى النور بفضل الإبداع على الصعيدين الواقعي و الفني "**لكي يتمكن كذات حرة سلب العالم الخارجي من غربته،وكي يتمتع في شكل الأشياء**

[1] زهية منصر،حوار مع الروائي عبد الله عيسى لحيلح،مرجع سابق.
[2] أدونيس،الصّوفية والسوريالية،دار الساقي،بيروت،لبنان،ط2،1995م،ص154.
[3] عبد الله عيسى لحيلح،وشم على زند قرشي، دار البعث،قسنطينة ،الجزائر،ط1،1985 م،ص49.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونسقها بحقيقة خارجة عن نفسه"[1] فلن يجرؤ أيّا كان على الكشف عن الآفاق العلمية أو الاجتماعية المضمرة إلا المثقف المتميز.

كما يتقاطع الروائي والبطل كذلك في قضية العجز عن الإمساك بالواقع، رغم وجود حافز الوعي الناضج،أو ما يعرف بالوعي القائم والكائن في الحقل البنيوي التكويني لما تسلح كل من الكاتب والبطل بالاغتراب الذي احتوى نضج وعييهما. وقد يلجأ بعض المثقفين إلى الفرار من المجابهة أو تضمين نقدهم للمجتمع أو رغبتهم في إناطة لثام الفساد بداخلهم "**ومعنى هذا أن صدق الوعي قد أصبح مرادفا لعدم القدرة على الإمساك بالواقع كله فضلا عن تفسيره"**[2] ولحظة الصعود إلى الجبل من قبل الكاتب والفرار المجهول للبطل منصور لمدة عشر سنوات من الغربة والاغتراب، ملمح من ملامح فقدان الأمل في إمكانية الانسجام أو التوافق مع حتمية النّموذج الواقعي اللاّمعياري واللاّقيمي إبّان التسعينيات.

فقد أثبتت ذاكرة الكاتب الثقافية والأيديولوجية حضورها، ومشاركتها من خلال جدلية أنا البطل مع واقعه المرير، إذ صار لكل منهما الشجن الذاتي الممزوج بوعي طمسه المنشور الخارجي/الثقافي بخاصة، وعلى هذا الأساس توحّد الشعور بالاغتراب عند كليهما.وكختام لمقارنتنا قد نبيح لأنفسنا فكرة الاعتقاد بأن الغربة المجهولة لمنصور قد قضاها على غرار الكاتب بين غياهب الجبل، وأن رحلة العودة في الجزء الثاني تمت بعد الوئام المدني حتى يأوي إلى عزلته وشياطينه وكلبه الأنيس،أما الكاتب وبعد أن تقنع بالبطل لنقد المجتمع،عاد والعود أحمد إلى التأليف والانسجام مع الأنام...

[1] مجاهد عبد المنعم مجاهد،جدل الجمال والاغتراب ،ص 84.

[2] رزان محمود إبراهيم،خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة،دار الشروق،عمان،الأردن،ط1،2003م،ص201.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا/واقع الدين والمسرى الرّوحي للاغتراب:

1- النّسق الديـــــني:

إن لهذا النّسق الأهمية القصوى في عمليتنا التأويلية، بخاصة وأن حضوره قد استنطق بخطاب الدين باقي الخطابات السياسية والاجتماعية وغيرهما الممررة من خلال هذه الرواية، وبعد أن أبرزنا الأنماط الاغترابية التي قد خلقها تقويض النسقين السابقين باعتبار التواتر السردي(أي طغيان المحيلات الحدثية التي أعطت أحقية السيادة للمجال السياسي والأيديولوجي ومن ثم الاجتماعي) ألفينا أن الدّين كفكرة وكمعتقد قد اتُّخذ شعارا للممارسة السياسية بخاصة؛ فوجدنا بأن أصحاب الأحزاب المذكورة في الرواية قد احتجوا بالإسلام وبلفظة الجهاد التي سبق وأن شرحنا مدلولها الفقهي، باستباحة التقتيل وزهق الأرواح حتى يبلغوا مطامعهم المتباينة، فارتبط الدين في هذه الرواية بالأيديولوجيا ارتباطا وثيقا؛ لما تقنع سلفية القرية بالجماعة الدينية من منطلق أن يد الله مع الجماعة وأقاموا لأنفسهم حيزا فكريا خاصا، استجمعوا فيه كل أفكارهم المسمومة والمحرّفة لأحكام الدين والمجسدة للعداء الواضح للسلطة، والمغالاة في تطلعهم إلى بناء دولة إسلاموية تقضي على بقايا النظام الحكومي الفاسد فيتجلى الصراع الديني"**بين الأفراد والمجتمعات حينما فقط تصطدم غاياتها الدينية والنهائية والأهداف المؤقتة في إطار علاقاتها بالآخرين**"[1] وهذا الآخر هو الدولة بالدرجة الأولى، وبعض الجماعات المنادية للثورة الإيجابية وللنهوض بالجزائر من وعكته المريرة.

ويتجلى الفساد الديني في فساد المسؤولين بدءا من الإمام الذي نجح منصور في استدراجه إلى الحرام بعد أن أشاع "ابن الهجالة" خبر تواجد المغترب المجنون مع فتاة شقراء ممتلئة الجسم كانت في الواقع أخته لكن البطل قد تكتم على الأمر، ووعد وتوعّد في باطنه بأن يكشف عن القناع الذي يرتدونه بخاصة "الشيخ" الذي لم يحظ بالمستوى الديني المطلوب لقيادة الشباب، وتنوير العقول بالأحكام الشرعية المضيئة للدروب والمقوية للإيمان، وإن سئل فعن جنس النملة التي كلمت سيدنا سليمان، أوعن عمر مريم لما أنجبت المسيح عليه السلام أو عن موضع المخاط هذا الانغلاق قد

[1] نادية عيشور،الصراع الاجتماعي بين النظرية والممارسة ،ص71.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عكس التردي الديني الذي تعانيه الجزائر لمحدودية التفقه المطلوب في التعاليم التي أتى بها الإسلام كما برر هذا التقاعس عن أداء الواجب الديني المفروض، لجوء العديد من سكان القرية إلى العنف والإجرام وإلى ممارسة مهنة الإرهابية، والأفعال المشينة من كذب ونفاق وزنا"**فأي مجتمع هذا الذي تصبح فيه على جريمة زنا،وتمسي فيه على جريمة لواط،وبين هذا وذاك تتقلب على معاصي شتّى**"[1] والإمام كان يجدر به أن يُفهم هؤلاء-تزامنا مع الوضع المضطرب-بأنّ"**من قتل نفسا بغير نفس أو فسادا في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**"[2] وأن لذّات الدنيا باب واسع لعذاب السعير ولنار لجهنم إلا أنه قد كان السباق إلى الزنا بعد أن اتفق مع منصور على موعد العاشرة ليلا حتى يتذوق طعم السمك الأشقر اللذيذ؟...هذا مثال حي عن الزّيف الديني إمام يمارس الزنا ويفتي بقدر المكافأة فيحلل الحرام متى شاء ويحرّم الحلال أنّى يشاؤون.يأمر بإخراج منصور من المسجد بحجة أنه مجنون و لم يعلم بأن الإسلام دين ترحيب لا ترهيب، يتلاعب بقداسة الدين بالتصريح بأن عذاب الله محصور في التعليق من الأشفار فأيّ انغلاق ديني هذا؟ الناس مغتربون عن عقيدتهم لسوء فهمهم لها وستزداد علاقتهم بدينهم تعقيدا، وسينغمسون في بوتقة المصادرة والانحراف لأن غذاء الروح قد قوض وشلّ.

ومن جهة أخرى أدّى التعفن في سير هذا النسق إلى ظهور الجماعات المتطرفة فمظهرهم يوحي بالتدين والالتزام(العباءة الحجازية،اللحية،التعطر بالمسك) هذا المظهر الذي فكر البطل بأن يتبرأ منه في يوم من الأيام"**أمسى وهو يفكر في أن يتخلى عن هذه اللحية،وعن هذه العباءة،بل يتمنى لو استطاع أن يتخلص من تقاسيم وجهه**"[3] إلا أن قلوبهم المريضة منسلخة تماما عن مبادئ الإسلام وعن تعاليمه الروحية والخلقية"**فها هم المتدينون يصاحبون تلاوة القرآن بمضغ العلك،أو الحديث في أسعار السّلع،أو في سنّ الأخوات وما بينهن من فروق جسمانية**"[4] يعيشون في

[1] الرواية،ج2،ص303.

[2] سورة المائدة،الآية 32.

[3] الرواية،ج2،ص 303.

[4] المصدر نفسه،ص 242.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جلود غير جلودهم يمجدون المال والربا والزيف، ويتقاذفون بالألقاب المحيلة إلى انغلاقهم الفكري"**هؤلاء بالضبط الذين تجدهم يتدافعون بالمناكب قدام أبواب المساجد،وحول أحواض المائضات، متأبطين سجادات صغيرة...هؤلاء هم الذين تراهم متجلببين في البرانس والعباءات الحجازية...ويخرجون وما علق بقلوبهم شيء،لأن القلب لم يعد يه متسع لشهوات الروح بعد أن اكتظ بشهوات الجسد**"[1] وعدم الارتواء الديني سيؤدي إلى الفراغ الروحي، والأمر الغريب هو أن محيط القرية يفتقر للمغريات التي نلفيها في المدينة مثلا من فجور معلن للنساء أو انتشار واضح للملاهي الليلية التي من شأنها هي الأخرى أن تلهي نفوس الناس عن الطاعة المثالية وبكل مقوماتها.

وللأسباب السياسية أيضا الأثر البالغ في فساد النسق الديني وزعزعته إذ أن الإرهابيين أو الجهاديين كما يسميهم الراوي قد اقتحموا المحظور السياسي وعارضوا النظام الأيديولوجي الحاكم بحجج إسلامية بحتة بدءا من التسميات fis أي الجبهة الإسلامية للإنقاذ، أو gia الجماعة الإسلامية المسلحة،والفتاة التي راحت ضحية القهر السياسي الممارس مثلما سبق وأن أشرنا،والإمام الخائف على الإقالة من منصبه هؤلاء افتقروا إلى الإيمان بالله"**وبالتالي عدم إشباع العاطفة الدينية يؤدي بالضرورة إلى ظهور التمرد والعبث واللامعقول،والشعور بالغربة والاهتمام بمشكلة الشر**"[2] فمن هذه المقولة يمكننا تصنيف هؤلاء الذين حققوا لأنفسهم عالمهم الديني الخاص بهم من جراء التجرد الجزئي أو الكلي من المشاعر الدّينية التي فرضتها عليهم ظروف البلاد المزرية والمتقهقرة، وإلا تتحول هذه المشاعر إلى عمق أيديولوجي صوفي كما هو الحال عند البطل:

1- التّمرد ← الطالبة الجامعية،الحاجة،المنحرفون

2- العبث ← الإمام،المصلّون المتخاشعون،المنافقون

3- اللامعقول ← البطل منصور وحالة التصوّف بالحلم العجيب

[1] الرواية،ج1،ص 136.

[2] محمد زكي العشماوي،دراسات في النقد الأدبي المعاصر، ص95.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- الشـــــرّ ← أصحاب السهل،أصحاب الجبل

5- الغربة ← كل الفئات المذكورة سابقا.

ولا بأس في استكمال تتبع مسار الرّحلة الاغترابية التي قد استغرق في مغامرتها منصور الذي ألفيناه يعصي الخالق عز وجل تارة، من ثم يتوب عن فعلته، يصلي أياما ويتناساها لأيام طوال واغترابه عن البشر أدى به إلى الانفصال عن بعض العبادات المقوية لإيمانه، وخير دليل على ذلك إجابته لعمي الصالح الذي نعته بالمنافق، لعدم رؤيته يصلي في المسجد"**إنني أصلي يا عمي الصالح،ولست في حاجة إلى أن أقدم تقريرا يوميا في هذا الشأن لأية جهة كانت،لكنني لا أصطف مع الذين يتفقدون مواطئ الأقدام ولا يتفقدون مواطئ القلوب،وتنتظم قاماتهم لتتنافر أرواحهم**"[1] فتواجد منصور بين أناس منافقين، يتباهون بالصلاة لتغطية دسائس مواطن أسرارهم، ولاعتقاده أن المسجد قد تشوه بدنس هؤلاء، أعفى نفسه من مهمة وجوب أداء الصلاة مع الجماعة التي يتزّعمها إمام إذا رأى منكرا جلّله، وأحاطه بالمباركة والقبول،وإن كان العكس كان الموقف الرفض والعدول.

1-1 حلم الشّقاء الإنســـــاني:

قد تخرج الرواية عن نطاق الواقع إلى أطر غريبة بعض الشيء تكمن غرابتها في التوسل ببعض المفاهيم أو العوالم الغامضة التي اقتضتها المأساة الإنسانية بمختلف أبعادها، ولأن الإنسان ولد لكي يعيش أزمة الوجود بكل ما فيه من تقابلات، أي فرح/حزن،موت/حياة،خير/شر...يجد نفسه مرغما على مغادرة لعبة الحياة القاسية، نظرا لافتقاره الشديد إلى أبسط الأساسيات من جهة،أو لأن تركيبته الفردية قد فرضت عليه نوعا من المجابهة ذلك أنّ مقياس المبدأ يتنافى وواقعه المر .

ولأن منصورا قد تحرّر بفكره من تفاهة الحياة التي خيّبت ظن وعيه فيها،كان له أن اغترب بنفسه عنها وعن غيره من الناس، عادى هؤلاء وكرف خطاياهم ورسم لهم أبشع صورة عكست باطنهم الزائف وحقيقتهم الهائرة، ابتعد عنهم وقرّر الانزواء بغرفة باتت عالمه الخاص، وإن اضطر

[1] الرواية،ج2،ص194.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للتعامل المادي معهم فلضرورة ضمان لقمة العيش، هذا اغتراب مادّي إلا أننا نلفي نوعا آخر من الاستلاب الذي ترجم يأسه من عالم يسوده الزيف، والقهر والعنف والتشيؤ والرياء، والعديد من الأوبئة النفسية التي أدّت إلى تعفن المجتمع وانحلال القيم فيه؛ فأراد البطل أن يحتمي وسط عالم آخر من شأنه أن يجعل أفق الأمل والنهوض بالتاريخ محتملا،عالم مميز مخالف للواقع المادّي الذي يتخبط فيه هو وباقي الأفراد، قد يصير معقِلا يحرّرهم من بطش الأيدي الملأى الفارغة، والأنفس الغنّـــية المفلسة، والعقول النيرة المفتقرة إلى قبسة النور، نور الحقيقة والعدالة الغائبة في المجتمع الجزائري والحرية والديمقراطية وممارسة الفاعلية الاجتماعية، واحترام القداسة الدّينية وتنمية الروح الثقافية ومن شأنه-العالم-أن ينجّي الإنسان المغترب من التيهان أوالحيرة في متاهات القدر الذي"**يقف قوة كاسحة تجتاح عالما مستسلما،ويقع الإنسان ضائعا،كورقة في مهب الريح، أو كنملة تنسحق تحت أقدام إنسان شارد مشتت الخواطر**"[1] ولما وجد منصور نفسه في مواجهة دائمة ومتجددة مع الواقع،استدعى الأمر منه السعي الدائب إلى إيجاد"**الخلاص في مرحلة ما بعد الموت وذلك بعدما تيقن من ملازمة الاغتراب له في حياته**"[2] وبعدما ألفى وجوده مضطربا نشأ من وعيه لذاته في ظل ظروف موضوعية واجتماعية مزرية أضحى إنسانا ضعيفا يستسلم لأفعاله، ولشهواته يعصي الخالق ويشرب الخمر عله ينسى مأساة ذاته المنسوجة بخيوط الانكسار وعتاب الضمير في"**ذلك المنفى الاغترابي، الذي لم يكن فقط إطارا لكل هذه الظاهرة الضميرية،والمناخ الموائي لكل التأملات التي أنتجت قدرا مهما من الفكر المناهض**"[3] للزمن القاتم(الأزمة)؛ زمن المتاهات والاحترازات والاغتيالات الذي فرضته سنوات التسعينيات بالجزائر، حيث إن الغدر قدر محتوم على الشعب الضعيف من طرف إرهابيين لم يعرفوا للإسلام سبيلا سوى جعله مرشدا للظلم والفساد لا للعلم والرشاد. فاتّكأ منصور إلى استشراف العالم الماورائي والغيبي عبر الحلم بأسلوب ساخر يطفح

[1] فيصل دراج،الواقع والمثال،مساهمة في علاقات الأدب والسياسة،دار الفكر الجديد،بيروت،لبنان،ط1،1989م،ص163.

[2] يحي العبد الله،الاغتراب ،ص 148.

[3] ماريوس فرنسوا غويار، الأدب المقارن،تر:هنري زغيب،منشورات عويدات،بيروت-باريس،لبنان-فرنسا،ط1 ،1971م،ص43.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالمرارة المترجمة لحقيقة اغترابه الوجودي الذي يسايره، و لم يجد سوى حلّ القفز بخياله ولا وعيه إلى زمن غير مرئي ومنتظر في ديننا الحنيف؛ زمن الآخرة ومجرياتها و لم تملك ذاته إلا أن تسعى للخلاص بالتطلع إلى زمن آخر علها تتحرر فيه من قبضة الزمن الراهن والكئيب؛ وتطلع منصور استلزم وساطة اللاشعور الذي غاص بملمح عبثي في برية الحلم الرامز العجيب، وكذا الساخر لأنه"**يعترف بمرارة حماقات الإنسان ثم يتسع نحو معالجة أسطورية للرجال الذين يقلدون الآلهة، وتتم تضحيتهم لحاجات المجتمع**"[1] كما تكمن عجائبيته في الخروج والاغتراب عن الزمن الحقيقي وعن التاريخ للولوج إلى عالم اللاّمحدود الموغل في الغموض والمبالغات، والمفعم بالحمولة الدينية بغية سرد أجواء الثواب والعقاب، كنتيجة للعبث البشري الحاصل بالتعاليم الدينية، والزّيف الطاغي على جلّ المواقف السياسية والاجتماعية والاقتصادية إبّان سنوات الأزمة ولكن تحت شعار"**الدّين يقول...؟**".

ولما شلّت الإرادة الإنسانية وامتصت الأيديولوجيات المختلفة فرض على أهل القرية التي تمثل عينة بشرية بطابعها الشعبي من فئات المجتمع الجزئري، التوافق القسري مع الوجود، أمّا منصور فقد زاد نمو الوعي لديه من انسلاخه، ولأنه قد عجز عن الإفصاح عما يحويه هذا الوعي القائم تم تحويل تلك الترسبات المبطنة إلى لاوعيه، ومن ثم إلى عالم الأحلام التي احتوت اغترابه وتفرّدت بتلخيص استلابه الروحي والوجودي من جراء التعفن الذي ساد في الجزائر إلا أنها قد تجاوزت قضية حصرها في المكبوت أو اللاّشعور إلى ما هو أسمى فصارت"**إبداعا وتخيلا تمثيليا يتغنى فيها الانفعال وتحرير الحدث،فهو بناء لغوي لصور مجازية يعبر عنها مستعيرا عوالمها ورموزها لاستلهامها واستثمارها بلاغيا**"[2] فقد عكس هذا الحلم رؤية منصور للعالم الخارجي، كفكرة متعلقة بالجماعات الجزائرية الطامحة للتغيير، وتقييمه أيضا لوضع البلاد المزري بمختلف غياهبه حين اعتمد-النص الروائي-على المفارقة اللغوية التهكّمية الساخرة المكيّفة أيديولوجيا، بزمن مغاير تماما

[1] السعيد الورقي،فوزي عيسى،دراسات نقدية،نقد تطبيقي،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية،مصر،ص137.

[2] محمد عزام،شعرية الخطاب السردي،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،2005م،ص30.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للزمن الحقيقي فمن حيث الزمنُ مثلا **"يمتلك الحلم زمنه الخاص الذي يقع خارج حدود الزمن الحقيقي...لا يخضع لأي تسلسل زمني،وزمنه يتشظى نتيجة لتشظي الشخصية التي تعيش حالة تبعثر وهلوسة نفسية وتصدع ذاتي"**[1] وقد يُعنى بهذا الزمن اللاّزمن وبالتالي غيابه الكلي، والذي يتطلب لامكانا وهذا ما يحيلنا إلى مفهوم اليوتوبيا الذي يهدف إلى التأسيس لعالم طوباوي يسوده الرّغد، العدل والمساواة والأمان بدافع الاغتراب عن طريق التخيل أو ملمح الحلم، إذ يمكن لهذا العالم اليوتوبي أن يصير حقيقة بالطّموح إلى تقويم وتفسير السلوك على المستويين الفردي أو الجماعي واليوتوبيا **"كلمة اخترعها توماس مور من ذاتها،فهي تعني لغة لامكانا يشفع عليها مباشرة لازمانا كي تظل معلقة في أثير الذّاكرة لا تنقشع ولا تمطر"**[2] وبتدارسنا لحلم البطل نلفيها الملجأ الوحيد الذي استظل به الحالم المسافر، متوسلا بالاغتراب الرّوحي حتى يفرّ من نواميس المجتمع لأنه وفقط قد عانى القلق الوجودي وسئم الزيف الديني، وتبرم من العنف بنوعيه(الفيزيقي/الرمزي) الذي يهدد وطنه وعلى جميع الأصعدة، فساعدته على نقد ونقض العالم الحقيقي، عبر الحلم بكوكب من طراز خاص منسوج بخيوط الغد الأفضل، وبهذا تبرز وظيفة اليوتوبيا في احتضانها لهموم منصور والهروب بها إلى حيث الزمن ملغى والمكان غير موجود، ويتأزم اغترابه أكثر حين يدرك حقيقة المآل وصعوبة التغيير، والوصول إلى الجنّة التي يأملها فيمتطي بمخيلته المغيبة ركب اللاّزمن نحو اللاّمكان وبحسب بول ريكور فإن دور اليوتوبيا يتجلّى في أنها**"تقذف المخيلة خارج الواقع نحو هناك"**[3] أي نحو الخارج المأمول، ومنصور مغترب عن أرضية مجتمعه آثر أن يعيش دائما على حافّة الدنيا، لّما جعل الغرفة كوكبه واستنكر للعادات والأنظمة السائدة،والتفسخ الديني الحادث.

---

[1] مها القصراوي،النص الأدبي بين التداخل والتراسل، ص1022.

[2] فيصل دراج،الرواية وتأويل التاريخ ،ص ص(22-23)

[3] بول ريكور،من النص إلى الفعل، ص270.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ارتأينا إدراج عنصر الحلم ضمن هذا النّسق لأن موضوعه الأساس ديني بحت يستدعي التوقف عند محطاته بغية إبراز المواقف الاغترابية على مستوى الخطاب الدّيني، حيث المحيلات المؤشرة إلى استقلال الحلم بأجواء الآخرة والعذاب المقيم، والاقتباس الموحي بسعة ثقافة البطل الدينية رغم جعله إياها وسيلة للتعمية على غرار البقية ممن يتخاطبون بآيات الله وهم غريبون عنها أشد الغربة أيّ متناقضات هذه التي آلت إليها حياة البشر؟...

وبلغة الحلم يقصّ منصور حلمه الغريب لعمي صالح،حلم يوتوبي مستشرف لحقيقة المصير بالنسبة إلى البطل، ومؤكّد لعمق انسلاخه عن الواقع الدّيني بخاصة، على غرار الفرد الجزائري الذي استطلعت أحلام منصور تأزمه المناهض للعبث الحاصل، وهو أيضا حلم كابوسي بالنسبة إلى عمّي صالح وغيره من الناس، وبعدما قام صاحب الحلم بسرده تحول بذلك"**اللاّوعي إلى كلام منطوق**"**verbalisé**"**وهو ما يعرف بالملفوظ السردي**"[1] فانعكس العبث البشري وتجسّدت الترعة الأسطورية لدى البطل؛ إذ جعل نفسه ذاك الإله المتره عن الخطأ، فأي إنسان مؤلّه هذا الذي يضع كل واحد من أفراد قريته في الخانة المناسبة له في العالم الأخروي، هو مثالي وغيره يخطئون هو غير سياسي وغيره عبدة للسّلطة وسياسيون بالفطرة، هو متدين الباطن يرائي بالظاهر عبر عباءته الحجازية التي لطالما فكّر في التخلّص منها، وغيره-سلفية القرية-بارعون في التعطر بالمسك المغشوش، والطيب المبلول بدماء الضعفاء أما هو فلا يعرف سوى عطر التضحية الخالص النقي الذي يتحسر لحال المنكوبين المعوزين أو الذين شرّد الإرهابيون أبناءهم بسبب الحرب آنذاك.

وبمعرج منامي روحي سافر منصور بلاوعيه إلى السّماء زائرا العالم الغيبي لكي يتيه في الغيبة المفّعلة للطابع الدياليكتيكي الذي آلت إليه ذاته مع واقعها المزري فرأى نفسه يجلس في المسجد مثل واحد من غمار الموالي، في انتظار وقت الصلاة وبين الفينة والأخرى يسمع صوت هاتف يهتف إلى امتطاء صهوة الفرس، ولهذه العبارة مدلولها الواضح القوي والذي يوحي إلى اندثار القيم والمروءة والافتقار إلى النخوة التي من شأنها أن تنهض بالمجتمع وبالأمّة وأن تقضي على الفساد

[1] جان بلامان نويل،التحليل النفسي والأدب،تعريب:عبد الوهاب ترو،منشورات عويدات،بيروت،لبنان،ط1،1996م،ص30.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي عم واستفحل، وبطابع غرائبي يعارض غربته يواصل السارد البطل في حكيه لعمي الصالح هذا الأخير يستمع إليه خاشعا ممتقع اللون كيف لا وهذا الولي الصالح-منصور-يقرّر مصيره الذي لا يعلمه إلا الله"**رأيتكم بجباه متجعدة شعراء كجباه القرود التي أضر بها الجفاف،وعيون جاحظة مخضرة كعيون الضفادع،التي بدأت شطوط المستنقع تضيق عليها،وكانت عيونكم حولاء..أما أنوفكم فكانت كفنطيسة الخنازير..أما شفاهكم فكانت تماما كمشفر البعير الهزيل**"[1] يرسم لاوعيه لهم أبشع صورة فقط لأن هذا ما كان يراه في الواقع، ذلك أن ابتعاده عن البشر قد صوّر له الخارج غابة تتآكل فيها الحيوانات الآدمية التي تفتقر إلى النواميس الأخلاقية، أصبح يرى العالم قبيحا ومورد قبحه مرض القلوب التي ابتعدت عن دينها، وتناست تطبيق تعاليم الإسلام تطبيقا يسمو بهم إلى الفلاح بالجنة التي يأملها لنفسه قبل غيره ويواصل في السرد لعمي الصالح، يستأنف المصائر المنتظرة، كيف لا وقد انفرد لوحده بالتنّقل بين سموات الله عبر التّرحال في حلمه ولا نستبعد أن يكون قد تمنّاها حقيقة للمكبوت الذي يغمره موطن أسراره من إصلاح للفساد وتكريس لمجتمع إسلامي عادل معتدل مطبق لأصول الشريعة ولأحكام الدين، ولأنانيته الزائدة التي جعلته يضع نفسه دائما في أعلى المراتب(الولي،العاقل،المثقف،النبي) أعفى نفسه حتى في الحلم من العذاب ومن المصير السيئ، ولأن حوب أهل القرية قد أثقلت كاهله بخاصة، وعزلته الدائمة ساعدته على كرفها، رأى في منامه أغرب وأفزع المشاهد التي لم ولن تخطر على بال عمي الصالح يصرح "**لقد كنتم يا عمي مرعبين،وكنت أنا الوحيد الذي يدرك مقدار ذلك الرعب..كنت أنا فارغا من كل شيء إلا من نفسي بينما كنتم أنتم ممتلئين بكل شيء إلا بأنفسكم..يا لبؤسكم لو رأيتم ما كنتم تقيؤون..ليتكم كنتم تقيؤون طعاما غير مهضوم..كنتم تقيؤون بشرا صغار في حجم جرى القطط والكلاب**"[2] وقد تجلّت ملامح الاغتراب الدّيني لدى هؤلاء في تقيئهم للبشر وهذا راجع إلى غيبتهم، ولأن فيهم النّمامون الذين امتهنوا حرفة القتل والزهق الذي أغاب حرية

[1] الرواية،ج2،ص 317.

[2] المصدر نفسه،ص ص(318-319)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوجود بأمان، في حين يقصد بالجرى والقطط فئة المستضعفين وضحايا الإرهاب بالدرجة الأولى ومعتقلي سلك الأمن أو أصحاب السهل كما أسمتهم الرواية.

ولعل المتتبع لخطاب الحلم يلفي نوعا من الصعوبة في التفريق بين موضوع حلم البطل وبين الأحداث الواقعية المصاقبة لأحوال المعذبين من أهل قريته الذين قد استشرف مصائرهم في حلمه وذلك لشدة التداخل الحاصل بين"**مساحات الحلم مع مساحات الحقيقة وامتزاج الواقع بالخيال،فيصعب غلى المرء الفصل بينهما،كمحاولة للالتصاق بالمرئي والإمساك بالزمن**"[1] وهذا ضرْب من العبث ونوع من الإرساء لأسلوب تعجيزي من نوعه غايته الأولى والأخيرة الكشف عن المعادل الموضوعي الملائم لزمن الحلم ومجرياته في راهن الحياة أو العكس.

كما يُبرز الحلم التناقض الواضح لدى منصور؛ ففي الواقع يرتدي الزّي الإسلامي استهزاء بمظهر السلفية من عباءة وسروال قصير مع إرفاقهما بلباس غريب دلّ في حقيقة الأمر على اغترابه الجنسي، وعن ذكوريته المخنثة أمام الناس من خلال الخف النّسوي الذي جمع بين الشهامة والدياثة أما باطنه فقد اعتلّ حاله في ذلك حال الذين مسّهم وباء النفاق، وإن كان البطل لا يطمح أن يكون ليبيراليا ذا بطن منتفخ أو خوانجيا ذا لحية يغير من لونها تبعا لألوان العصر المتباينة والمتفاوتة. فتارة يدعو الله في منامه بالانضمام إلى زمرة سلفية القرية، ويناجي الهاتف بنبرة النّادم والمتأسف عدم حشرهم وإياهم تارة أخرى"**اللهم ولا تجعل سلفية القرية أصدقائي !...فإنهم إلى كل غدرة أقرب،ومن كل نجدة أهرب..اللّهم ولا تجعل سلفية القرية أعدائي،فإنهم أقسى من ظلم وأظلم من حكم،وأحكم من هدم،وهم في دماء الأبرياء كالذئب في الغنم**"[2] ولعل حيرته المنامية هذه قد بلورت من استلابه، لمّا رقّ دينه هو الآخر وجفّ على غرار سلفية القرية الذين اغتربوا عن دينهم واستغلوا تعاليمه الروحية لتضليل الأرواح البشرية وتحويلها إلى ذئاب تستهوي القتل والنهب والتمرد على النظام الحاكم وكل هذا باسم الدين.

[1] شوقي بدر يوسف،الرواية والروائيون ،ص196.

[2] الرواية،ج2،ص 327.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد جسّد الحلم تأزّم الاغتراب النفسي لدى صاحبه وعمّق من انفصامه، لأنه وللأسف ظل حلما بعيد التحقق كيف لا والبطل يتشبث بفكرة الخروج من الواقع إلى عالم لا زمن فيه ولا مكان؛ يوتوبيٌ عجيب وقد لا يتجسد الفكاك في المستقبل المستشرف إلا بالعمل على تحقيق الفاعلية وتنمية الكفاءة الاجتماعية حتى تستتبعها باقي الكفاءات المتعلقة بالإنسان"**فإن الخلاص في المستقبل لن يتحقق إلا بالتحرّك ولا يكفي فقط مجرد الحلم برؤية المستقبل**"[1] والطبيعة الإشكالية في جوهر منصور جعلته سلبيا للغاية عجز عن المواجهة الحقيقية والفعلية للامعنى الحياة ولا معياريتها، وعن طريق الحلم المفرغ لتناقضاته الوجدانية استطاع أن يهرب إلى الخلاص من مجتمع موبوء، إلى عالم لم يجد فيه إلا رحمة الدّعاء المبشر بالخير لنفسه، والمنذر بالحيْن على أمته أي نبي هذا الذي شبه نفسه، وغربته على غرار المتنبي بغربة صالح في ثمود، وبمحمد معقِل أمته وغيرهما هو ولي صالح إذن يدعو إلى الخير ولا يسعى إلى ممارسته، يناقض السائد ولا يمتلك إلا سلطة تعريته بالقول لا بالفعل، اختار سبيل الزهد في الحياة وإفراغ قلبه للرحمن بالغربة والابتعاد عن العباد عبر طريق عبّده بترعته الصوفية التي استنطقت سمو روحه العفيفة فقط لأنها احتارت في أمر ما يحيط بها،فرحل عقله منطلقا من الواقع وممتطيا ركب الغرابة والعجائبية التي يرى تودوروف بأنها"**جنس يحمل المتلقي الذي يتعامل بطبيعته مع القوانين الطبيعية إذ يواجه أحداثا فوق طبيعية**"[2] ومنه الوصول إلى مقاربة تجسيدية للتناقضات الواقعة على أرضية الأرض ومن ثم الماوراء حاله في ذلك حال المسافر الصوفي المهاجر بروحه لا بجسده إلى عالم المثل والنقاء.

1-2 تصـــــوّف الولي الصالح:

عرفنا بأن لمفهوم الاغتراب حضورا رهيبا في بعض العلوم الإنسانية بالإضافة إلى الطب(العقلي)والفلسفة(فلسفة الوجود) وغيرهما، ولما خرج عن النطاق المادي الجغرافي توسّع مفهومه إلى الاشتمال على مدلولات روحية في أصلها فلم يبق المغترب مجرد منطو على ذاته يعيش

[1] مها القصراوي،الزمن في الرواية العربية ،ص 84.

[2] سعيد الوكيل،تحليل النص السردي، معارج ابن عربي نموذجا،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،1998م،ص14.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في عزلة تامة لا يخالط ولا يحتك مع غيره من البشر؛ وإنما اعترى بفكره وروحه عالما مثاليا وساميا عكس رقي نشاطه الإنساني الممارس في الحياة، كمثقف وكصاحب وعي خارق للقوانين الموجودة، وقد ينجم عن الاغتراب الذي كان الباعث إليه في الأساس هو شدة الوعي بالله وبالدين وهذا الأخير يتجلّى"**في علاقة الإنسان بماهيته الخاصة ولكنها ماهية منفعلة عنه خارجة منه،غريبة عليه بل ومعارضة له**"[1] ولأنه علاج للرّوح قد يتحول لدى البعض الذين لم يكتفوا بتطبيق شرائعه وتجاوزوه إلى طابع أزلي متدبر في الذات الإنسانية المؤمنة بفكرة الطبيعة الأزلية للوجود، ويغدو بذلك عمقا صوفيا ذا ملامح اغترابية، تضع في اعتقادها فكرة أن التغيير في الذات والوجود لا يجلب الزمان بل هذا الأخير هو الذي يجلبه.

ولأن منصورا قد انفرد برؤية تأملية وفلسفية للعالم المحيط به، استدعى الأمر صوفنة شخصيته لصبغ الكون والمجتمع بصبغة مغايرة تماما لما هما عليه في الواقع، وإذا انطلقنا من العنصر المتناول سابقا أي الحلم ذي الطابع اليوتوبي "**الذي سمح برفع الحواجز والحدود التي تحكم الزمن كما يتصوره الإنسان وتسمح بتصوير زمن هو مقصي وغائب عن تصوراتنا ومفاهيمنا**"[2] ألفينا المفاهيم الغيبية العلوية قد انبرت وبوضوح في منامه، وكشفت عن محنة وجوده مع مجتمعه بفضل توليفات لغوية صوفية؛ والتصوف حالة اغترابية مشروطة فعلى المغترب أن يتمعن في الحقيقة الوجودية أولا، حتى يسمو بأناه إلى نوع من التّماهي في الصفات الإلهية، وهذا ما فعله منصور حيث توسّل في حلمه بالسّمات الصوفية المعينة على تفسير فانتاستيكا الحياة، وعلى التجرّد من مغرياتها للسمو بالنفس إلى ما هو أبعد وأجلّ من ذلك. فصار وليا وريثا بعثه نور الله من سلالة الأنبياء الحنفاء وبالمفهوم الصوفي واصلا بين العالم المنحط/السفلي والعالم المثالي/العلوي، فبات عبدا غريبا استثنته ملابسات الحياة بفضل وعيه ورؤيته المتميزة لما حوله وزادت العزلة من تساميه واستفحل الاغتراب عنده حين ألفى مهمة صعبة تنتظره وتتمثل في البحث عن الإسلام المعتدل

[1] حسن حنفي، الاغتراب الديني عند فيورباخ، ص64.

[2] حسن المودن،الرواية والتحليل النصي ،ص 129.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والانفلات من العبودية السياسية باسم الدين وكذا تقويم الاعوجاج الفظيع الذي بسط نفوذه وللأسف على جل الميادين والمؤسسات.

ويعرف الولي في المعجم الصوفي بأنه الشخص الذي"**تولى الله أمره، وحفظه من العصيان، ولم يخلّه ونفسه بالخذلان حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال**"[1] ولّما كان مغترب الرواية يسعى إلى تجسيد مقومات الولاية السابقة استطاع بفردانيته أن يعيش على الأكتاف دونما شظف أو رضوخ يُكرهه على تقبل فكرة العمل بغية كسب الرزق، أما قضية الحفظ من العصيان فقد حيّرنا البعد النفسي المعكّر والمضطرب لهذا البطل إذ أنه لا يزال غارقا في الخطايا مثلما ذكرنا آنفا ولكن طموحه وباطنه النبيل قد سما بنفسه إلى الارتقاء لنيل الكرامة كخصيصة لا يمتلكها إلا الأولياء الصالحون، تميز إذن عن باقي البشر بالمضمر الصافي الدفين من طيبة ووطنية وسعي لتقويم الاعوجاج الذي عرقل استقرار البلاد ولو بمجرد التأمل في الموجود بعين المثقف المتحسّر. فكانت سمة الولي المفتاح الأنسب لنا حتى نستنطق التعالق الواضح بين المغترب الذي يرى الناس غرباء بعيدين كل البعد عن جنسه وذهنيته الفريدة من نوعها، والمتصوف الصالح الذي يسعى إلى تخليص البشر من قيد الملذات والشهوات أو الانغماس في مراتع الزّيف والنّفاق، وهذا الحديث ساقنا بدوره إلى التطرق للعلاقة التي قد سبق وأن أشرنا إليها في الفصل النظري والمتمثلة في الفرق بين التصوف والاغتراب.

1-2-1 التّــصوف والاغتراب:

أوضحنا في الفصل النّظري التعالق الحاصل بين الغربة والتصوف، منتقين في تمييزنا آراء كل من أبي حيان التوحيدي الذي عايش تجربة الاغتراب في حياته، ومحي الدين بن عربي الذي وسّع بدوره من المدلول الضيق للاغتراب، وجعل له أحوالا مقترنة بقضايا السّفر الروحية والمعنوية والتي لم تقتصر على الترحال المادي الجغرافي وفقط؛ فوجدنا بأن للاغتراب علاقة وطيدة بالترعة الصوفية وأن المغترب يتقاطع في رسمه الغامض لصورة الحياة بالمبادئ التي يرتكز إليها المتصوف في نظرته

[1] هيفرو محمد علي ديركي، مختصر الاصطلاحات الصوفية،دار التلوين،دمشق،سوريا،ط1 ،2008م،ص168.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للوجود من وعي ودين، وحلم للتّحرر بقيم مطلقة وجعل الذات مركزا يرفض العالم المادي الذي أضحى مظلما أرخى غيهبه الثقيل الذي لا ينمّ إلا عن مفهوم خاطئ لكُنْه الحياة.

وقد وجدنا بأن التّصوف يعد نوعا من الزهد في الحياة، والابتعاد عن متعتها عن طريق الدين بما يستوجبه من إيمان بالله أو خلوة ممزوجة بطول تأمل فرضته العقبة التي وقفت حائلا بين المتصوف وبين الناس. ونحن لسنا بصدد المطابقة بين الزهد والتصوف ذلك أن الفرق قائم بينهما لأن"**الزّهد مرحلة سابقة مهدت لظهور التصوف،بيد أن الزهد في الدنيا أما التصوف فهو مشاهدة حقائق الوجود**"[1] وهذا معناه أن نشأة التصوف قد استدعت التكيف مع بيئة الزهد من حيث المنطلق، والمتمثل في الانقطاع عن الدنيا والإعراض عن شهوات النفس ورغباتها فيها وتجاوز ذلك إلى ما هو أعمق، فأصبح يعد أحد أرقى النشاطات الإنسانية المترجمة للجانب الوجداني والرّوحاني المتميز في الذات فهو"**مرحلة راقية من مراحل تطور الفكر الديني،وهي حركة إيقاظ للقدرة التأويلية للتفكير الإنساني في مواجهة مجاهيل الكون وخفايا الإنسان**"[2] .وإذا توقفنا عند الشقّ الأول من المقولة السابقة نستشف أوّلا أوجه التقاطع بين التصوف والاغتراب ففي تناولنا للاغتراب الديني أشرنا إلى أن التحول الأيديولوجي الديني في بعض الأحيان قد يؤدي بالمغترب إلى الغور في متاهات فلسفية بفعل البحث الدائم عن المثالية الدينية وهذا نوع من العمق الصوفي، مما أكسب التصوف طابعا فلسفيا(التأمل/التساؤل)وآخر علميا(بوادر الملاحظة والتأويل)ودينيا(فلسفة إسلامية)...وبهذا يمكن للمتصوف على غرار المغترب أن يتجاوز بعضا من الرّكائز العقلية أو المنطقية ويعزو هذا التخلي إلى تغلغله في عالم اللاّمعقول"**فما كان بمقدوره أن يتصور لحظات مجهولة إلا من خلال ردود تملأ فراغات الزمن وتخرجه من حالات الوحشة لتؤثثه بالأحداث**"[3] وقد تمت الإشارة إلى مظاهر اغتراب البطل في الزمن حيث صار هذا الأخير خاويا من المحتوى

[1] عبد الحميد هيمة،الخطاب الصوفي وآليات التحويل،قراءة في الشعر المغاربي المعاصر،موفم للنشر،الجزائر،2008م،ص76.

[2] ناهضة ستار،بنية السرد في القصص الصوفي،المكونات،الوظائف،التقنيات،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،2003م،ص20.

[3] سعيد بنكراد،السرد الروائي وتجربة المعنى،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط1،2008م،ص169.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطبيعي المتعارف عليه، وانهار لتدهور الحاضر بفعل القتل والجشع والتوتر الذي مسّ جل الأوضاع، آل إلى زمن نفسي خاص بالمغترب ومنه إلى فراغ يهدد استقرار منصور المثقف ويزيد من اغترابه الذي دفعه إلى الانحشار في بوتقة التزوع الصوفي لأنه يسعى جاهدا إلى تغيير الواقع بدءا بالنفس، ومرورا بالجانب الرّوحاني الذي يعزّزه الإيمان بالله على غرار المتصوفة العارفين، وصولا إلى سياسة كشف المستور ومواجهة الفساد السائد، كما يعرف التزوع الصوفي بأنه"**السير في طريق تغيير النفس، وجعلها أكثر تمثلا بأخلاق الله والأنبياء لقول الرسول(صلى الله عليه وسلم)"تخلقوا بأخلاق الله"وهو الأساس الذي يتكئ عليه اللاّمنتمي في كفاحه ضد الفساد**"[1] ومبدأ منصور السّامي في الحياة جعل منه إنسانا مثاليا ينأى بقناعاته عن الواقع المنحط والمأزوم.

ومن سمات التصوف الجوهرية لديه رغم نأيها عن البعد البؤري للزهد والذي يرمي إلى الاستغناء عن الملذات وإفراغ القلب للطاعة والعبادة، نلفيه مغتربا عن دينه يتهاون في صلاته ويشرب الخمر إلا أن تعلقه بفكرة النهوض بالدين والثقافة في البلد، جعلته يسمو باغترابه هذا إلى مقاربة تأسيسية لمجتمع مثالي؛ فرغم معاصيه التي دفعت به إلى الارتماء إلى عزلة مطلقة لكنها مثلت عالم الحرية لديه،كأي متصوف يجد ذاته في الإيمان بفكرة الانفصال عن الآخر ومحاولة التماهي مه الذات الإلهية، وهذا ما يطابق فكرة برديانق حول أفضلية اللجوء إلى العزلة للتخلص من عبودية المجتمع الباغم"**ذلك أن الشعور بالعزلة ينبثق من محاولة الإنسان تنمية شخصيته...والإنسان لا يدرك أصالته وتفرده وتميزه عن كل شخص وعن كل شيء إلا عندما يكون وحيدا**"[2] و لم يجد منصور حلاّ بديلا لمعاناته مع مجتمعه وأهل القرية التي يقطن بها نظرا لغياب قابلية الاندماج في ذهنه، وإيمانه بضرورة التوبة عن المعاصي وطيّ لعبة الحياة الواقعية لفتح صفحة جديدة مع عالم فريد من نوعه يعالج اغترابه في الزّمن لغياب الزمن فيه-العالم-وأبديته لدرجة الخلود، ومع المكان لأنه يوتوبي فارغ من المؤسسات المتعسّفة، بالإضافة إلى البشر فخلق بخياله الجامح العالم العلوي الروحاني الذي

[1] نور الدين مسعودان،مالك بن نبي بقلم معاصريه ،ص66.

[2] حسن الكحلاني،الفردانية، ص261.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يطمح إلى وذلك عن طريق السفر إليه بعقله أثناء يقظته، وبروحه في منامه كما سبق وأن أشرنا،هؤلاء الناس–اليوتوبيون–مثاليون نورانيون لا يعرفون النفاق والزيف، وهمّهم في الحياة هو التعلق بالذات الإلهية والاستغراق في حبها"**فغربة الصوفية غربة روحية،لأنهم يعتزلون الحياة ويحاولون الاتصال بالله عن طريق التجرد والتسامي**"[1] وهذا الأخير لن يتحقق إلا عن طريق المعرفة وبالأخص الروحية تلك التي انفصلت واستقلت بأصولها عن مأساوية الواقع، وقفزت إلى عالم الروح والمثل ولن يتم إلا بتبني الاغتراب والتقوقع داخل عالم خاص جدا، فقد تسلّح منصور بالخلوة الصوفية التي تعني الانسلاخ عن الناس وعن النفس أيضا لا لكرهه للحياة وإنما حبا في مسبباتها وغاياتها السامية وما تطليقه لها إلا تعليل للخوف العارم الذي حقن عقله وجمّد حياته التي منعته من الذوبان في المجتمع سياسة ومؤسسة ووظيفة وحتى مسجدا..."**الخوف من الأب...من الجدّ من الجدة والأم الخوف من المعلم والإمام...من الشيخ الكبير والعجوز المسنة من الشرطي والدّركي، ومنسّق الحزب...وحتى الخوف من الله–جل جلاله–الذي صيروه مثلهم**"[2] ولما استنجد للخروج من خوفه ناشد عالما بريئا طاهرا، يمتلك فيه صلاحيات الولي الطاهر والعارف بالله الذي يدعو إلى الخير ويعمل به، وينه عن المنكر ويتجنبه والعارف كما هو موجود في قاموس المصطلحات الصوفية انطبق على شخصية الصوفي منصور"**لكونه متيقظا ويترصد لما يتقلب فيه الوجود من الأطوار من خير أو شر أو غير ذلك**"[3] وهذا ما وجدناه فليس بالغافل عن المعطيات الواقعية المتفسخة، وهو الشاهد على تقهقر الوضع الثقافي والسياسي وتفكك النسق الاجتماعي.

وفي العالم السفلي الذي يتخبط في الزيف والقرف الوجودي اقتنع البطل بأن العالم الطاهر يتمثل في الغرفة وإيثار العزلة التي جمعت شتات نفسه، وروت ظمأ قلقه إزاء المصير الفردي والجماعي"**عزلة–على غرار الصوفي– هدفها أخلاقي،وهو التوبة عن المعاصي والتخلق**

[1] يحي الجبوري،الحنين والغربة في الشعر العربي ،ص141.

[2] الرواية،ج2،ص156.

[3] أيمن حمدي،قاموس المصطلحات الصوفية،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،2000م،ص75.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالأخلاق الإلهية"[1] لأن رحلة العودة قد أعطتنا منصورا مغايرا لسابقه في الجزء الأول من الرواية فقد قدمه الفعل السردي عارفا يسعى إلى قهر لانتمائه ومحاولة السير على خطى المتفائل بالمستقبل الأفضل للزمن الحاضر المتشظي زمن القتل والخوف.

واعتقاد المتصوفة الشائع لدى السلف القديم بأنه"**من لا شيخ له فالشيطان شيخه**"لا أساس له من الوجود عند ولينا منصور إذ أنه يأوي إلى شياطينه،يخاطبها ويتسامر معها،يعاديها تارة ويستنصحها تارة أخرى،هو فرد يعاني الانفصام والقطيعة،و يتبنى التناقض مبدءا له في فهم الحياة أحيانا، وحقيقة الوجود اللذين ينظر إليهما نظرة عبثية إذ لا مجال لحضور العقل فيهما.

1-2-2 العرج والاغتراب الرّوحي:

سبق وأن تطرقنا إلى الحديث عن الرّحلة الروحية التي قد رآها منصور في منامه، وليس من باب الاعتباطية بل بسبب انسحابه إلى ذاته ومنها فوصل إلى أقصى الدرجات حيث استطاع أن يسمو ويتعالى بنفسه المترهة عن الخطأ-حسب رأيه- رغم حوبها الكثيرة إلى وسط متخيل ومجهول يحتضن ذاتا هاربة من بطش زمن لا يرحم،ولا يعرف للإنسانية معنًا فواجه الجسد بالحجب والإضمار والتخفي لساعات طوال أو أيام وأسابيع عن أعين الناس ليضاهي الصوفي في انعتاقه من جسده وتعلقه بمبدأ الرّوح القويم، وكذا مجابهة العقل بالجنون، فحطّم اغترابه عن عقله بسخفه في القرية أهم مؤشر لكينونته الفعلية ألا وهو العقل فصار البطل يهذي بالشياطين ويحاور الكلب لاستفحال غربته وانسلاخه عن حدود الزمان والمكان والعيش على حافة الحياة.

ولما رفض البطل الواقع وفكرة التّموضع في حيز وجودي جسّد حالة سقوطه في عالم السفليات أبى إلاّ أن يصل باغترابه الروحي إلى مترلة الإنسان الكامل والمثالي لكن هذا السفر قد صنّفه ضمن خانة الذوات المضادة والمناهضة أو المشككة في مصداقية نواميس السائد"**فإذا جاز النظر إلى الصوفي من حيث هو مكان جزئي يقع داخل الاجتماعي ويتمايز عنه،أي يتحقق الاتصال**

[1] عبد الحق منصف،أبعاد التجربة الصوفية ،ص 49.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والانقطاع معا، يتوخى التأثير في الكل المحيط به وبهذا فهو يمثل الفاعل المضاد"[1] ومنصور الولي العارف بالدين لدرجة تحديده للفائز بالجنّة أو المزحزح إلى النار،بعشقه للحلاج وتأثره بسيرته وقراءته للطواسين استمد فكرة محاورة إبليس ولعنه من التجربة الحلاجية الذي اجتزأ بعض العبارات والألفاظ من القرآن الكريم ليوجه لعناته كقوله في كتابه"طس الأزل والالتباس"...**وما كان في أهل السماء موحد مثل إبليس،حيث ألبس عليه اللعن،وهجر اللّحوظ والألحاظ في السر وعبد المعبود على التجريد ولعن حين وصل إلى التفريد،وطرد حين طلب المزيد"**[2] وقد وجدنا هذه النزعة الصوفية العدائية لدى منصور إلا أن هذا لم يمنع من الاضطرار إلى مصاحبة إبليس كدليل قاطع على اضطراب شخصيته واغترابه الذّاتي ومن ثم الديني وهذا ما حيّر المتلقي فهو على هامش الحياة لا يعتمد كفاءاته الاجتماعية ولا الذاتية وهو مغترب وظيفيا، يعيش على أكتاف العقول والجيوب لتغابيه واتكاليته المفرطة لإفراطه في العبث مع حياة سنّت قانون اللعب أوّلا لعدم نزاهتها وغياب المعيارية فيها.

ونظرا إلى اغتراب البطل الوجودي وسأمه من دقّات الحياة المغبرّة فهو دائم الحيرة كثير القلق هائم الوجهة"**كالذي يمضي في طريقه مكرها في غير رغبة عن بدايته وفي غير رغبة إلى نهايته،وبدون استمتاع بما بين ذلك من مسافة"**[3] صار الموت شيئا ملموسا يمتلكه ويتصرف فيه بكل حرية، وعجينة يشكّل بها الهياكل المناسبة لأجساد أهل القرية ويكوّن منها الخاتمة التي يمكن إسقاطها وبالشكل الصائب؛ فاغتراب منصور عن ذاته وعن الناس جعله يلعب لعبة الهروب والخروج عن المألوف ولكونه حاضر الجسد بين البشر غائب الروح لم يعد يهتم بفعل المشاركة في حياتهم لأن فيهم المنافق وفيهم الذي ولج بالدّين باب الضّلال، ومنهم من خرق القانون باسم القانون و لم يعد الأمر متعلقا"**بتصوير الذات الهاربة من الفعل ولا تهتم بالفعل، ذات مخطوفة**

---

[1] وفيق سليطين،الزمن الأبدي،الشعر الصوفي،الزمان،الفضاء،الرؤيا،دار المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق،سوريا،ط1،2007م،ص146.

[2] آمنة بلعلى،تحليل الخطاب الصوفي،في ضوء المناهج النقدية المعاصرة،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1،2010م،ص292.

[3] الرواية،ج1،ص7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحاول بكل قواها الوجدانية المستمدة من روح العرفان زحزحة ما تعارف عليه الناس"[1] وهذه الزحزحة تتم بتمني الموت أو استحضاره عن طريق الرؤيا أو العرج المأمول لغرض تقويم السلوك وتصحيح الاختلال الذي ينتاب بنية العقل والمجتمع، وبغية الاهتداء إلى الحياة الطوباوية أي إلى مستقبل حامل للأفق المطموح إليه فعن طريق السفر الروحي كان بمقدور منصور أن يبرز الانقطاع اللاّمحدود، والفيّاض بين الواقع والعالم العلوي الغيبي الخالي من شوائب اللامعنى واللاّموضوعية"**ومطلب الصوفي هو إفناء صفات الوجود،التي تشد كينونة الإنسان إلى الاغتراب والانفصال"**[2] فانفصل بروحه ووجدانه عن جذور الواقع إلى موطن البرزخ والخيال والعجائبية وقد أشرنا إلى عموميات الحلم بالمعراج والإسراء أو السفر من منظور التعريف بملامح الاغتراب اللاشعورية المتجسدة في الحلم، أما الآن ومن زاوية صوفية ذات أصول دينية بحتة ودلالات إسلامية خالصة باعتراف ابن عربي"**الذي يراه إسراء خياليا مستلهما من مفهوم الانعتاق من الهوية الكونية"**[3] ما كان على الرّاوي إلا الخروج عن نطاق الفعل السردي للكشف عن الملامح الفنية لرحلة الاغتراب الروحية هذه والبزوغ بثوب أسلوبي جديد يزين لغة الرواية بمعالم روحية تنكشف معها الانفعالات المكرّسة لفكرة المناجاة والتخلي-عن النعيم-باعتباره الباعث الرئيس على الاعتزال، والحلول في الحياة الرغيدة التي يرجوها منصور في حياته وأحلامه نظرا لتبدل أحواله.

وكما عودنا الراوي فإن رعاية الله دائمة لمنصور يعيش في غير اكتراث لمصاعب الحياة غريب عنها إلا أنها مهووسة بفتح ذراعيها له وتأمين لقمة العيش كذلك"**ثم إن علاقة هذا الرجل مع الله متميزة جدا وغريبة، فهو دائما-سبحانه-يسوق إليه رزقه أو يسوقه إلى رزقه من غير كد أو جدّ أو سابق توقع !..كيف اصطفيته يا الله؟"**[4] ولعل هذا التساؤل الأخير من طرف الراوي قد

---

[1] سعيد بنكراد،السرد الروائي وتجربة المعنى ،ص 184.

[2] عبد الحق منصف،أبعاد التجربة الصوفية ،ص 56.

[3] آمنة بلعلى،تحليل الخطاب الصوفي،ص318.

[4] الرواية،ج2،ص436.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يفسر لنا أن رعاية الله جلّ جلاله للبطل رغم اغترابه الوظيفي، انسحبت بدورها على باقي الملابسات التي يعيشها بدنا ووجدانا، لأن المتصوفة يرجعون أمان المغترب روحيا والمسافر عبر رحلة المقامات إلى السماوات العليا إلى الرّعاية الإلهية بالدّعم المعرفي والسّماح بالاستطلاع على الأمور الغيبية والمجهولة فلما رأى منصور منامه الغريب لغرابة حياته وغربته الرهيبة، سرده على مسامع عمي صالح فقد كان يخاطب الهاتف الذي ناداه من بعيد وطالبه بامتطاء صهوة الفرس يقول منصور عن لقائه بـــ"**الهاتف**[1]"**ثم طرنا إنما في لا سماء، وسبحنا إنما في غير ماء، وقطعنا كل أهوال القفار، ووصلنا...لست أدري..ربما مرّ نهار..ربما مرّت شهور..لست أدري،ربما مرت قرن ودهور**"[2] فهو عالم بلا زمن وبلا ملامح قد يشبه وللأسف العالم السفلي الذي تخبط فيه منصور، الزمن فيه مهجور وغير مستشعر به والحياة مرة المذاق كالقفر بلا نبات، أرض مقفرة بور تفتقر إلى أدنى معاني الإنسانية والأخلاق الفاضلة ويواصل البطل رحلته الاغترابية مع الهاتف الذي رافقه ليدله على خبايا السماوات وأهل العالم العلوي فيرى الحقائق المنتظرة والتي سبق له وأن استشرفها عبر العديد من الثنائيات الضدية التي قد صارت وسيلة للتنبؤ والاحتمال. وبعدها أراه أشخاصا طوالا عراضا يقيمون بناء من خشب، ولما تساءل أجابه الهاتف بأن هؤلاء هم الأقوام التي تحتج بالباطل للدّفاع عن الحق ويقصد بهم السلفيين وأصحاب الجبل الذين انعرجوا بالدّين إلى منعطف خطير وخاطئ فتحوا به أبواب الضلالة على مصرعيه، يدافعون عن البلد باسم الدين ولكن بتطبيق سياسة العنف الرّمزي والفيزيقي، هي مفاهيمٌ خاطئة يتوسلون بها لفهم الوضع السياسي والوصول إلى السلطة بأعجب الطرق وأبشعها فصوّر هذا الموقف الروحي غربة البشر عن الدين في العالم الأرضي وجهلهم بالشريعة وادعائهم التفقّه والفتوى أمام المستضعفين من البشر على الصعيد العقدي خاصة .

[1] الهاتف:هو دليل منصور في إسرائه وسفره، والمماثل لجبريل عليه السلام في قصة الإسراء والمعراج لنبينا الكريم في تراثنا الإسلامي.

[2] الرواية،ج2،ص328.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ثم يرى البطل المغترب روحيا شبه مسخ يأكل خبزا يابسا مؤْتدما بحنظل ولما سأل مرشده الهاتف أخبره بأنه ذاك الدنيء الذي يأكل الدنيا بدنْيه،وهنا إشارة إلى فئة البرجوازيين الذين يكتنزون الأموال والثروات على حساب الآخرين لا لنية إعادة الحق لصاحبه وإنما بهدف الغرف من بحر الوهم والاستيلاء على الملكيات وهذا ما تسبب في تفاقم الاغتراب الاقتصادي إذا تعلق الأمر برجال الأعمال، وفي هذا التغاضي خروج عن طاعة الله في قضاء الدين.ثم يواصل منصور"**ورأيت في لهيب الشمس شخصا يأكل الجمر بفيه ...قلت من هذا؟ فقال شاعر يمدح الشخص بالذي ما كان فيه**"[1] وهذا إيحاء إلى الاغتراب الثقافي أي أن الشاعر قد امتهن حرفة الشعر لبناء الحصن والقلاع بفقاعات الهواء الفارغة بغية التكسب أو لأغراض وصولية تبرّر عدم إخلاصه لملكة الشعر ومبدأ الأمانة في نظمه.

وحتى يكتمل البعد العجائبي تراءت لمنصور وصيفات بصحبة وصيف في القصر وطير ولكن يتحول الحلم الجميل إلى كابوس بعد أن هب إعصار استحال معه كل الموجود إلى دمار وخراب وهذا إيماء إلى أن في الدنيا أناس يسعون إلى تشويه كل ما هو جميل وتقبيح البريء بغية التخريب وطمس بصيص النور بعيون الظلام العمياء، وهذا ما فعله الظلاميون أو الإرهابيون في زمن الأزمة أي قبل هروب منصور من سنواتها الشداد لما جدّلوا و انتهكوا الحرمات وعاثوا في أرض الجزائر فسادا ومسخا، ليستمر في مشاهدة الغرائب والعجائب عبر اغترابه الرّوحي والمعللة للكثير من الظواهر والمظاهر التي قد حيرته لسنوات طويلة فرأى رجلا يبكي بآلاف العيون منذ آلاف القرون،وهو الذي أبكى اليتيم في الدنيا وجعل عرش الرحمان يهتز لدمعته فها هو يعاقب على فعلته الشنيعة بالبقاء على هذا الحال إلى أبد الآبدين. ثم رأى رجلا بين جفنيه رياح من رمال وعواصف، ولم يكن هذا إلى جزاء على تعلقه الشديد بالطبول والمعازف، وهو الذي اغترب عن الدين والأخلاق في الدنيا وانغمس في ترهاتها العفنة.

[1] الرواية، ج2،ص329.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولازال منصور يرى ويرى ويتراءى له كلها مواقف قد شغلته في دنياه وأثناء اغترابه عن الحياة وابتعاده عن الهوس بها لمراقبة الوضع القائم والتأمل بعين الناقد المصحح المحارب لعدو النفاق والرياء والاستبداد، آل إلى نبي طاهر يسري بخطى الصوفي على طريق الوحي ويعرج الهاتف به بين السموات ليريه المصير المنتظر لأصحاب الخطايا التي قد ساعده اغترابه على كرفها وكشفها على مستوى الوعي بالتصريح،واللاوعي بالحلم المغيب.ولعل هذا الاستشراف الممهد إلى مرحلة التبصير الكبرى لهؤلاء مستوحاة من الفكر الصوفي القديم فالمغترب البطل يتصرف تصرف الإمام العادل المقسط الناصح للناس والمستوصي بهم خيرا باعتماد ما يعرف بأدب الوصايا"**وهو فن من فنون النثر الصوفي امتاز بالقوة في الألفاظ والمعاني، يهدف إلى توجيه النصائح لما ينفع الإنسان في دنياه وآخرته**"[1] لذا لجأ المتصوف المغترب منصور إلى فيض رعاية الله حتى يناجيه ويجعله خليفة في الأرض لتسيير وتيسير أمور العباد بالتقوى والجهاد، جهاد النفس ومحاربة الظلم والفساد وذلك لما اعتمد هو الآخر أدب المناجاة فهو عارف بالشعر لذا تحدث بلغة شعرية على غرار المتصوفة حكى البطل قصة سفره لعمي الصالح حتى يرقى باللغة هي الأخرى وتغترب عن نمطيتها المألوفة وتحكي عن صوفيتها بعباراتها المتفردة في البناء وكذا الأسلوب:

ورأيت شبه مسخ راقصا فوق الكراسي..

بلسان يتلوى هكذا حسب المقاس..

مثلما عاش ومات كان من غير لباس..

مصحف بين يديه،فهو يتلوه ويحسو خمر كاس!..

في التدني والتمني حطم الرقم القياسي!!!..

قلت من هذا؟فقال كائن جد غريب،له أسماء تعدت ألف اسم،إنما أشهرها كان السياسي"[2]..

[1] علي الخطيب، اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي، دار المعارف، القاهرة،مصر، 1404ه، ص57.

[2] الرواية،ج2،ص 335.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد لازم الاغتراب السياسي منصورا حتى في منامه وبهذا تم المزج بين الاغتراب الحقيقي الملموس بالاغتراب الروحي الغيبي فدفعته المزالق الحياتية إلى اللجوء لأسلوب الرمز والإيحاء بالتعفّن الذي مسّ حياة البشر نظرا لعجز اللغة العادية عن التعبير عن النقد المضمر بين جدران الحيرة والاستغراب لسوء المآل في الحقيقة وحتى الخيال فترجم منصور رغبته في التغيير ووضح كل بيدق من هؤلاء في المربع الملائم، أما هو فقد عرج بروحه وارتقى بها إلى السّماء العليا يرى ما لا يمكن لأحد رؤيته في الواقع، كما كان في واقعه فنظرا لنرجسيته المبالغ فيها واغترابه الشديد صار فردا/مثقفا متفردا يشاهد مسرحية الحياة بعمق تحليل وهضم بعيد الأمد للأدوار الممثلة أمامه لوعيه واستفحال النخوة والقومية؛ وهذا العروج لن يتم"**لولا الخيال الذي له القدرة وحده على أن يرفع الحجب ويزيل أغلال العقل..ويقود إلى دروب العالم الآخر،على صهوة الخيال الخلان وجعلتنا نرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**"[1] هي خاصية تميز بها الطاهر الرسول منصور الذي سما بنفسه-كعادته في الواقع-إلى عالم منتظر وكأنه في مهمة رسمية قد كلف بها ليبلغها رسالة تحسيس وتوعية لذوي القلوب الحائرة والميتة، يراه أمرا واجبا عليه لكي يستكمل بذلك اغترابه عن الناس بنبوته وعن الدنيا بزهده المتذبذب في الحياة إلا أن الأصل فيه هو تلك الروح الطاهرة التي اتسم بها وجعلت منه وليا مرشدا أتى ليعلم الناس ويقوم الاعوجاج الذي قد أمالهم إلى حيث لا ينبغي الميل يصرّح لعمي صالح بعد أن أنهى سرد قصة ارتقائه وعروجه الغريبة يقول بأنه"**مازال فيها الكثير من الغرائب والعجائب،وأنا مأمور أن أقصصها على الناس،وعندها تنتهي مهمتي،فإما أن تسمعني وتبلغ عني وإما أن تجمع لي الناس ليشهدوا أني قد بلغت، إن علي إلا البلاغ**"[2] فقد جعلت محنة الوجود منه بسبب الاستلاب الوجودي إنسانا مهووسا بالبحث عن الحق والعدل المفقودين، وإخلاصه في الحياة بالسعي وراء أمل ترسيخ القيم والمبادئ في المجتمع ظل ولوعا بالحب الإلهي والتحسر على غياب الإسلام بشرائعه الحقيقية لا

[1] عبد الحميد هيمة،الخطاب الصوفي،وآليات التحويل ،ص336.

[2] الرواية،ج2،ص337.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتوارثة المحتّمة على الذين صاروا يتقلبون لتقلب الأهواء والميول، ومن هنا ينبعث الجوهر الأساس في التجارب الصوفية الشديدة الصلة بالغربة الروحية أي التخطّي للحدود بغية تحقيق الوجود والتعلق بالدين لدرجة العمق الصوفي بعد مجاهدة النفس كما فعل منصور في غالب حياته رغم بعض الزّلات التي لم تدم طويلا فهي رياضة خاصة تعلو به إلى استكشاف المجهول عن طريق نوع آخر من الاغتراب نمط تجد عالم المادة فيه غائبا وما الحضور إلا للجانب الروحاني الخارق لقوانين الكون وحتى اللغة لأن هذا الأمر لن يتم إلا بجماليات معرفية وأخرى فنية رمزية. وهذه ترسيمة تلخص بواعث الرحلة السابقة وتبرز بأن العودة لن تكون وجهتها إلا اللاّعودة وهذا ما أكد على الاستمرارية الخطابية الصوفية التي استوفتها الحلقة الآنفة الذكر:

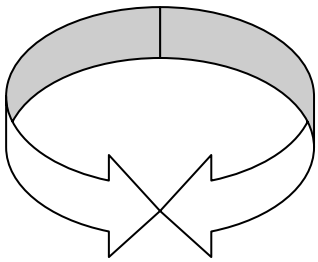

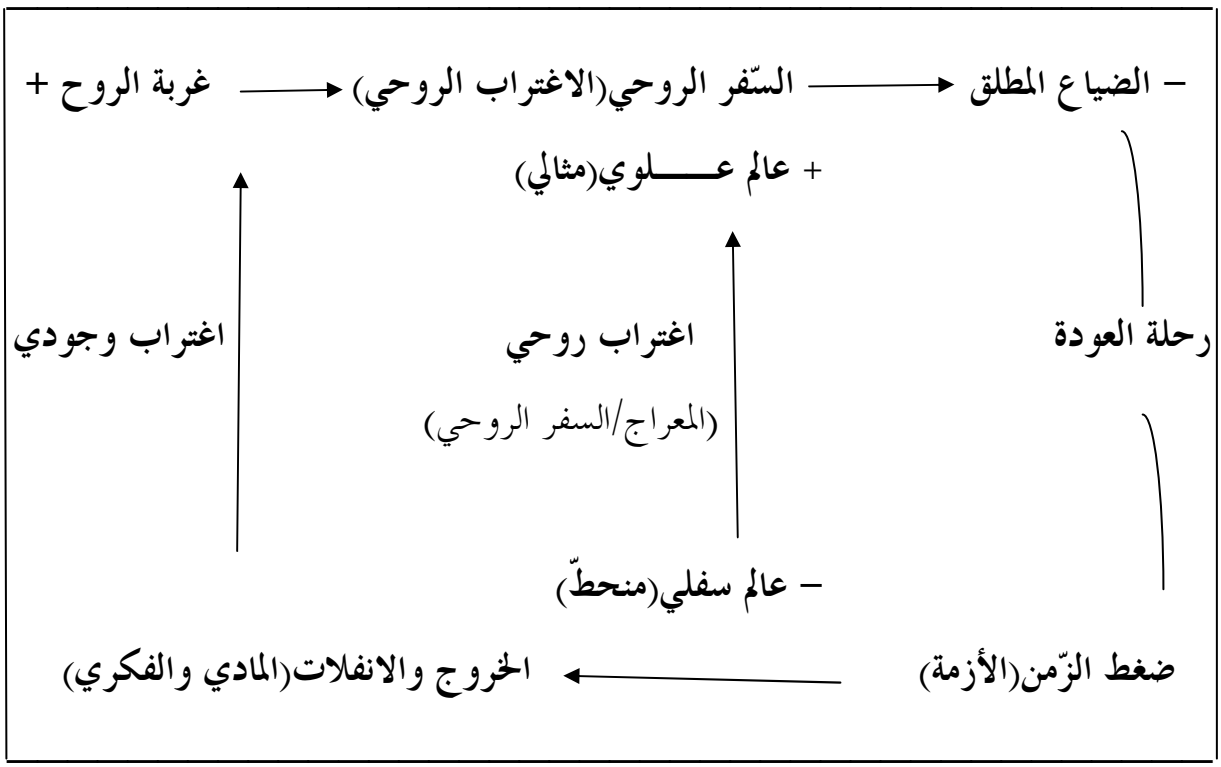

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3-2-1 الاغتراب ولغة الغيب:

لما اكتسى النص الروائي الذي بين أيدينا ثوب الرمز والإيحاء لخصوصية القضايا التي قد تجاوزت أساسيات الواقع ومعالجته بلغة عادية، استدعى الأمر الحاجة إلى خطاب صوفي متميز يعلل توظيفات غامضة قد ذكرها كل من الراوي والبطل، ولأن هذا الأخير قد حاكى الصوفي العريق في نظرته للحياة ومحنته الوجودية والتوسل بالسفر إلى أعلى، عبر استلهام الموروث الإسلامي كذلك حتى يرسم لوحة اغترابه عموما وبمختلف تمظهراته، بريشة الخيال والإبداع والغرائبية حتى يجعل المتلقي يعيش غرابة السرد ويضطرب مع تأويله بين شفرات الخطاب الصوفي ويصطدم بمعجم مبهم راجع بدوره إلى العالم النفسي المعقد للبطل فكانت اللغة بذلك"**فاصلا قطعيا بين الذات والمعطى الخارجي أو هي توسط رمزي بين الداخل والخارج**"[1] فلم تكن المشكلات السردية كما ألفناها نظرا لغياب العقل الذي استبعد فكرة تقويض الزمان والمكان وجلهما محدودين بل على العكس تماما تحرر كل منهما من القيد السردي/الواقعي المفروض إلى التمظهر بطابع يوتوبي مساعد على استيعاب الاغتراب الروحي وحالات الجذب الصوفية إلى عالم نوراني متميز يسوده العدل والتحرر من أغلال الاستبداد والاستعباد والاستحمار واللاإنسانية.كذلك اللغة بوصفها مكونا سرديا تخلصت من ربقة التقريرية والابتذال حتى تعلو بنفسها وعوالمها مكانة تجعل منها وسيلة للتلميح"**فمثلت حروف اللغة مكانة هامة عند المتصوفة،واكتسبت دلالات عديدة**"[2] جعلت منها نسيجا مغزولا بأسرار الوجود وأعيان الممكنات لن يتقن هذه الحرفة إلا المتشبع بالثقافة والعارف بالدين والمالك لحاسة النقد بأطر لها مقاييسها الموضوعية والعلمية.

ولأن الرواية قد اعتمدت تقنيات الكتابة الصوفية في بعض المقاطع السردية بغية استنطاق الاغتراب الديني الغارق في المطلق واللامحدود ألفينا الكتابة الوفية فيها متجاوزة"**لصناعة اللغة،وتجاوز للقواعد المتعارف عليها وتجاوز لقوانين الربط بين الأشياء، وهذا ما جعل منها**

[1] سعيد بنكراد،السرد الروائي وتجربة المعنى ،ص138.

[2] نصر حامد أبو زيد،فلسفة التأويل،دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي،دار الوحدة،بيروت،لبنان،ط1،1983م ص297.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

توليفا صداميا للمحسوس"[1] وهذا ما جسدته بعض المقولات التي استعصى علينا فهمها للوهلة الأولى من المتلقي لغموض في تركيبها القائم على توضيح الجانب الديالكتيكي بين الواقع والذات ومن ثم الذات والمستقبل وأخيرا الواقع والغيب كلها تناقضات باعثها الاستلاب ومن شأنها أن تتسبب في اغتراب اللغة هي الأخرى عن ذاتها بفعل الصوفي الذي عرج بالمشكل السردي-اللغة- الذي سبق وأن شرحنا مواقفه الاغترابية في الفصل السابق،وجعله مكونا يتضمن في طياته حمولات روحية صرفة تتوارى خلف الذات الإلهية أو تتستر للكشف عن تفسيرات دينية بمصطلحات لن يفهمها إلا المؤمن بفكرة اللاّعقل من جهة والمثقف المتمكن الدارس لأصول التصوف لا باعتباره حركة دينية،بل كمذهب قائم بذاته منطلقه التنقيب في مسألة الوجود، والتأسيس لمعارف جديدة تزيد من فضاءاته ونطاقاته الروحية.

وكأمثلة دالة على ما سبق ذكره من تميز للخطاب الصوفي وانفلات للغة من التقرير إلى الرمز والإيحاء عدم تصريح البطل أثناء سرده لعروجه عن المقصود بالمشاهد التي قد رآها أو تراءت له في سفره أو اغترابه الروحي فترك المجال مفتوحا للمتلقي الأول عمي الصالح ومن ثم للقارئ العادي الذي لن يسهل عليه تأويل المقروء إلا بالتسلح بمصطلحات صوفية من شأنها أن تعينه على فهم الرسائل المراد إبلاغها من طرف الولي العارف منصور:

يقلبون القاف"كافا":في دقيق وقيق،ونقيق وحقيق وقرفْ.

وإذا قالوا:"علي باع عيرا وعليها عرمة بل عرمتان من علفْ..

جعلوا العين"ألفْ" !..

بينما الحاء كهاء في:حقوق،وحقيق،وحقاق،وحققْ..

[1] عبد الحميد هيمة،الخطاب الصوفي،ص 99.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو إذا ما قرؤوا:

يالحِبي!..كيف عن حبي حنفْ حال حالا وعن الحال حلف !؟..[1]

كلمات تتطلب وقفة لفهم مدلولاتها الصوفية ومنه إيحاءاتها الاغتراب قد تبرز الاضطراب النفسي، أو القرف الوجودي وإلا الخلط الذي آل إليه مجتمع منصور صار لا يفرق بين نطق الحرف عن الآخر كلها تداخلات نجمت عن الزيف والتقهقر الجسيم، لغة رامزة تقوم بتعرية الواقع المأزوم لاحتوائها على جملة من الأفكار والأحلام والرّموز المحققة للنص وجوده السردي وإن كلفها الأمر الظهور بحلة مغايرة كأن تخرج عن سرديتها وتبرز شاعرية على شكل أبيات تحاكي حقائق القدر الإنساني بجماليات تبهر القارئ بوساطة الإيقاع الحافل بنغمات الحزن والغربة القاهرة للسعادة الأبدية، فيكون تشربها للرّمز الصوفي أكثر منه في الكلام المسترسل العادي لذا وجدنا العروج هنا قد جاء على شكل مقاطع شعرية تحرّت تنويع القوافي لتباين الآلام، وانتقت أبلغ الكلمات لتبرز قيمة التصوف من جهة ومن ثم سمو الاغتراب الأدبي والروحي/الكوني من جهة أخرى حتى يصبح الشاعر كالصوفي"**يسعى لإنهاء نقص العالم وعلى هذا فإن الصلة بين التصوف والشعر تنبثق من سعي كل منهما إلى تصور عالم أكثر كمالا من عالم الواقع**"[2] وبالتالي تجسيد مطامح المغترب اجتماعيا ودينيا وما إلى ذلك من أنماط المغتربين الذين جوبهوا بحاجز الواقع كمعوق لسير مطالبهم في الحياة وهذا ما عاناه البطل فقد كسر الحاضر(الأزمة ومخلفاتها) روح الأمل فيه وكان الندم حليفه رغم تجنبه واستسلامه للواقع المرير...

وكخلاصة لما سبق ذكره وجدنا بأن للأزمة التي أنشبت أظفارها في وجوه القلوب الضعيفة الأثر البالغ في استنطاق المواجع الدفينة وتردّي القيم النبيلة؛ أتت بعاصفتها وقوّضت جل الأنساق القائمة بالبلاد في زمن منصور، وأزاحت شعاع الأمل عن الطريق لما هشّمت فتات الطموح لأن

[1] الرواية،ج2،ص333.

[2] عبد الحميد هيمة،الخطاب الصوفي ،ص 158.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأفئدة قد ماتت بعد أن احتارت واغتربت.والبطل زعيم الغرباء وجد النظام السياسي غائما يمطر متى يشاء و يصفو حين يرجو على أشلاء الأفراد الذين صاروا دمى جافة للأيدي المشلولة والآذان الخرساء لا تصغي إلاّ لمعالم العنف وغرس الذعر في النفوس، فانسحب هذا الهدم على النظام الاقتصادي الذي اختنق وحرم حرية التصدي للمسخ الاجتماعي الحاصل لما طمست الآفاق وأغلقت أبواب العمل ليعبئ طابور الأحياء الميتين مقهى الكسالى الحائرين والمرغمين إلى العيش على حافة الدنيا، والتخبط في العدم المادي، و لم يسلم الجانب الروحي أيضا من شوائب التقويض حيث انساق الإيمان وراء الملذات والزيف الناجم عن الفجوة التي خلقها وأوجدها القحط الديني هذا الأخير تداخل وأنساق أخرى كالسياسة مثلا مما أدّى إلى خلق جدلية سياسية/دينية أسهمت وفعّلت من الشعور بالاغتراب لدى الأفراد والبطل بوجه خاص ففسرنا هذا الجدل مع التوسل بعمق ومنظور صوفي-بحسب البطل-راجع بدوره إلى الانقطاع الدّيني الذي ولّد شرارة أيديولوجية أكسبت النص الروائي طابعا غرائبيا مثيرا حلل وأوضح الصراع الدائر بين عالم المثل والمبادئ وبين عالم المادة والانحطاط الخلقي...

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خـــاتمـــة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خاتمـــــة:

لما تأسست البنية الدالة لرواية البحث على تقاطبات أبرزت الجدل القائم بين البطل المثالي المتفرد والواقع الذي تتخبط فيه ذاته، كان لمدلول الاغتراب بذلك الحظ الوافر للحضور في جل المتفاعلات السردية، لأن استيعاب التناقضات الحاصلة في الواقع أمر يستدعي الارتكاز إلى حالات شعورية فريدة، تترجم من خلال الوعي الأفق الذي ترسمه هذه الذات الرافضة لما حولها من أوضاع قد تبدو لها هائرة وغير منطقية؛ بالطّموح إلى مجتمع معياري ينبني في أصوله على مبادئ سياسية واجتماعية وأيديولوجية قويمة. وقد استند الكاتب في روايته إلى التوسل بشخصية جذع بغية إعلاء راية الانقلاب على الآخر، لأن حساسية الواقع(الأزمة) قد وجّهت أقلام الروائيين إلى التمرد الفكري بسبب الصراع، والانسداد الاجتماعي الذي اعترى الجبهات الكبرى، فاعتمد هؤلاء على سياسة انتقاد التصدع القائم، بعد أن صارت العلاقة بينهم وبين المواقف الخارجية فاترة وغائمة وغير مستقرة، ولجؤوا في الغالب إلى التقنّع بشخصياتهم الروائية ليبلّغوا قهر حرياتهم الثقافية والفنية وحتى حرية الوجود من أساسها.

وبعد استثمار تقريبي للمعطيات النظرية للفصل الأول في الفصلين الثاني والأخير خلصنا إلى أن ظاهرة الاغتراب قد تجلت في الداخل النصي من جهة، والخارج النصي من جهة أخرى، لأنها حالة نفسية انطلقت من ذات التلفظ نحو الخارج، كان لهذا الأخير وبمختلف مؤسساته اليد الفاعلة في تأزيم وتفعيل هذه الحالة التي اختلف الباحثون في عدّها باعثا ايجابيا قد يحقق حرية الوجود بالانسلاخ الكلي وذلك بغية الإبداع، وإلا سلبية نابعة من أعماق ذات أرهقت العالم بإنكارها الشديد له. وقد يكفيها المفهوم الديكارتي حتى تصبح ذات كفاءة اجتماعية.

ولأن كرّاف الخطايا رواية شخصية رئيسة تتبعنا التّمظهرات الاغترابية في مستوى أفعالها وزمانها ومكانها، وكذا ملفوظاتها السردية المباشرة منها وغير المباشرة، فكانت ذاتها حاضرة وبقوة ساعدتنا المحكيات النفسية، وبعض التداعيات على الكشف عن انطواءاتها، وعزلتها المطولة لطول معاناتها مع أهل القرية التي يقطن بها فاغتربت عن ذاتها وعاشت الوحدة العليلة كما أيقنت بأن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لاانتماءها قد صار أمرا محتما عليها، وبفعل قوى قاهرة، صار البطل فاعلا مساعدا من خلال سماحته، ووطنيته وخوفه المبطن على مصير بلده، وابتعاده عن البشر لا يعني أن هذا الشخص ذو البعد الواحد معاد لهؤلاء بل لعجزه الكامل عن التفاعل مع أناس مغايرين مزيفين، وملوثين بأيديولوجيات متذبذبة تميل حيث الريح تميل. بالإضافة إلى كونه فاعلا مضادا من خلال كرفه لخطايا الناس، وترصده لعيوبهم فكان ذا طابع انفجاري لّما قام بتفريغ انفعالاته بطريقة غير منطقية أو متوقعة، وبردود أفعال غير متناسقة طمستها أفعال زمن بطلاسم جعلت منه رجلا غريبا جرّه العامل الخارجي المضطرب والمتقهقر بدوره على غرار بعض الشخصيات(الفقير،المنحرف،المتدين المزيف وغيرهم..) إلى الاغتراب الجغرافي، والنفسي المفترض لباقي الأنماط أي السياسية، والاجتماعية الدينية. وقد برّر المضمون السيكولوجي فشل الشخصية الرئيسة في التكيف مع الأعراف الاجتماعية السائدة، واعتلالها واضح؛ لخراب نفسها وغرفتها وشتات تفكيرها المتصارع بين فيض الخواطر ورعب الوجوم اليومية، فكلها بواعث تسبّبت في:

- ✓ اغترابه عن ذاته ولعل هذا النوع يعد أخطر الأنماط تأثيرا، والمعين على فهمه تفسيره هو البحث السيكولوجي وحتى الفلسفي باعتباره حقيقة أنطولوجية لابد من المرور بها، وقد يتجاوز هذا النمط الحالة الطبيعية العادية للمغترب إلى الانعطاف به لسلوكات قد تمكن من نفوذ براثن الحالات الهيستيرية والجنون، والهذيان إلى درجة إنكار الذات، ويعود الفضل في استنطاق هذا النوع إلى طغيان المنولوج والمحكي النفسي وكذا اصطناع الجنون الذي جسد الاغتراب الظاهري/الكلي عن العقل، والتحدث إلى الأموات والشياطين نظرا للوحدة القاهرة؛ كلها عوامل أدّت إلى خروجه عن ذكوريته بارتداء الخف النسوي وعدم الاعتراف بالارتباط الجنسي أو الزواج، وهذا خير دليل على مباركته لفكرة العيش في عزلة أبدية تعمّد التخبط فيها لفقدانه أبسط مقومات الحياة المصاقبة لفكره ووعيه.
- ✓ اغترابه عن نفسه وعن المجتمع حين رفض الاندماج مع البنية الاجتماعية السائدة نظرا لتقهقر أعرافها وانحلال الأخلاق فيها، ولأن جل مؤسساتها قد صارت سلما تصعد عليه بعض

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأنساق الحاملة لمضامين مخالفة للسائد المتعارف عليه زادت من إذكاء الاغتراب الاجتماعي لدى البطل من جهة، وجعل البعض الآخر يعيش كالهائم الذي لا وجهة له غريب عن الآخرين لدونيته المادية والمعنوية هو مجتمع يختزل الفقير بتهميشه واحتقاره، فيبتر هذا التمايز الأمن وكل ما من شأنه أن يعزز الرّوابط الاجتماعية بين الأفراد.

- ✓ اغترابه عن السياسة والعجز عن ممارستها رغم فقهه الواسع بها، واستيعابه لخلفيات التعدد الحزبي بعد الحزب الواحد، يعي جيدا-على غرار الآخرين-حقيقة الأيديولوجيا الحاكمة، كما يتأسف لمآل الدين الذي قد سُيّس من قبل الحاكمين والمحكومين، و لم يكن أمام اغترابه السياسي إلا العبث بطابع السخرية مع السياسيين عبر تقنية التسجيل التي جازفت بحياته بعد توجيه أصبع الاتهام نحوه لا لشيء سوى لأنه استهدف محاورة مستويات واقع الوطن عبر شريطه، وبهذا أدى الاغتراب السياسي إلى ضرورة تذوق غربة السجن التي حرمته من نور السجن الأكبر الذي يعيش فيه.
- ✓ اغترابه عن الوضعين الاقتصادي والثقافي عمقه الفراغ الوجودي الرهيب الذي خيم بغيهبه على حياته، خاصة بعد انفصاله عن العمل رغم المستوى العالي والإمكانات التي يمتلكها هذا المثقف، تبنى الاتكالية، وتشيأ على غرار الآخرين بعد أن أقر بأن عصره الراهن-العولمة-عصر تشيؤ وتجميد للفردية القائمة بذاتها وكانعكاس سلبي انسحب هذا الثبات والتردي إلى النسق الثقافي الذي لم يسلم هو الآخر من القمع، لأن المثقف الواعي خطر على المجتمع،وغريب لابد من إرغامه العيش على حافة الحياة دونما أي اعتراض لأن لغته مخالفة تماما للغة المزيفين اغتربت تلك التي اغتربت عن معانيها، وباتت عباراتهم بوجهين تظهر ما لا تضمر.
- ✓ اغترابه الديني المتقطع يبحث عن الإسلام المعتدل في بلد تلاعب بمبادئ هذا الدين وطوّعها وفقا لمصالحه الأيديولوجية، وهذا ما أثبتته بعض الشخصيات كالسلفية والإمام، والجماعات الإسلاموية فعانى الشتات الروحي لافتقاره إلى أهم مطعّم، قد يخفف عنه عبء المعاصي التي يتخبط بها هو وغيره، يستغرب أمر الأئمة ويهزء من السلفية، يعاتب بضميره الواعي الزّي الفسيفسائي الذي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يرتديه كل من أصحاب السهل/الجبل، هذه الأخيرة حولتها إلى هيئة تخدم أفكارها الجهنمية المسيئة إلى قداسة الإسلام. وقف وللأسف عاجزا عن التغيير لكنه ارتأى معالجة اغترابه الديني باغتراب روحي وراقي عله يسمو آفاقه المأملة، كما عكس عمق التحول الأيديولوجي لديه بادعائه الولاية وزهده الدنيوي الذي عزّى إيمانه المتقهقر...

- ✓ هي اغترابات جعلت البطل يغترب في الزمن–زمن العشرية السوداء–بقتله والعيش في عالم خاص احتواه كوكبه الخاص(الغرفة) فصار الزمن بلا ملامح لا يعرف تشابك الأحداث، بل يسير وفق خط رتيب يفتقر لبوادر التقليل من ترهين العزلة والزيادة من حدتها، وقد أكد الحلم جفاف الزمن لدى البطل الذي اعتلى فيه المعراج المستلهم من التراث الإسلامي بمقامات صوفية طامحة للتغيير بالاستلاب الروحي، والخيال الجامح والمعرفة الروحية التي تنشد التّماهي مع الذات الإلهية واستحضار العالم العلوي اليوتوبي، فألغى بذلك عامل المكان بمفهوميه الطبيعي والسردي، اختار زاوية ضيقة عبرت عن ضيق حريته وأسر تحركاته، ومن ثمة أعلنت عن اغترابه المكاني بالتبرم من كل حيز جغرافي تشغله أفراد كبيادق لعبة شطرنج تلهو بها أيادي القامعين وأتباعهم...

ونختم حوصلتنا بالتأكيد على فكرة التماهي الحاصلة في الرواية، بعد استكشاف التطابق الواضح بين اغتراب البطل والرّوائي عبد الله عيسى لحيلح، كمثقف عايش ملابسات الأزمة وتقاطع هو الآخر مع هذه الشخصية، بالنزوع إلى مثل هذه الحلول لمعالجة محنة الوجود كحل الهروب(الاغتراب المكاني) إلى الجبل مثلا. فعبر الكاتب عن فدحْ صدمة الوجود في مجتمع متعفن بسبب تقويض الأنساق، واندثار القيم وسوء التسيير، أتاح فرصة الاستشراف بوصف فني ولغة ثرية شاعرية الظّلال لتطلعات البطل المغترب، والولي الصالح منصور علّه يجد الخلاص من العالم السفلي بعالم طاهر يخلص الاثنين من ربقة الاغترابين الوجودي والروحي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

أ/المصـــــادر:

1- عبد الله عيسى لحيلح، كرّاف الخطايا: ج1،مطبعة المعارف،عنابة،الجزائر،ط1،2002م.

2- ـــــــــــــــــــــــ : ج2،دار الوسام العربي للنشر والتوزيع،عنابة،الجزائر،2010م.

3- عبد الله عيسى لحيلح،وشم على زند قرشي،دار البعث، قسنطينة،الجزائر،ط1،1985 م.

ب-المراجـــع العربية:

1-إبراهيم عباس،تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية،دراسة في بنية الشكل،الطاهر وطار،عبد الله العروي،محمد لعروسي المطوي، edition.e.n.p، الجزائر،ط1 ،2002م.

2-إلياس فرج، تطور الأيديولوجية العربية الثورية-الفكر القومي-المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط7 ،1979م.

3- أحمد حيدوش،الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث،ديوان المطبوعات الجامعية،الساحة المركزية،بن عكنون،الجزائر،دط.

4- أحمد بن الداية،الفلسفة السياسية عند العرب،تحقيق:عمر المالكي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1980م.

5- أحمد أبو مطر،الرواية في الأدب الفلسطيني،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،لبنان،ط1،1980م.

6- أحمد موصللي،لؤي صافي، جذور أزمة المثقف في الوطن العربي،دار الفكر،دمشق،سوريا،ط1،2002م.

7- أحمد وهبان الماوردي رائد الفكر السياسي الإسلامي،دار الجامعة الجديدة للنشر،الإسكندرية،مصر،2001م.

8- أدونيس،الصوفية والسوريالية،دار الساقي،بيروت،لبنان،ط2،1995م.

9- إمام عبد الفتاح إمام،دراسات هيجلية،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،1985م

10- آمنة بلعلى،تحليل الخطاب الصوفي،في ضوء المناهج النقدية المعاصرة،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1،2010م. .

11- أميرة علي الزهراني،الذات في مواجهة العالم،تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية،المركز الثقافي العربي،المغرب،ط1 ، 2007م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

12- أوريدة عبود،المكان في القصة الجزائرية الثورية،دراسة بنيوية لنفوس ثائرة،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،2009م.
13- بدري عثمان،بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط1،1986م.
14- بشير بويجرة محمد،الشخصية في الرواية الجزائرية(1970-1983)ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1986م.
15- جابر عصفور،نظريات معاصرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،1998م.
16- جمال الدين الخضور،زمن النص،دار الحصاد للنشر والتوزيع،دمشق،سوريا،ط1،1995م.
17- جميل صليبا،المعجم الفلسفي،بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية،ج 1،دار الكتاب اللبناني،لبنان،1982م.
18- الحبيب شبيل،المجتمع والرؤية،قراءة نصية في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط1 ،1993م.
19- حسان رشاد الشامي،المرأة في الرواية الفلسطينية،1965م-1985م،منشورات اتحاد الكتاب العرب،سوريا،1998م
20- حسن الكحلاني ،الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر،مكتبة مدبولي،القاهرة،مصر،ط4 ،2004م.
21-حسن بحراوي،بنية الشكل الروائي،الفضاء،الزمن،الشخصية،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط2،2009،.
22- حسنين توفيق إبراهيم،ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،لبنان،ط2،1999م.
23- حسن حنفي،في الفكر الغربي المعاصر،المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط4 ،1990م.
24- حسن عبد الحميد أحمد رشوان،الأدب والمجتمع،دراسة في علم اجتماع الأدب،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية،مصر،ط1 2004م/2005م..
25- حسين محمد فهيم،أدب الرحلات،عالم المعرفة،الكويت،1989م.
26- حليم بركـــات،الاغتراب في الثقافة العربية،متاهات الإنسان بين الحلم والواقع،مركز دراسات الوحدة العربية،ط1 ،لبنان،2006م.
27-حميد لحمداني،بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي،المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع،الدار البيضاء،المغرب،ط3،2000م.

www.manaraa.com

28- أبو حيان التوحيدي،الإشارات الإلهية،تحقيق:عبد الرحمن بدوي،جامعة فؤاد الأول،القاهرة،مصر،1950م.
29-أبو حيان التوحيدي،المقابسات،تحقيق:حسن السندوبي،المطبعة الرّحمانية،مصر،ط1، 1969م.
30- أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة،شرح غريبة خليل المنصور،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1 1997م.
31-خالد حامد،المدخل إلى علم الاجتماع،جسور للنشر والتوزيع والتوزيع،الجزائر،ط1 2008م.
32- رزان محمود إبراهيم،خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة،دار الشروق،عمان،الأردن،ط1،2003م.
33- روزو ماري شاهين،قراءات متعددة للشخصية،دراسة تطبيقية على شخصيات نجيب محفوظ،دار ومكتبة الهلال،مصر،ط1،1995م.
34- زكريا إبراهيم،دراسات في الفلسفة المعاصرة،دار مصر للطباعة،الفجالة،مصر،دط،دت.
35- زينب محمود شقير،مقياس الاغتراب النفسي،(مكنوناته،مظاهره)،مكتبة النهضة المصرية،ط1،القاهرة،مصر،2002م.
36- سعيد العشماوي،تاريخ الوجودية في الفكر البشري،الوطن العربي،بيروت،لبنان،ط3 1984م.
37- السّعيد الورقي،فوزي عيسى،دراسات نقدية،نقد تطبيقي،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية،مصر.
38- سعيد الوكيل،تحليل النص السردي،معارج ابن عربي نموذجا،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،1998م.
39- سعيد بنكراد،السرد الروائي وتجربة المعنى،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط1،2008م
40-سليمان حسين،مضمرات النص والخطاب،في عالم جبرا إبراهيم جبرا،منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،1999م.
41-سهير عبد السلام،مفهوم الاغتراب عند هربرت ماركيوز،دار المعرفة الجامعية،الأزاريطة،مصر،2003م.
42-سوسن ناجي،المرأة في المرأة،دراسة نقدية للرواية النسوية في مصر(1888-1985م)العربي للنشر والتوزيع،مصر،ط1،دت.
43- سيزا قاسم،القارئ والنص،العلامة والدلالة،الشركة الدولية للطباعة،القاهرة،مصر،2002م.
44-سيزا قاسم،بناء الرواية،دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،1984م.
45- شريبط أحمد شريبط،تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة،منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،1998.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

46- الشريف حبيلة،الرواية والعنف،دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1،2010م.

47-شوقي بدر يوسف، الرواية والروائيون،دراسات في الرواية المصرية،مؤسسة حورس الدولية،مصر ط1 ،2006م.

48- الشيخ محمد الشيخ،التحليل الفاعلي،نحو نظرية حول الإنسان،دائرة الثقافة والإعلام،الشارقة،الإمارات ط 1،2001م.

49- الصّادق قسومة،طرائق تحليل القصة،دار الجنوب،تونس،دط،1994م

50- صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2003م .

51- الطاهر وطار،الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزّكي،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،المغرب،مارس 2000م.

52- عائد محمد بن حرب،صوفية الفكر الفلسفي،الأهلية للنشر والتوزيع،الأردن،ط 1،2001م.

53- عادل القاضي،الهجرة والاغتراب،تأسيس فقهي لمشكلة اللجوء والهجرة،مؤسسة المعارف للمطبوعات،بيروت،لبنان،ط1، 1999م.

54- عباس محمود العقاد،التفكير فريضة إسلامية،منشورات المكتبة العصرية،صيدا،بيروت،دط،دت.

55- عبد الحق منصف،أبعاد التجربة الصوفية،إفريقيا الشرق،المغرب،دط،دت.

56- عبد الحميد هيمة،الخطاب الصوفي وآليات التحويل،قراءة في الشعر المغاربي المعاصر،موفم للنشر،الجزائر،2008م.

57- عبد الحي أزرقان،أحمد العلمي،حوارات في الفلسفة والأدب والتحليل النفسي والسياسة،أفريقيا الشرق،المغرب،ط2،1996م.

58- عبد الرحمن بدوي،فلسفة القانون والسياسة عند هيجل،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،لبنان،ط 1،1996م.

59- عبد العزيز شرف،الأسس الفنية للإبداع الأدبي،دار الجيل،بيروت، لبنان،ط1،1993م

60- عبد الله خمار،تقنيات الدراسة في الرواية،الشخصية،دار الكتاب العربي،الجزائر،1999م.

61- عبد الله العروي،مفهوم الأيديولوجيا،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب، ط7،2003م.

62- عبد المعطي سويد،التناقض الوجداني في الشخصية العربية،المعاصرة،دار الحوار للنشر والتوزيع،ط1،سوريا،1992م.

63-عبد الملك مرتاض،في نظرية الرواية،بحث في تقنيات السرد،عالم المعرفة،الكويت،1998م

www.manaraa.com

64- عز الدين جلاوجي،سلطان النص،دراسات،دار المعرفة،باب الوادي،الجزائر، 2009م.
65- عزت حجازي،الشباب العربي ومشكلاته،عالم المعرفة، الكويت، 1985 م.
66- أبو العلاء المعري ،اللزوميات،شرح عزيز زند،دار المعارف للطباعة والنشر،سوسة،تونس،ج2،دط،دت
67- علي شتا،الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية،مكتبة الإشعاع الفنية،مصر،1997م.
68- عمر بوقرورة،الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث،1945-1962م،منشورات جامعة باتنة،الجزائر،دط.
69- عمر عروة،النثر الفني القديم،أبرز فنونه وأعلامه،دار القصبة للنشر،الجزائر،2000م.
70- عمر منيب إدلبي،سرد الذات ،فن السيرة الذاتية،دائرة الثقافة والإعلام،الإمارات،ط1 2008م.
71- عناد عزوان،أصداء،دراسات أدبية نقدية،منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،2000م.
72- فاروق أحمد سليم،الانتماء في الشعر الجاهلي،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،1998م.
73- فيصل دراج،الرواية وتأويل التاريخ،نظرية الرواية والرواية العربية،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء المغرب،ط1،2004م.
74- فيصل دراج،الواقع والمثال،مساهمة في علاقات الأدب والسياسة،دار الفكر الجديد،بيروت،لبنان،ط1،1989م.
75-فيصل عباس، الاغتراب،الإنسان المعاصر وشقاء الوعي،دار المنهل اللبناني،لبنان،ط 1،2008م.
76- ماجد قاروط،المعذب في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان من عام1945م إلى1985م،دراسات جمالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،1999م.
77- المتنبي،الديوان،تعليق:يحي شامي،دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع،مكتبة مدبولي،القاهرة،بيروت،مصر،لبنان،ط 10.
78-مجاهد عبد المنعم مجاهد،جدل الجمال والاغتراب،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،1997م.
79- مجدي أحمد محمد عبد الله علم النفس المرضي،دراسة في الشخصية بين السواء والاضطراب،دار المعرفة الجامعية،بيروت،لبنان،2000م
80-مجدي كامل،أحلى قصائد الصوفية،دار الكتاب العربي،سوريا،ط1 ،1997م.
81- محمد الرحموني،الدين والأيديولوجيا،جدلية الديني والسياسي في الإسلام وفي الماركسية،تقديم:رضوان السيد،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،ط1،2005م.
82- محمد الهادي العامري،القصة التونسية القصيرة،دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع،تونس،1980م.
83-محمد بلقاسم خمار،حوار مع الذات،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،2000م.

www.manaraa.com

84-محمد خضر عبد المختار،الاغتراب والتطرف نحو العنف،دراسة نفسية اجتماعية،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،مصر.
85- محمد خليفة حسن،التفكير التاريخي والحضاري-عند الشعوب العربية السامية القديمة،الوادي الجديد،القاهرة،مصر،2000م.
86-محمد راضي جعفر،الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر،مرحلة الرواد،منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،1999م.
87- محمد زكي العشماوي،دراسات في النقد الأدبي المعاصر،دار النهضة العربية،بيروت،لبنان،دط،دت.
88-محمد سالم محمد الأمين الطلبة،مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر،دراسة نظرية تطبيقية في سيمانطيقا السرد،مؤسسة الانتشار العربي،بيروت، لبنان،ط1،2008م.
89- محمد شوقي الزين،إزاحات فكرية،مقاربات في الحداثة والمثقف،منشورات الاختلاف،الجزائر،2008م.
90- محمد عباس يوسف،الاغتراب والإبداع الفني،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،2004م.
91- محمد عزام،شعرية الخطاب السردي،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،2005م.
92- محمد فائق،دراسات في الرواية العربية،دار الشبيبة للنشر والتوزيع،1978م.
93- مراد عبد الرحمن مبروك،بناء الزمن في الرواية المعاصرة،رواية تيار الوعي نموذجا،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،1998م.
94- مصطفى حجازي،سيكولوجية الإنسان المقهور،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط9،2005م.
95- مصطفى ناصف،محاورات مع النثر العربي،عالم المعرفة،الكويت،1997م.
96-منذر عياشي،نقد وحقيقة رولان بارت،مركز النّماء الحضاري،سوريا،ط1،1994م.
97- مها حسن القصراوي،الزمن في الرواية العربية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،الأردن،ط1،2004م.
98- ميجان الرويلي،سعد البازعي،دليل الناقد الأدبي"النقد النفساني والتحليل النفسي"،الدار البيضاء،المغرب،ط4 ،2005م.
99- نادية عيشور،الصراع الاجتماعي،بين الممارسة،دار بهاء الدين للنشر والتوزيع،الجزائر،ط1 2008م.
100- ناهضة ستار،بنية السرد في القصص الصوفي،المكونات،الوظائف،التقنيات،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،2003م.
101- نبيلة إبراهيم،فن القص بين النظرية والتطبيق،دار قباء للطباعة،القاهرة،مصر،1986م..
102-نبيلة إبراهيم،نقد الرواية،من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة،مكتب غريب،القاهرة،مصر،دط،دت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

103- نصر حامد أبو زيد،فلسفة التأويل،دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي،دار الوحدة،بيروت،لبنان،ط1،1983م.
104- نصر حامد أبو زيد،هكذا تكلم ابن عربي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،2002م.
105- نور الدين السد،الأسلوبية وتحليل الخطاب،دراسة في النقد العربي الحديث ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،ط2،الجزائر.
106- نور الدين مسعودان،مالك بن نبي بقلم معاصريه،دار النون للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،دط،دت.
107- هادي العلوي،حوار الحاضر والمستقبل،دار الطليعة الجديدة،سوريا،ط1 1999م.
108- واسيني الأعرج،اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،دط،1986م.
109- وفيق سليطين،الزمن الأبدي،الشعر الصوفي،الزمان،الفضاء،الرؤيا،دار المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق،سوريا،ط1،2007م.
110- يحي الجبوري،الحينن والغربة في الشعر العربي،الحنين إلى الأوطان،مجدولاي للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،ط1 ،2008م.
111- يحي العبد الله،الاغتراب،دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن،ط1 ،2005م.
112- يمنى العيد، فنّ الرواية العربية،بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب،دار الآداب،بيروت،لبنان،ط1 1998م.
113- يوسف نوفل،تجليات الخطاب الأدبي،دار الشروق،القاهرة،مصر،ط1،1997.
114- يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرّغاية، الجزائر، 2002م.

جـ-المراجـــــع المترجمة:

1- إيريك فروم ، الإنسان بين الجوهر والمظهر،تر:سعد زهران،عالم المعرفة،الكويت،1989م.
2- إيريك فروم، أزمة التحليل النفسي،تر:طلال عتريسي،المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع،ط1 1988م.
3- إيريك فروم،المجتمع السليم،تر:محمود محمود،مكتبة الأنجلو مصرية،القاهرة،مصر،1960م.
4- برتراند راسل،السلطة والفرد،تعريب:شاهر محمود،دار الطليعة،بيروت،ط1، 1961م.
5- بول تيليش،الشجاعة من أجل الوجود،تر:كامل يوسف حسين،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط 1،1981م.
6-بول ريكور،الذّات عينها كآخر،تر:جورج زيناتي،مركز دراسات الوحدة العربية،ط1 بيروت،لبنان .

www.manaraa.com

7-بول ريكور،الوجود والزمان والسرد،تر:سعيد الغانمي،المركز الثقافي العربي،بيروت،لبنان،ط1 1999م.
8- تودوروف كنت بينيت كلر وآخرون،القصة الرواية المؤلف،دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة،تر:خيري دومة،دار شرقيات للنشر والتوزيع،ط1،1997م.
9- جاك شورون،الموت في الفكر الغربي، تر:كامل يوسف حسين،عالم المعرفة،الكويت،1984م.
10-جان بلامان نويل،التحليل النفسي والأدب،تعريب:عبد الوهاب تروء،منشورات عويدات،بيروت،لبنان،ط1،1996م.
11-جورج لارين،الأيديولوجيا والهوية الثقافية،الحداثة وحضور العالم الثالث،تر:فريال حسن خليفة،مكتبة مدبولي،القاهرة،ط1،2002م.
12-جورج لوكاتش،دراسات في الواقعية،تر:نايف بلوز،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط4،2006م.
13-ريتشارد شاخت،مستقبل الاغتراب،تر:وهبة طلعت أبو العلا،منشأة المعارف،الإسكندرية،مصر2001م.
14-ريجيس جوليفي،المذاهب الوجودية،تر:فؤاد كامل،دار الآداب ،بيروت،لبنان،ط1 1988م.
15- ماريوس فرنسوا غويار،الأدب المقارن،تر:هنري زغيب،منشورات عويدات،بيروت-باريس،ط1 1971م.
16- فلاديمير مكسيمنكو،الأنتلجانسيا المغاربية،المثقفون أفكار ونزاعات،تر:عبد العزيز بوباكير،دار الحكمة،الجزائر،ط1،1984م
17-مندلاو،الزمن والرواية،تر:بكر عباس،دار صادر،بيروت،لبنان،ط1،1997م.
18- مولوين ميرشنت،كليفورد ليتش،الكوميديا والتراجيديا،تر:علي أحمد محمود،عالم المعرفة،الكويت،1990م.
19-نيقولاي برديانق،العزلة والمجتمع،تر:فؤاد كامل عبد العزيز،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،مصر،1960م.
20- هربرت ماركيوز،العقل والثورة،هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية،تر:فؤاد زكريا،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،مصر،1970م.

د-المعاجم والقواميس:

1-أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي،العين،تحقيق:مهدي المخزومي،إبراهيم السامرائي،سلسلة المعاجم والفهارس مطابع الرسالة،الكويت،ج4،دط،1980م.
2- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية،تعريب:خليل أحمد خليل،منشورات عويدات،مج (a-g) بيروت،ط2 ،2001م.
3- أيمن حمدي،قاموس المصطلحات الصوفية،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،2000م.
4- المعجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية،مصر،ط4،2004م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5-المنجد في اللغة والأعلام،دار الشروق،بيروت لبنان،ط40،2003م.
6- جيرالد برنس، قاموس السرديات،تر:السيد إمام،ميريت للنشر والمعلومات،القاهرة،مصر،ط1،2003م.
7- سمير حجازي، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، دار الكتب الجامعية، بيروت، لبنان.
8- عبد العالي بوطيب،الشخصية الروائية بين الأمس واليوم،علامات،ج54،مج
14،شوال1425ه،ديسمبر،2004م.
9-محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري،لسان العرب،الدار المتوسطة للنشر والتوزيع،الجمهورية التونسية،ج1،2005م.
10- مجي الدين يعقوب الفيروز آبادي،القاموس المحيط،تقديم:أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي،منشورات محمد علي البيضون،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1 2004م.
11- محمود يعقوبي، معجم الفلسفة،مطبعة البعث،قسنطينة،الجزائر،ط1،1979م.
12- هيفرو محمد علي ديركي،مختصر الاصطلاحات الصوفية،دار التلوين،دمشق،سوريا،ط1 2008م.
13- يوسف محمد البقاعي قاموس الطلاب، ،دار المعرفة،الدار البيضاء،المغرب،2006م.

هـ-الدّوريـــــات:

1- برهان غليون ، الحركات الإسلامية والديمقراطية،دراسات في الفكر والممارسة،سلسلة كتب المستقبل،مركز دراسات الوحدة العربية،الجزائر،ط1،1999م.
2-حبيب الشاروني،الاغتراب في الذات،عالم الفكر،مج10،العدد الأول،سبتمبر،1979م.
3- سعيد أبو عيطة، بنية الخطاب في رواية التيه، مجلة البيات، الكويت ، ع316،نوفمبر 1996م.
4- صبار نور الدين،الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية،الموقف الأدبي،ع355،إتحاد الكتاب العرب، دمشق،سوريا،سبتمبر2000م.
5- عبد القادر شريف بموسى،قراءة جديدة في حكايات ألف ليلة وليلة،الاغتراب ورمزيته في حكاية الصياد والعفريت،التراث العربي،العدد 106.
6- عدنان بن ذريل،أشكال الاغتراب وتجاوزه،الموقف الأدبي، ع 304،اتحاد الكتاب العرب،دمشق، آب1996 م.
7- قاسم حجاج،التنشئة السياسية في الجزائر في ظل العولمة،بعض أعراض الأزمة ومستلزمات الانفراج،مجلة الباحث، ع02،الجزائر،2003م.
8- قيس النوري،الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا،عالم الفكر،المجلد العاشر،العدد الأول،ماي 1979م.
9-محمد أحمد المسعودي،الإمتاع والمؤانسة،شخصيات بالغرابة والسخرية،كتابات معاصرة،مج7، ع26،لبنان،آذار1996م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

10- محمد ساري،نظرية السرد الحديثة،مجلة السرديات،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع العدد1،جانفي،2004م.
11- محمد عزام،البطل الروائي ،الموقف الأدبي،إتحاد الكتاب العرب،دمشق،العدد 346،شباط،2000م.
12- مريم جبر فريحات،الحسّ الاغترابي في أعمال روائية لغسّان كنفاني،مجلة جامعة دمشق،سوريا،مج26، ع3،2010م.
13- مها القصراوي،النص الأدبي بين التداخل والتراسل،رواية براري الحمى لإبراهيم نصر الله نموذجا،مجلة الجامعة الإسلامية،السعودية،مج 18، ع2،جوان 2010م.

و-الملتـــــقيات :

1--عبد الوهاب بوشليحة،أزمة الذات والعالم في الرواية الجزائرية،رواية تيميمون لرشيد بوجدرة نموذجا،الملتقى الدولي حول السرديات،قسنطينة،الجزائر،نوفمبر،2005م.
2- نعيمة فرطاس،بنية الفضاء السردي في رواية غدا يوم جديد،الملتقى الدولي العاشر للرواية مديرية الثقافة دار هومة ،برج بوعريرج ،الجزائر،دط.
3- الطيب بودربالة، قراءة في كتاب"سيميائية العنوان" لبسام قطوس، السيمياء والنص الأدبي، محاضرات الملتقى الوطني الثاني، منشورات الجامعة، بسكرة،الجزائر، أفريل 2002م

ز-مواقع الانترنت :

1- زهية منصر،حوار مع الروائي عيسى لحيلح،الشروق،24 أوت، 2008م.

www.manaraa.com

فهرس الموضوعات

مقدمـــــة.....أ

الفصل الأول:مـــــفهوم الاغتراب،وتجلياته في الرواية العربـــــية الحديثة.....6

1-مفهوم الاغتـــــراب.....7

1-1 التعريف بالاغتراب.....7

1- 2 الغربة والاغتراب(مفارقة اصطلاحية).....11

1-3 الاغتراب في التجربة الصَوفية العربية.....18

1-3-1 التَوحيدي وأزمة الوجود.....19

1-3-2 ابن عربي وأحوال الاغتراب.....22

1-4 الدلالات الأولى للاغتراب.....24

أ- الانتقال.....24

ب-الجنون.....25

جـــ-العزلة.....26

د-الاستقلالية.....26

www.manaraa.com

هـــ-اللامعيارية.....27

1-5 مفاهيم هيجل وأتباعه للاغتراب.....27

1-5-1 مفاهيم هيجل.....27

أ/ المفهوم اللاّهوتي.....28

ب/المفهوم الفلسفي.....29

1 -5-2 مفاهيم الأتباع.....32

2-أبعاد الاغتراب ومظاهره.....36

3-منطلقات الاغتـــــراب.....40

1-5 الاجتماعية.....41

2-5 السياسية.....43

3-5 الدينـــية.....45

4-5 الحضارية.....46

4-أنـــماط الاغتراب.....47

1-4 الاغتراب الذّاتي (النّفسي) 47

2-4 الاغتراب الاجتماعي.....52

3-4 الاغتراب السّياسي.....55

4-4 الاغتراب الأيديولوجي.....58

www.manaraa.com

4-4 الاغتراب الاقتصادي (الصّناعي) 59

4-5 الاغتراب الدّيني (الرّوحي) 63

4-6 الاغتراب الوجودي (الكوني) 65

5-تجلّيات الاغتراب في الرّواية العربية الحديثة.....69

***الفصـــــــــــل الثاني:الاغتراب في البـــــنية السّرديـــــة*.....78**

أوّلا:اغتراب الشخصية؛التجليات والبواعث.....79

1- بطل منحط في زمن منحط.....87

2- مرايا الجنون ومحنة الاغتراب.....97

2-1 المنطلق وغاية السخف.....102

ثانـــيا:رتابة الحدث وسيرورة الانسلاخ.....107

1 -سياسة العقاب ومتاهة اللاّحل.....111

ثالـــثا:إقصاء الزمن وإحياء الانســـــياق.....114

1-التواءات الزمن الاغترابية.....116

1-1 الاسترجاع وملامح الاغتراب.....121

1-2 الاستشراف وملامح الاغتراب.....123

رابعا:الاغتراب المكـــــــــاني.....128

1- إيحاءات المكان الاغترابية.....132

www.manaraa.com

1-1 إيحاءات الغرفة.....132

1-2 إيحاءات القرية.....137

1-3 إيحاءات المقهى.....140

1-4 المدينة والبحر.....143

1-5 إيحاءات السجن.....146

خامسا:اغتراب اللغة ولغة الاغتراب.....148

1- لغة القلق والتبرّم.....151

2- اللغة الاستعارية السّاخرة.....156

الفصل الثالث:الاغتراب بين حقيقة الوعي والمسرى الرّوحي.....162

أولا/تقويض النّسق وقلق المصير.....165

1-النّسق السياسي.....165

1-1 دواعي التسجيل السياسية.....169

2-النّسق الاجـــتماعي.....177

2-1 بؤس المرأة واغترابها.....180

3-النسق الاقتصادي.....183

3-1 الاغتراب والعولمة.....185

4-النسق الثقـــــــافي.....186

www.manaraa.com

4-1 غربة البطل المثقف.....187

4-2 التّماهي السّيري(تطابق الاغتراب) 190

ثانيا/واقع الدين والمسرى الروحي.....198

1- النّسق الـــــــديني.....198

1-1 حلم الشقاء الإنساني.....201

1-2 تصوف الولي الصالح.....208

1-2-1 التصوف والاغتراب.....210

1-2-2 العرج والاغتراب الروحي.....214

1-2-3 الاغتراب ولغة الغيب.....222

خـــــاتمة 226

قائمة المصادر والمراجع.....230

فهرس المحتويات.....231

www.manaraa.com